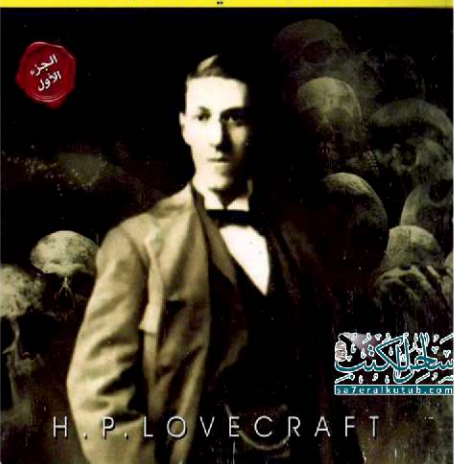
د. حسين السيد

الأعمال الكاملة لـ لافكرافت

المدينة التي لا اسم لها



الأعمال الكاملة ل (لافكرافت)

(الجزء الأول)

المدينة التي لا اسم لها

ترجمة

د. حسين السيد

ن
للنشر والتوزيع

إهداء

روزين رهدان..

(حين تحطو الحوريات على الأرض)

شكراً..

مقدمة

بقلم:

محمد عصمت

شاب أسمر نحيل بادي العصبية والقلق ... كان الفتى شديد الذكاء لكنه غريب الأطوار بسبب اهتمامه بدراسة الظواهر الغريبة وكان يعتبر نفسه (شديد الحساسية نحو الخوارق) . ولما كان منطوياً صار خفياً بالنسبة لمجتمعنا ، فلم يعد يعرفه سوى عدد قليل من الناس"

هكذا قال النقاد، أن لافكرافت يري نفسه حسب وصفه لأحد شخصيات قصة "كتولو"

***

مولده و مأساته:

استقبلت بروفيدنس برود آيلاند يوم العاشر من أغسطس في العام 1890 طلًا صغيرًا سيشب ليصبح أحد أعظم الكتاب فيما بعد ... كبر الصب قليلًا، و في سن الثالثة من عمره أبدي نبوغًا مذهلًا بتعلمه القراءة بشكل تام، قبل أن يقرر أن يبهرنا بالمزيد في سن الخامسة و يبدأ بالكتابة أيضًا ، و عندما قرأ هذا الفتي حكايات " ألف ليلة و ليلة " رفضت أن تمر مرور الكرام و أبت إلا أن تترم بصمات لا تنسي في حياته شأنه شأن باقي قرائها ، بدأ الأمر بأن أطلق علي نفسه إسم " عبد الله الحظرد " و هو إسم استخدمه بعدها في كتابه الأكثر شهرة و الأكثر شرّا كتاب " العزيف"

وكعادة الحياة أبت أن تتركه سعيدًا فحاصرته أزمة مرض والده الذي جعله في غيبوبة لفترة طويلة جدا ، رجح الأطباء فيما بعد أنه مرض زهري الجهاز العصبي و لأن الأمر يجب أن يكون كذلك فكعادة كل المبدعين لابد من مأساة تحفر آلامها في نفس الكاتب و المبدع لتصقل موهبته و تزيدها نضجًا ، توفي والده مبكرًا (وبصورة غامضة حيث كان يقال له لمدة سنتين أنا أباه نائم الآن)

***

بداية الموهبة:

بدأ يدفن نفسه بعدها في القراءة ليكتشف عوالم جديدة أبت إلا أن تأخذ دورها و حقها في نحت روحه كما تحب ، أكتشف الأساطير الإغريقية وبصفه خاصه الإلياذة والأوديسة ، كان ميالاً للوحدة والانطواء ، وعانى أمراضاً نفسية كثيرة

في العام 1914 صار رئيس رابطة الأدباء الشبان وكتب أولى قصصه (الوحش في الكهف) ، كان أصدقاؤه يحبونه ويقولون إنه كان رقيقاً لطيفاً برغم السمعة التي تلاحقه عن كونه يمقت البشر ، كتب الرجل الكثير جدا من القصص والكثير من الشعر ، كما أنه ترك تراثاً هائلاً من الخطابات والمقالات كما أنه ترك لافكرافت تراثاً خيالياً هائلاً مثل (العزيف) و (نيكرونوميكون) و(كتولو)

قصه) نداء كتولو (call of Cthulhu) القصيرة.

هذه القصة شهيرة جداً كتبها عام 1926 ونشرت في مجلة (حكايات غريبة) عام 1928 ، عرف عشاق لافكرافت أن كتولو كان يتكرر بإلحاح في أدب الرجل . ويرى بعض النقاد الغربيين أن الكائن مستوحى من شخصيه (الكراكين) الوحش النائم في حفره في أعماق المحيط في قصيده لتنيسون (Tennyson).

أنه الوحش الأخطبوطي المكلف بالتهام الحسناء أندروميدا والتي سينقذها (برسيوس) في آخر لحظه بالاستعانة برأس ميدوسا ، لو أفاق كتولو فلن يعود هناك عالم نعيش فيه.

يعتقد الكثيرون أن لافكرافت كان يؤمن بوجود كتولو والكيانات القديمة فعلاً.. اهتمامه يتجاوز الولع الأدبي الى ما يشبه الافتتان الديني بالفكرة.

***

تأثيره علي الآخرين:

على الرغم من أن مجموعته القصصية صغيرة نسبيا (3 روايات و 60 قصة قصيرة) فإن كتابات لافكرافت قد ألهمت وأثرت على العديد من

الكتاب الأميركيين والعالميين و كمثال يترك لافكرافت بصماته في كل مكان:

مثلاً نجد قصه (كتولو) مفتش شرطه أسمه (ليجراس)..

يستعير كاتب الرعب (هندرسون) هذا المفتش في مجموعه قصص خاصه به تحمل عنوان (حكايات المفتش ليجراس) ، كما يستعيره (مارك اليس) في قصته المصورة (الهامس في الظلام)

***

كتاباته:

اتجه في بعض رواياته المرعبة إلى أسلوب اثارة الاشمئزاز ، ففي قصته المسماة " الصورة التي في البيت " نجد عجوزا يعيش وحده يعجب كل الإعجاب بكتاب عن أكلة لحوم البشر ، بحيث يتحول هو نفسه ليصبح كذلك .. ونرى في القصة مشهد العجوز وهو ينظر إلى صورة معلقه على الحائط ويتأملها بإمعان ، وهي صورة محل جزارة لأكلة لحوم البشر .. ويتحدث العجوز عن الصورة وهو يحملق فيها متأملا – ناسيًا نفسه اثناء الحديث – فيكيلها بأنواع المديح واللذة والجمال

هناك قصه أخرى بعنوان " الجرذان في الجدران " ونجد فيها رجلا يحاول اصلاح بيت عائلته القديم ويسكن فيه بعد اصلاحه .. ويسمع في

الليل أصوات جرذان داخل الجدران .. يبحث الرجل في القبو فيكتشف سلما يقود إلى كهوف داخلية تحتوي على أدلة طقوس سحرية كان البعض يمارسونها هنا قديما .. ومعابد لأسماء شياطين

أيضا قصته " نداء كتولو " تصور بحارا هبط إلى جزيرة غريبة ظهرت فجأة من قلب البحر ، ويجد فيها مدينة ذات احجار ضخمة محفورة بهندسة غير أرضية .. ويعلق كولن ولسن الناقد الإنجليزي في كتابه(المعقول و اللا معقول..)على لفظ " هندسه غير أرضية " فيقول : .... وهذه هي إحدى عبارات لافكرافت المفضلة ، وهي تتردد في كثير من حكاياته وتبرهن على أن لافكرافت لم يكن رياضي التفكير .. خاصة لأنه تصور أم كل ما يمكن أن يرعب ويخيف يجب أن ينتمي إلى عوالم غير معروفة أو مفهومة..

في قصة " رعب دانويج " نجد في حقل بعيد عن باقي الحقول امرأة مشوهة برصاء تلد طفلا مخيفا مشعرا يكتمل نموه إلى رجل بالغ خلال ست سنوات ..!! ويمارس تقاليد غريبة في السحر ويربي مخلوقا رهيباً يعيش على البقر .. ويحاول هذا الرجل أن يستعير كتاباً عن السحر من إحدى مكتبات الجامعة ، وأخيرا يقتل كلب بينما هو يحاول سرقة الكتاب ليتضح أن المخلوق الغريب الذي كان الرجل يربيه نصف بشري له مجسات عند بطنه وعيون عند فخذيه وذيل ايضاً .. يهرب هذا المخلوق

الغريب ويدمر القرى خاصة أنه غير مرئي .. وأخيرا تفلح جماعة من تلاميذ العلوم في تدميره بترديد عبارات وتعاويذ معينة..

قصة (حالة تشارلز دكستروارد)، وهي حكاية شاب ثري اكتشف وهو في بداية دراسته بالجامعة أن له جد في زمان غابر،كان يقوم بأمور غريبة ويبدو أن محاولات التاريخ لنسيانه حفزت هذا الشاب للبحث ليكتشف أن هذا الجد كان يقوم بتجارب مخيفة حيث يقوم باستحضار أرواح العلماء والفلاسفة ..ولهذه المهمة فإنه يحضر شياطينا من أزمان سحيقة للقيام بعمليات التعذيب ، وفي النهاية تتلبس روح الجد الشيطانية الشاب المسكين الذي يفقد عقله في النهاية ، ويؤثر على من حوله من أسرته وأصدقائه..

***

جنونه:

من الحكايات التي تحكي عن لافكرافت وميوله الجنونية في إثارة الرعب حتى لأصدقائه والمقربين له أنه أهدى صديقا له رواية واكتشف هذا الصديق أن البطل في الرواية يحمل نفس اسمه وأسلوب حياة مشابه له ،كما أنه في النهاية يلقى هذا البطل ميتة بشعة!! ولما أبلغ لافكرافت بالخوف الذي مر به هذا الصديق ،بدا مسرورا للغاية

حب حياته:

التقى بحب حياته (المؤقت) وزوجته لاحقا (سارة) وهي مهاجرة سوفييتية تكبره بسبع سنوات ، ومعها كتب : (الرعب في ردهوك) وقد قرأ النقاد فيها تأثره المتعض من جو (نيويورك) التي انتقل لها ولم تعجبه فكان ذلك سببا أساسيا للطلاق في 1929 وعاد إلى موطن رأسه بروفيدنس وقضى هناك آخر وأهم عشرة أعوام في حياته

***

وفاته:

توفي لافكرافت بعد معاناة طويلة من مرض السرطان في مسقط رأسه في 15مارس1937 عن عمر يناهز 47عامًا

***

أهم أعماله:

1. *في جدران إيريكس*

قصة قصيرة بقلم لافكرافت بالاشتراك مع كيني سترلينغ وكتبت في يناير 1936 ونشرت لأول مرة في مجلة حكايات غريبة في أكتوبر 1939

2. كلب الصيد

قصة قصيرة كتبها في سبتمبر 1922 ونشرت في عدد فبراير 1924 من مجلة حكايات غريبة.

3. نداء كتولو

كتولو شخصية وهمية لمخلوق كوني ، من خارج الكرة الأرضية و المجرة وربما من بعد كوني آخر ، ظهرت قصة "نداء كتولو" في مجلة حكايات غريبة ، في عام 1928

4. كثولو ميثوس

هي مجموعة من القصص الخالية وقصص الرعب التي انتشرت في العشرينات والثلاثينات وظهرت على يد لافكرافت وهي تعني في المفهوم الفلسفي الأسطورة

5. قضية تشارلز دكستر وارد

رواية كتبت في أوائل عام 1927، ولكنها لم تنشر خلال حياته.

6. القطط في أولثار

قصة قصيرة كتبت في يونيو 1920.

7. نموذج بيكمان

قصة قصيرة كتبها في سبتمبر 1926 ونشرت لأول مرة في عدد أكتوبر 1927 من مجلة حكايات غريبة.

8. هو (قصة)

قصة قصيرة كُتبت في أغسطس 1925، ونشرت في شهر سبتمبر من عام 1926 في مجلة حكايات غريبة.

9. العائد إلى الحياة

قصة قصيرة.

10. مسجون مع الفراعنة

سميت "تحت الأهرامات" في المسودة، كما نشرت بعنوان "مدفون مع الفراعنة") هي قصة قصيرة بقلم لافكرافت وكتبها في فبراير 1924.

11. اللون من خارج الفضاء

قصة قصيرة كتبها في مارس 1927.

12. الهواء البارد

قصة قصيرة بقلم لافكرافت وكتبها في مارس 1926 ونشرت في عدد مارس 1928 من مجلة حكايات غريبة.

13. الهامس في الظلام

قصة قصيرة.

14. المهرجان

قصة قصيرة كتبها في أكتوبر 1923، ونشرت في عدد يناير 1925 من مجلة حكايات غريبة

15. المدينة التي لا إسم لها

قصة قصيرة كتبها في يناير 1921 ونشرها لأول مرة في عدد نوفمبر 1921 من مجلة صحافة الهواة

16. أحلام في بيت الساحرة

رواية قصيرة بقلم لافكرافت، وهي جزء من عالم قصص الرعب كتولو ميثوس.

17. البيت المنبوذ

رواية قصيرة في مجال الخيال والرعب.

18. الجرذان في الجدران

قصة قصيرة.

19. الخوف الكامن

قصة قصيرة.

20. الرجل من الخارج

قصة قصيرة.

21. الشيء على العتبة

قصة قصيرة كتبها لافكرافت، وهي جزء من عالم قصص الرعب كتولو ميثوس

22. الظل فوق إنزموث

رواية رعب بقلم لافكرافت، كتبت بين شهري نوفمبر وديسمبر 1931.

23. العزيف (كتاب)

كتاب العزيف أو نيكرونوميكون هو كتاب خيالي ذكره كاتب الرعب الأمريكي لافكرافت في عدد من قصصه و يرجح الكثيرون أنه من كتاباته

24. الصورة في البيت

قصة قصيرة.

25. داجون

قصة قصيرة بقلم لافكرافت، وكتبها في يوليو **1917**، وهي إحدى أوائل القصص التي كتبها بعد بلوغه سن الرشد.

26. رحلة الحلم لكاداث المجهول

رواية قصيرة.

27. رعب دانويتش

قصة قصيرة.

28. رعب ريد هوك

قصة قصيرة.

29. ساكن الظلام

قصة رعب قصيرة كتبها لافكرافت في نوفمبر 1935، ونشرت في عدد ديسمبر 1936 من مجلة حكايات غريبة

30. عند جبال الجنون

رواية قصيرة كتبها لافكرافت، وكتبت في فبراير/ مارس 1931 ورفضت في تلك السنة من قبل فارنسورث رايت محرر مجلة حكايات غريبة بسبب طولها.

الهامس في الظلام

I

لِيكن معلومًا منذ البداية؛ أنني لم أشاهد بعيني أي شيء مرعب في هذه القصة. أقول هذا الآن؛ كي لا يقل أحد ما؛ أن الصدمة العصبية كانت هي السبب الذي دفعني للهرب مسرعًا في الليل من مزرعة (أكيلي) المنعزلة، والواقعة أسفل التلال البرية المقببة لـ (فيرمونت) داخل سيارة استوليت عليها..

كنت أهرب من أجل أن أنجو بنفسي من هول تجربتي الأخيرة، ورغم كل الأشياء التي سمعتها ورأيتها، ورغم اعترافي الجلي بالانطباعات التي خلفتها في نفسي تلك الأشياء، فإنني لا أستطيع في هذه اللحظة معرفة؛ هل كنت مصيبًا أم مخطئًا في استنتاجي الشنيع؟..

لم يخلف اختفاء آخر فرد في عائلة (أكيلي) أي أثر، كما لم يعثر الأهالي في مزرعته المنعزلة على ما قد يثير الشكوك.. غير آثار طلقات النار في الداخل والخارج.. بدا الأمر، وكأن الرجل خرج لنزهة في البراري، ولم يعد ثانية.. لم يكن هناك أي دليل قد يشي بأن ضيفًا ما كان بالمنزل، ولا كان هناك أي أثر للآلات والأسطوانات الزجاجية المربعة في مختبره..

بدأ الأمر بصورة كبيرة كما أتذكر؛ في تلك الفترة التي حدثت فيها تلك الفيضانات التاريخية الغير مسبوقة، والتي أصابت (فيرمونت) في الثالث من نوفمبر عام 1927 .. كنت أعمل هناك .كما لازلت أعمل . كمدرس للأدب في جامعة (ميسكاتونك) في مدينة (آرخام) في (ماساتشوستس).. كما كنت أدرس بحماس الفولكلور في (نيوانجلد) كطالب هاوٍ..

في ذلك الوقت، وبعد الفيضان مباشرة؛ ظهرت . وسط التقارير المختلفة المتعلقة بمعاناة السكان، وأعمال الإغاثة المنتظمة التي ملأت صفحات الصحف ـ حكايات غريبة عن أشياء وجدت تطفو في بعض الأنهار التي أصابها الفيضان؛ لذا فقد انهمك الكثير من أصدقائي مناقشة هذا الأمر بفضول، بل وناشدني بعضهم أن أدلي بدلوي في الأمر..

أشعرني اهتمامهم بدراستي للفولكلور بالزهو، وفعلت كل ما بوسعي للتقليل من شأن تلك الحكايات المبهمة العجيبة، والتي بدت بوضوح أنها مجرد بعث لخرافات قروية قديمة. أدهشني إصرار العديد من الرجال المتعلمون حينها على الاعتقاد بأن بعض تلك الأمور الغيبية، أو الحقائق الغير مألوفة؛ قد تكون وقائع حقيقية حدثت بالفعل وسط هذا السيل من الإشاعات..

هكذا لفتت تلك الأقاويل انتباهي، والتي جاء أغلبها عن طريق الصحف، ووصل إلى عملي نبأ إحدي تلك الحكايات عن طريق صديق لي؛ عرف بالقصة عبر خطاب أرسلته إليه أمه التي تعيش في بلدة (هاردويك) في (فيرمونت)..

كانت التفاصيل في كل تلك الحكايات المنتشرة متشابهة.. رغم أن أغلبها جاء من ثلاثة أماكن مختلفة.. كان منشأ الحكايات الأولى؛ منطقة وادي نهر (وينووسكي) بالقرب من (مونتي بالير) وحدثت الحوادث الثانية في منطقة النهر الغربي في بلدة (ويند هام) الواقعة خلف (نيو فان)، أما الحالات الثالثة فقد وقعت في منطقة (باسومبسيك) في مقاطعة (كاليدونيا) في (لندون فيل).

بالطبع كان هناك الكثير من القصص الخيالية التي ترددت في مناطق أخرى، لكن التحليل الدقيق أكد أن تلك الحكايات كانت مجرد انعكاس لما يتداول في تلك المناطق الثلاث.

كانت همسات العجائز تتردد في كل مرة تذكر فيها تلك الحكايات الغريبة، أو كلما شاهد أحدهم شيئًا مبهمًا في المياه المتدفقة من التلال المهجورة، وربط الكثيرون تلك الأشياء التي كانت تشاهد بالخرافات البدائية شبه المنسية، والتي عاد بعض العجائز المهوسون لذكرها مرة أخرى..

أكد الشهود أنهم قد شاهدوا أجسادًا عضوية لا تشبه أي شيء رأوه من قبل، وكان التخمين الأقرب للواقع؛ أنها مجرد جثث بشرية طفت فوق التيار خلال تلك الفترة المأساوية.. لكن هؤلاء الذين وصفوا تلك الأشكال الغريبة؛ كانوا على شيء من اليقين أن ما رأوه؛ لم يكن شيئًا آدميًا، وأكد الشهود أنه رغم ما قد يبدو ظاهريًا من تشابه في الحجم، والملامح الخارجية بينها، وبين غيرها من الكائنات المعروفة؛ إلا أنها لا تشبه بأي حال من الأحوال أي كائن حي معروف في (فيرمونت)..

قال الأهالي؛ أن تلك الأجساد كانت تنتمي لمخلوقات وردية اللون يصل طولها لنحو خمسة أقدام تقريبًا.. لها بشرة قشرية تحوي أزواجًا من الزعانف، أو الأجنحة الغشائية الكبيرة.. كما كانت تمتلك العديد من الأطراف المفصلية كأقدام الحشرات. أما مكان الرأس فقد حوى فقط العديد من قرون الاستشعار الصغيرة ذات التركيبات الهندسية المعقدة..

كم كان مثيرًا مدى تشابه تلك الحكايات التي أتت من كل مكان، لكن العجب كان ليقل؛ حين نعلم أن خرافات العجائز، وحكاياتهم الشعبية في تلك الأماكن كانت هي نفسها بطول التل كله.. تلك الخرافات التي حتمًا أسست ـ وبشكل سقيم ـ شكلاً واحدًا للخيال في عقول كل الشهود..

كان استنتاجي؛ أن الشهود ـ والذين كانوا في كل الحالات من سكان المناطق النائية (السذج) ـ قد رأوا في التيارات المتدفقة للفيضانات؛

الأجساد المتعفنة المنتفخة لبعض الجثث البشرية، أو جثث الحيوانات البرية والماشية.. مما سمح للحكايات الشعبية المتوارية في ثنايا عقلهم الباطن؛ أن تحيك خواصًا خيالية لتلك الجثث الحزينة..

ورغم ضبابية الحكايات الشعبية القديمة، وغموضها وإهمال أغلبها بصورة شبه كاملة بين الأجيال الحالية؛ إلا أنها امتازت بخصائص متفردة.. عكست بوضوح مدى تأثر أغلبها بالحكايات الهندية القديمة..

كنت أدرك هذا بوضوح.. رغم أنني لم أنشأ في (فيرمونت)، وكان الفضل في هذا للدراسة النادرة التي وضعها (إيلي دافن بورت)، والتي تضمنت شهادات شفهية حصل عليها قبل عام 1839 من أفواه العجائز في ذلك الوقت.. أضف لهذا أن تلك الموضوعات تقاطعت بصورة كبيرة، وتشابهت مع الحكايات الفولكلورية التي سمعتها بنفسي من العجائز الريفيين في محيط جبل (هامبشاير)..

كانت تلك الخرافات تتلخص بإيجاز في؛ أنه كان هناك جنس من الوحوش البشعة تحيا في قمم التلال المجهولة، وفي قلب الغابات المظلمة الواقعة في قمم الجبال الشاهقة، وفي قلب الوديان المهجورة؛ حيث تنبع الجداول من مصادر مجهولة..

نادرًا ما رأى أحد تلك الكائنات، لكن الأدلة التي تؤكد وجودهم؛ كانت تأتي بواسطة هؤلاء المغامرون الذي امتازوا بالجرأة والشجاعة،

وشقوا طريقهم بعيدًا داخل الجبال ذات القمم الشاهقة.. حتى بلغوا بقاعًا محرمة تتحاشاها حتى الذئاب..

تحدث أولئك المغامرون عن آثار أقدام، ومخالب غريبة، كانت مطبوعة على الوحل أو في البقاع الجرداء.. كما أشاروا لتلك الحلقات الغامضة من الصخور، التي اجتست الحشائش من حولها.. بصورة كان من المستحيل التفكير في أنها قد تشكلت هكذا بفعل الطبيعة..

تحدثوا كذلك بشأن تلك الكهوف الغائرة العمق في قلب التلال، والتي كانت فوهاتها وراء قطع ضخمة من الصخور، حيث كانت مداخلها ومخارجها وجدرانها تعج بمثل تلك الآثار الغريبة.

الأسوأ من هذا؛ كانت تلك الأشياء المخيفة التي شاهدها أولئك المغامرون في مرات نادرة؛ وقت الشفق.. في أعماق الوديان السحيقة، أو أعلى القمم ذات الزوايا الحادة، التي يستحيل تسلقها..

كان الأمر ليكون مطمئنا، لو لم تتشابه تلك الحكايات هكذا. فقد تلاقت تلك الإشاعات القادمة من كل مكان في الكثير من النقاط المشتركة. مثلاً كانت المشاهدات كلها تجزم؛ أن تلك المخلوقات بدت كسرطان بحر أحمر ضخم، مزودة بالكثير من الأقدام المزدوجة مع جناحين عظيمين يشبهان أجنحة الوطاويط في منتصف ظهرها..

ذكر الشهود؛ بأنهم يبدون أحيانًا كما لو كانوا يستخدمون أقدامهم كلها في المشي في وقت واحد، وفي أوقات أخرى؛ شوهدت تلك المخلوقات وهي تسير معتمدة على الزوج الخلفي فقط من أقدامها.. فيما كانت تستغل أطرافها الأخرى في حمل أغراض غير محددة..

كانت تلك المخلوقات ترى غالبًا في تجمعات ضخمة، وما كان منفصلاً عنهم كان يرى، وهو يخوض المياه الضحلة على طول قنوات المياه التي تخترق الغابات..

كما شُوهد أحدهم ذات مرة، وهو يطير في الليل من فوق قمة أحد التلال الزلقة.. قبل أن يختفي عاليًا في السماء مستعينًا بأجنحته الضخمة، وقد خلف وراءه ظلاًّ كبيرًا أبرزه القمر المكتمل الساطع..

بدت تلك الكائنات، وكأنها لا تبغي الإختلاط بالبشر، وتؤثر البعد عنهم.. ورغم ذلك حملهم البعض ذنب اختفاء بعض المغامرين، وخصوصًا أولئك الأشخاص الذين أقاموا بيوتهم بالقرب من الوديان، أو المرتفعات الدانية من التلال والجبال التي تستوطنها تلك الكائنات..

وعلى مر العقود اشتهر الكثير من البقاع في تلك الأنحاء بخطورتها، وكانت النصيحة دائمًا؛ ألا يرتادها أحد، ورغم نسيان سبب ذلك مع مرور الوقت؛ إلا أن التحذيرات في النفوس ظلت حية.. ظل الأهالي يرمقون بعض المنحدرات الجبلية القريبة بقشعريرة وارتياب، واستمر هذا

حتى بعد أن نسي الجميع عدد من فقدوهم هناك من الأهالي، أو عدد البيوت التي احترقت، وصارت هشيمًا فوق تلك المنحدرات المعشوشبة..

لكن وطبقًا للأساطير الأولى؛ فإن تلك المخلوقات لم تؤذ غير من ينتهك خلوتها أو يحاول التلصص عليها، حيث كانت تحتفظ بمداخل سرية تقودهم لعالم الإنسان..

تحدثت الإشاعات عن آثار المخالب الغريبة التي كانت تُكتشف على نوافذ بيوت المزارع في الصباح، وتواترت حكايات الاختفاء المفاجئ لمن يجتازون النطاق المحدد لأماكن الصيد. كانت هناك الأقاويل التي تتداول عن أصوات كالهمهمة، تشبه الصوت البشري، والتي كان المسافرون الفرادى يسمعونها بغتة في الدروب المعتمة العميقة للغابات، تلك الأصوات التي كانت تسبب الفزع للأطفال؛ حين تأتيهم عبر الغابات التي تطل على أبواب غرف نومهم..

أما في الصفحات النهائية من تلك الدراسة. تلك الصفحات التي تسبق الإعلان عن اضمحلال الخرافات، وفك الارتباط بينها وبين الأماكن المخيفة ـ فقد كانت هناك حكايات مذهلة عن رهبان، وأصحاب مزارع نائية يقال؛ بأنهم عانوا في فترة من حياتهم من تغيرات عقلية شنيعة، حتى تحاشاهم جيرانهم، وقد عدوهم هالكين باعوا أرواحهم لتلك الكائنات الشيطانية الرهيبة..

بل وفي واحدة من تلك المقاطعات الشمالية الشرقية؛ اعتاد الأهالي في بداية القرن الثامن عشر؛ اتهام غريبو الأطوار، والرهبان غير المعروفين؛ بأنهم حلفاء أو ممثلو الأعمال الجهنمية الممقوتة..

كانت الأسماء التي أطلقت على تلك الكيانات؛ هو الأحاد أو الأحاد القديمة.. رغم أن هناك أسماءً أخرى محلية، أو مؤقتة جرى استخدامها أحيانًا لتسميتهم..

أما (الأيرلنديون) و (الأسكتلنديون)- أصحاب التراث، والأساطير السلتيه من سكان (نيوهامشير) وأقاربهم الذين استوطنوا (فيرمونت)- فقد ربطوا بصورة ما تلك الكائنات، بخرافاتهم المتعلقة بالجنيات الشريرة، وأقزام المستنقعات والأدغال، واستعان أغلبهم بالتمائم والتعاويذ القديمة التي توارثوها من أسلافهم جيلاً بعد جيل؛ لتقيهم شرها..

بينما كان للهنود أكثر النظريات إثارة للدهشة، فرغم تباين أساطيرهم من عشيرة لأخرى؛ إلا أن كل العشائر اتفقت على أوصاف محددة في أساطيرهم عن تلك الكائنات، وكان أهم ما قالوه، أن تلك المخلوقات لم تكن كائنات أرضية..

أما الأساطير البنكوكية، والتي كانت أكثر تناسقا، وروعة من الأساطير الأخرى، فقد قالت؛ أن تلك المخلوقات المجنحة جاءت من النجم الدي الكبير في السماء، وأن تلك المخلوقات امتلكت مناجم في تلالنا الأرضية

كانوا يحصلون منها على أنواع معينة من الصخور لا توجد في أي عالم آخر. أضافت تلك الأساطير؛ أن تلك المخلوقات لا تعيش بيننا على الأرض، لكنهم يتصلون بعالمنا عبر بوابات سرية غير معروفة؛ يستخدمونها للعودة إلى نجومهم الخاصة في الشمال؛ حيث يعيشون حين يعودون، وهم محملين بأكوام ضخمة من تلك الصخور..

تجنبت تلك الكائنات عالمنا، وآذوا فقط أولئك المتهورين الذين تتبعوهم، وحاولوا التجسس عليهم.. بينما تحاشتهم الحيوانات في كراهية بالفطرة. ولم يكن السبب في ذلك أن تلك المخلوقات تصطادهم مثلاً أو تأكلهم، فتلك المخلوقات لم تكن تقتات على الحيوانات أو أي طعام أرضي آخر، بل كانوا يجلبون طعامهم الخاص من قلب النجوم..

كان من الحماقة؛ أن يقترب المرء منهم.. كما لم يعد ثانية أولئك الصيادون الخرقاء الذين توغلوا بعيدًا في قلب تلالهم..

لم يكن من الحكمة؛ أن تحاول الاستماع لما يهمسون به بالليل في الغابات في أصوات تبدو كصوت الإنسان، ورغم أنهم كانوا يعرفون كل لغات البشر؛ إلا أنهم وكما يبدو، لم يكونوا بحاجة للغة خاصة يتخاطبون بها.. كانوا يحدثون بعضهم بحركات الرؤوس، والتي كانت تغير من لونها بطرق متباينة؛ لتعني أشياءً مختلفة..

وبحلول القرن التاسع عشر انتهت كل تلك الأساطير والخرافات؛ سواء كان منشأها الرجل الأبيض أو الهنود الملونون . ففي هذا الوقت أنشأت الطرق الجديدة في (فيرمونت) وشيدت المساكن العصرية طبقًا لخطط أعدت لتحديث المدينة، هنا تناسى الأهالي تلك الحكايات المخيفة، وما كان يُقال عن الأماكن المحرمة في التلال البعيدة.. فقط آمن البعض ببساطة؛ أن هناك بقاعًا معينة في التلال غير آمنة، وغير ملائمة للحياة، وأنه من الجنون أن يفكر المرء في سكنها، وأنه كلما ابتعد المرء عنها؛ كلما كان هذا أفضل؛ ولهذا تركت التلال المسكونة بالخرافات مهجورة دون أن يقربها أحد..

عرفت كل هذا من قراءاتي، ومن بعض القصص الشعبية التي جمعتها من (نيوهامشير)، ولهذا فعندما عادت تلك الإشاعات تردد وقت الفيضان.. كان من السهل أن أخمن الخلفيات التراثية، والشعبية التي نشأت عنها تلك الحكايات..

كم أضحكني حينها أن أشرح كل هذا لأصدقائي، وكم كان مسليًا؛ أن أرى كيف ظل بعضهم مصرًا أن هناك بعض الحقيقة في تلك الإشاعات المتداولة.. حاول هؤلاء المؤمنين الخرفات أن يؤكدوا وجود رابط يربط الأساطير القديمة لأهالي فيمونت، بتلك القصص المفزعة التي أتى بها الفيضان؟!.. واستقر رأيهم على أنه من غير الحكمة أن نجزم بصورة

مطلقة بما هو حقيقي، وما هو خرافي مع كل تلك البقاع الشاسعة من تلال (فيرمونت) الطبيعية غير المكتشفة..

كان من غير المجدي أن أبرهن لهؤلاء؛ أن أساطير (فيرمونت) لا تختلف في جوهرها كثيرًا عن الأساطير العالمية المتعلقة بالتجسدات الطبيعية للكائنات المجهولة، والتي تخيلها انسان العالم القديم في صورة آلهة الغابات والحقول والجنيات والوحوش، كما لم يكن مجديًا الإشارة إلى مدى التشابه المذهل لتلك المعتقدات مع خرافات القبائل (النيباليه)، وقصص أدغال (ماي جو) المخيفة، أو حكايات رجال الثلج الملعونين المختبئن وسط الثلوج، والقمم الشاهقة لجبال (الهيمالايا)..

وعندما قدمت هذا الدليل؛ قلب خصومي تلك الحجج ضدي بادعاء أن مثل تلك الأساطير القديمة المتشابهة إنما تدل على وجود فعلي لتلك المخلوقات في الحضارات القديمة ولهذا فقد قد كانت تصوراتهم لها شديدة التشابة بشكل لا يمكن ارجاعه لمجرد الصدفة. أضافوا أن تلك الخرافات القديمة بلا جدال تشير للوجود الحقيقي لبعض الأجناس الغير معروفة، والتي سكنت الأرض منذ القدم، وأنها لا بد قد أجبرت على الاختباء والاختفاء مع تقدم الإنسان، وبسط سيطرته على الأرض.. كما أنها من المحتمل؛ أن تكون مازالت تعيش في وقتنا الحاضر، وإن كان في أعداد محدودة..

وبينما رحت أضحك على مثل تلك النظريات؛ ازداد أصدقائي العنيدون إصرارًا على رأيهم.. بل وأضافوا؛ أنه حتى لو غابت الخلفية التراثية لتلك الأساطير، فالحكايات الحديثة كانت بالغة الوضوح ومؤكدة، وحكاها الشهود بالتفصيل الممل.. مما يجعل تجاهلها أمرًا غير معقول.. بل وذهب اثنان أو ثلاثة من هؤلاء المتعصبين المتطرفين في آرائهم لمدى أبعد بالتلميح إلى إمكانية؛ أن تكون الأساطير الهندية محقة حين منحت تلك المخلوقات الخفية أصلاً غير أرضي، واستشهدوا في هذا بكتب (تشارلز فورت) الغريبة التي ادعت؛ أن هؤلاء الرحالة من العوالم الأخرى، والفضاء الخارجي طالما زاروا الأرض منذ عهود سحيقة..

كان معظم خصومي في النهاية؛ مجرد أناس سذج تحركهم العاطفة والخيال.. ولهذا صدقوا أن مثل تلك الحكايات الخرافية الغير معقولة.. قد تكون ممكنة في الحياة الحقيقية..

II

وكما كان متوقعًا في مثل تلك الظروف، فقد تم صياغة تلك المجادلات الحادة في شكل مقال مطبوع؛ أرسله أحدهم إلى بعض صحف (آرخام) التي كانت تُطبع في (فيرمونت) حيث نشأت قصص الفيضان الغريبة..

خصصت جريدة (روتلاند هيرالد) نصف صفحة كاملة، من الناحتين لنشر مقتطفات من تلك المجادلات.. بينما أعادت صحيفة (براتلي بورو ريفورفمر) نشر واحد من مقالاتي الطويلة عن التاريخ، والأساطير كاملاً، وأتبعت المقال بتعليق الكاتب، السيد (بندرفتر) في عموده الجاد، والذي دعم وأيد استنتاجاتي المتشككة، وبحلول ربيع 1928 صرت تقريبًا شخصًا مشهورًا في (فيرمونت).. على الرغم من أنني في الحقيقة لم أضع قدمًا من قبل في تلك المدينة..

بعد ذلك؛ جاء ذلك الخطاب المخالف لرأيي؛ من السيد (هنري أكيلي) والذي نال الكثير من إهتمامي.. كان هذا الخطاب هو ما أخذني للمرة الأولى والأخيرة لذلك العالم الغامض للمنحدرات الخضراء، وجداول الغابات الهامسة في تلال (فيرمونت)..

كان جل ما عرفته بعد ذلك عن السيد (هنري ونتورث أكيلي) مشتقًّا من مراسلاتي مع جيرانه، وابنه الوحيد في (كاليفورنيا) ومن خلال خبرتي الشنيعة في مزرعته المنعزلة..

كان السيد (أكيلي) هو آخر فرد في عائلة عريقة من المشتغلين في القانون والإدارة، والمزارعين المحترمين.. وكان يرى أن عائلة راحت مع الوقت تبتعد عقليًّا عن الوظائف العملية المادية، وتميل لناحية العلم؛ ولهذا فقد صار هو نفسه طالبًا بارزًا في الرياضيات، وعلم الفلك والأحياء وعلم الأجناس البشرية والفولكلور الشعبي في جامعة (فيرمونت). لم أكن قد سمعت به من قبل رغم اهتمامه المتنوعة تلك.. وربما كان هذا؛ لأنه كان يميل للعزلة ولم يكن شغوفًا بالحديث كثيرًا عن نفسه..

لكنني، ومن الوهلة الأولى التي تبادلنا فيها الرسائل؛ أدركت أنه رجل ذو حيثية شخصية وعلمية، وأنه يمتلك ذكاءً متوقدًا، ولو أنه كان يؤثر العزلة، والبعد عن المجادلات السفسطائية..

ورغم شخصيته المذهلة تلك؛ إلا أن هذا لم يترك في نفسي أثرًا كبيرًا، فقد راسلني الرجل ليؤكد لي أن من عارضوا أرائي كانوا على حق. ورحت أخالف آراء الرجل بصورة أكبر مما فعلته مع خصومي السابقين. كان لدي اسبابي لهذا، وكان أولها؛ أنه كان يعيش بالفعل بالقرب من الأماكن التي حدثت فيها تلك الظاهرة ، وبشكل قد يفسد حسن إدراكه.. ثانيًا؛ أن

الرجل أجل النطق باستنتاجه النهائي عن حقيقة ما يحدث؛ ليبدو في صورة رجل العلم الحقيقي.

بالطبع كان رأيي منذ البداية؛ أنه مخطئًا في تخميناته، لكنه رغم هذا ظل في عيني رجل ذكي؛ ولهذا لم أفعل معه مثلما فعل أصدقاء الرجل، فلم أر أن خوفه من التلال الخضراء المنعزلة، وأفكاره الغريبة؛ نوعًا من الجنون..

كان بإمكاني؛ أن أرى الفرصة الجيدة في التعامل مع الرجل، وأن أدرك أن ما ذكره؛ لابد وأن يأتي من ظروف غير طبيعية تستحق التحقق.. لكنني رغم هذا ظللت على رفضي لتصديق الكثير من الأشياء العجائبية التي ذكرها.. لاحقًا وصلني منه بعض المواد الخاصة التي تبرهن على صدق ادعائه، والتي زادت من غرابة الأمر في نظري بصورة محيرة..

لم يعد هناك ما يمكنني أن أفعله الآن غير أن أقدم لكم الخطاب الطويل الذي أرسله (أكيلي) وقدم فيه نفسه بصورة كاملة.. ذلك الخطاب الذي شكل علامة بارزة في تاريخي.. لم يعد الخطاب بحوزتي الآن.. لكن ذاكرتي مازالت تذكر تقريبًا كل كلمة في خطابة الفريد.. ومرة أخرى أعود لأؤكد ثقتي في سلامة عقل الرجل الذي كتب الخطاب؛ مهما كانت غرابة ما يقصه.. والآن دعوني أتلو عليكم نص الخطاب الذي وصلني مكتوبًا بخط سيء لرجل كان واضحًا؛ أنه لم يختلط كثيرًا بالعالم خارج نطاق حياته العلمية الوقورة..

" 5مايو 1928

المحترم ن، ويلمارث

118شارع سلتانستول

آرخام :

السيد المحترم:

قرأت باهتمام بالغ مقالك الذي أعادت جريدة (براتلبورو ريفورميز) نشره في الثالث والعشرين و الثامن والعشرين من إبريل، والخاص برأيك عن القصص الحديثة المتعلقة بالأجساد الغريبة التي شوهدت طافية في مياه الفيضان في الخريف الماضي، وكيف أنها كانت تتوافق، وبصورة كبيرة مع الخرافات العجائبية، والتراث الشعبي الذي يؤمن به أهالي هذا المكان؟!..

كان من السهل علي أن أفهم؛ لماذا يتخذ أجنبي مثلك، مثل موقفك هذا؟.. بل وحتى تفهمت؛ لماذا اتفق معك السيد (بندريفتر)؟.. فهذا هو المتوقع مع الأشخاص المتعلمون؛ سواء كانوا من سكان (فيرمونت) أو خارجها.. بل لنقل أن هذا كان موقفي نفسه حين كنت صغيراً . وأنا الآن في السابعة والخمسين من عمري . قبل أن أقوم بأبحاثي الخاصة أو حين قمت بدراسة أبحاث (دافنبورت) عن الفولكلور.. تلك الأبحاث التي

قادتني للقيام ببعض الاستكشافات لبعض الأماكن الغير مطروقة في التلال القريبة..

كنت قد اتجهت لتلك الدراسات من خلال الحكايات القديمة الغريبة التي كنت أسمعها من المزارعين العجائز السذج.. لكنني الآن أتمنى لو أنني قد تجاهلت المسألة برمتها حينها.. يمكنني القول بشيء من التواضع أن علم دراسة الأجناس والفولكلور ليس بغريب علي، فقد درست علومه في الجامعة، بل وأنا كذلك معروف بصورة شخصية لأغلب العلماء المحترمين في هذا المجال مثل (فريزر، وليبوك، وتايلور، واوسبورن، وموراي، وغيرهم) ولهذا فلم يكن عجيبًا علي أن أفهم قولك؛ أن حكايات تلك المخلوقات المخيفة كانت قديمة قدم البشرية نفسها..

لقد قرأت مقالك، وقرأت مقالات هؤلاء الذين دعموا رأيك في جريدة (روتلاند هيرلاد) وأعلم؛ أين يقف مخالفوك في هذا الوقت؟..

كل ما أرغب في قوله الآن؛ هو أنني أخشى القول أن خصومك أدنى للحقيقة منك.. رغم أن الدلائل كلها تبدو وكأنها في صفك.. لكن دعني اكرر أن خصومك أقرب للحقيقة، رغم أنهم يعتمدون على مجرد نظريات، ولا يعلمون ما أعلمه، ولو كنت أعلم القليل مثلما يعلمون، فربما لم أكن لأشاركهم معتقداتهم، بل وربما كنت بصورة كاملة في صفك..

يمكنك أن ترى؛ كيف أواجه بعض الصعوبة لأدخل في الموضوع مباشرة!. ربما كان هذا لأنني أخشى أن أتحدث به.. لكن لب المسألة هنا؛ أنني أملك دلائل معينة تؤكد؛ أن أشياءً مريعة مازالت في الواقع تحيا في التلال المرتفعة التي لا يرتادها أحد.. أنا لم أر شيئًا من تلك الأجساد التي كانت تطفو في الأنهار.. لكنني رأيت أشياءً مثلها في ظروف خاصة لا أتمنى تكرارها..

رأيت آثار أقدام ومخالب لاتنتمي لعالمنا، -لاحقًا كانت بعض تلك الآثار المخيفة مطبوعة على الوحل بالقرب من مزرعتي- في أماكن لا أجرؤ على ذكرها لك.. لكن في البداية دعني أخبرك أنني أسكن بشكل كامل في منزل جدي (أكيلي) الواقع جنوب قرية (تاونزهيند) الواقعة بجوار الجبل المظلم..

لم تكن تلك الآثار الغريبة هي كل ما اكتشفه، فقد كان هناك أصوات تلك المخلوقات المخيفة في الغابة، والتي لا يمكنني مهما حاولت أن أصفها لك هنا على الورق..

دعني أخبرك؛ أنني كنت أسمعهم كثيرًا جدًا في مكان ما، بل ونجحت في تسجيل تلك الأصوات بواسطة (الفونوغراف)، هل تصدق هذا؟!. ربما كان علي أن أمنحك الفرصة؛ لتستمع يومًا ما لتلك التسجيلات لتحكم بنفسك..

لقد قمت بتشغيل تلك التسجيلات الصوتية أمام بعض العجائز هنا في فيرمونت، ولن تتخيل كم أفزعهم أحد تلك الأصوات حتى الموت؛ لأنه كان يشبه كثيرًا ذلك الصوت الذي كانت جداتهم قديمًا تقلده لهم، وهي تحكي لهم عن تلك الأشياء..

أعلم بالطبع ما قد يقوله الناس عن رجل يتحدث عن أصوات تسمع.. لكن وقبل أن تلقي بحكمك علي، فقط استمع لذلك التسجيل، وسل بعض عجائز (باكوود) ما الذي يعتقدونه عن تلك الأصوات؟.. إستمع لتلك الأصوات بلا أحكام مسبقة، وأرهف سمعك لما يتوارى خلفها.. حينها سوف تفهم ما أعنيه..

والآن؛ دعني أصل مباشرة إلى هدفي من الكتابة إليك.. إنني لا أكتب لأجدالك في آرائك.. لكنني أكتب إليك؛ كي أقدم معلومات أرى أنها قد تثير اهتمام رجل في مثل معرفتك كثيرًا..

ما سوف أخبرك به الآن؛ هو سر بيني وبينك.. لكن أمام الآخرين، فأنا أتخذ نفس موقفك الرافض للإيمان بتلك الحكايات؛ لأنني أؤمن أن هناك من الأمور ما لا يجب على العامة أن يعرفوا الكثير عنها..

إن كل أبحاثي التي أقوم بها، هي دراسات خاصة وسرية، ولا أعتقد أنني قد أتحدث عنها يومًا ما؛ كي لا أجذب انتباه الناس لها، ولا أدفعهم لزيارة الأماكن التي قمت باستكشافها..

إن هذا حقيقي بصورة مرعبة.. هناك بالفعل كائنات غير بشرية تعيش بيننا، وتراقبنا طوال الوقت بواسطة جواسيس، تجمع لها المعلومات عنا!..

ذات مرة؛ عرفت رجلاً يدعي الجنون ـ غير أنني أعتقد أنه كان عاقلاً، وأنه كان واحدًا من جواسيسهم ـ ومن حديثي معه عرفت الكثير من الدلائل عن ذلك الأمر.. لاحقًا قتل هذا الرجل نفسه.. لكن لدي أسبابي التي تدفعني للاعتقاد أن هناك الكثير من الجواسيس غيره..

لقد جاءت تلك المخلوقات من كوكب آخر، حيث كان لديها القدرة على الحياة في السديم المظلم للفضاء، كما كان بإمكانها الطيران في الفضاء عن طريق أجنحتها القوية، والتي يمكنها مقاومة الأثير.. لكنها رغم هذا كانت أضعف من أن تعاونها على العيش في الأرض..

أتمنى ألا تعدني مجنونًا حين أحدثك عن هذا.. لقد أتت تلك الكائنات إلى هنا للحصول على معادن معينة من المناجم العميقة في التلال، وبصورة ما يمكنني تخمين؛ من أين أتوا؟!..

أعلم كذلك؛ أنهم لن يؤذوننا طالما تركناهم وشأنهم.. لكن لا أحد يعلم ما قد يحدث لو دفعنا الفضول لتتبعهم، ومطاردتهم.. بالطبع يمكن لجيش جيد التسليح من الرجال؛ أن يبيد مستعمراتهم السرية ومناجمهم، وربما كان هذا أكثر ما قد تخشاه تلك المخلوقات.. لكني أؤمن أه هذا لو حدث، فسوف يهبط المزيد منهم من الفضاء، وفي أي أعداد ضخمة قد

تتخيلها.. يمكنهم بسهولة استعمار الأرض كلها لو شاءوا.. لكنهم لم يقدموا من قبل على شيء كهذا، فقط لأنهم لا يرغبون، وربما فضلوا أن يتركوا الحال كما هو؛ ليوفروا من قواهم..

إن لدي من الشكوك ما يدفعني؛ للاعتقاد أنهم يفكرون في التخلص مني.. ربما لأنني قد عرفت عنهم الكثير. لقد عثرت كذلك على حجر أسود ضخم مليء بالهيروغليفية المجهولة، في الغابة بالقرب من التلال المقببة الواقعة في الشرق. وبعد أن استوليت عليه، وأخذته إلى منزلي؛ تغير كل شيء..

أعلم أنهم لو شعروا أنني مثقل بالشكوك نحوهم.. لربما أقدموا على قتلي، أو حتى اختطافي من هذه الأرض، والذهاب بي إلى موطنهم حيث أتوا، فلقد ولعوا باختطاف الرجال المتعلمين؛ ليظلوا دومًا على علم بما يدور من أمور في عالم البشر..

وهذا يقودني للحديث عن الهدف الثاني من مراسلتك؛ وهو أن أحثك على إنهاء الجدال الحالي القائم بشأنهم كي لا يصل شيء منه للعامة، فعلى الناس أن يمكثوا بعيدًا عن تلك التلال؛ ولهذا فعلينا ألا نثير فضولهم أكثر من هذا..

إنني أرحب بحديث آخر معك، وسوف أحاول أن أرسل لك تسجيل (الفونوغراف) وقطعة الحجر الأسود. والتي هي بالية بصورة قد لا تظهرها الصور. لو رغبت في هذا..

أقول أني سأحاول؛ لأنني أعلم أن تلك المخلوقات لها الكثير من الطرق، والحيل التي تمكنها من العبث برسائلي، وخاصة أن هناك رجل فظ يعيش في مزرعة بالقرب من القرية، ويحدثني عقلي أن هذا الرجل هو جاسوسهم الذي يتتبعني.. أشعر بأنهم يحاولون إبعادي عن هذا العالم خطوة بعد خطوة؛ لأنني صرت أعلم الكثير عن عالمهم..

إن لديهم أكثر الطرق إثارة للدهشة في كيفية اكتشاف ما أفعله.. بل وربما لا يصلك خطابي هذا إذا نجحوا في الوصول إليه قبلك.. إنني أفكر إن كان علي أن أهجر مزرعتي، وأن أذهب للعيش مع ابني في (سان ديجو كال) في كاليفورنيا لو صارت الأمور أكثر سوءً.. لكنه من العسير بحق أن تهجر مكان نشأت فيه، وعاش فيه أسلافك لأكثر من ستة أجيال.. كما أنني كذلك لا أجرؤ على بيع هذا البيت لأي شخص، وقد صار مثار اهتمام تلك المخلوقات..

أعتقد أنهم يحاولون استعادة الحجر الأسود ثانية، وتحطيم تسجيلات (الفونوغراف). وفي الناحية الأخرى؛ أعتقد أن علي أن أبذل قصارى جهدي لأمنعهم من هذا.. لدي كلابي البوليسية الضخمة، والتي نجحت

حتى الآن في أن تبقيهم بعيدًا عن البيت؛ ولهذا فلم يصلوا إلى هنا إلا قليلاً.. إن محاولتهم الخرقاء للوصول إلى هنا عادةً ما تفشل، وكما قلت سابقًا؛ أن أجنحتهم لا تفيدهم إلا في محاولات الطيران المحدودة على الأرض..

إنني على الحافة على نحو مريع من حل لغز هذا الحجر، وبالإستعانة بمعرفتك في التراث الشعبي.. يمكنك أن تملأ الفراغات التي أجهلها في عملي هذا.. إنني أفترض أنك على دراية كاملة بالأساطير المخيفة، والتي تسبق قدوم البشر إلى كوكب الأرض؛ أساطير الـ (يوج وأزاوث وكاثلو) والتي تم التنويه عنها في كتاب (النيكرونوميكون) المريع.. إنني أملك نسخة من هذا الكتاب، كما سمعت أن هناك نسخة منه مخبأة في مكتبة جامعتك في خزانة سرية مغلقة..

وإجمالاً ياسيد (ويلمارث) فإنني أعتقد أنه باستطاعتنا، وبالاستعانة بدراساتنا المتعمقة؛ أن نفيد بعضنا البعض.. أنا بالطبع لا أتمنى أن أعرضك لأي خطر.. كما أعتقد أنه علي أن أحذرك من تملك الحجر والتسجيلات، فهذا ليس بالأمر الآمن تماماً.. لكنني أؤمن أنك قد ترى في البحث من أجل المعرفة ما يستحق المخاطرة..

إنني سوف أهبط إلى بلدة (نيو فان أو براتلبورو) لأرسل إليك ما وعدتك به، فمكاتب البريد السريعة هناك أكثر ثقة من هنا.. ربما كان

على القول؛ أنني أعيش بمفردي الآن.. حيث أنه لم يعد ممكنًا استئجار من يساعدني بعد الآن، فلا أحد هناك قد يرغب في البقاء هنا بسبب تلك الأشياء التي تحاول الاقتراب من البيت في المساء، والتي تجعل الكلاب تنبح طوال الوقت.. إنني سعيد لأنني لم أنغمس في هذا العمل حين كانت زوجتي على قيد الحياة، فأمور كهذه كانت لتدفعها نحو الجنون وقتها بلا شك..

أتمنى ألا أكون قد سببت لك الكثير من الإزعاج.. كما أتمنى لو قررت خوض الأمر معي، وألا تلقي بهذا الخطاب في سلة المهملات، وكأنها مجرد هذيان مجنون."

المخلص:

هنري دابليو آكيلي.."

(ملحوظة، لقد صنعت بعض النسخ من صور معينة التقطتها بنفسي، أعتقد أنها قد تساعد في توضيح بعض النقاط التي تناولتها. لقد رآها بعض العجائز هنا وقد أثارت فزعهم بصورة مريعة. إنني سوف أرسلها لك على الفور لو أثار الأمر اهتمامك)..

كان من الصعب وصف مشاعري، وأنا أقرأ هذا الخطاب الغريب للمرة الأولى.. كان من المنطقي أن أسقط في الضحك متهكمًا من ذلك الخطاب الأكثر تطرفًا من كل النظريات الأخرى التي نالت سخريتي قبل ذلك.. لكن شيئًا ما توارى بين كلمات الخطاب، جعلني، وبصورة متناقضة آخذ ما قيل في الخطاب مأخذ الجد.. لم يكن هذا لأنني أؤمن ولو للحظة؛ بالجنس الخفي القادم من خلف النجوم، والذي تحدث عنه صاحب الخطاب.. لكن لأنني كنت أشعر أن الرجل عاقل وأمين في وصفه لتلك الظاهرة الشاذة، والتي لم يقدم تفسيرًا لها غير تلك التخمينات.. ربما لم يكن الأمر مثلما تخيل كما أؤمن.. لكن ومن ناحية أخرى ربما كان الأمر يستحق النظر، فالرجل كان مهتاجًا وقلقا بصورة مفرطة، بشأن شيء ما.. لكنه كان عسيرًا تخيل صدق ما يعتقده..

كان محيرًا؛ أن الرجل بدا منطقيًا ودقيقًا في بعض النقاط.. بل وكان كل ما يحكيه يتوافق بصورة غريبة مع بعض الأساطير القديمة.. بل وكان يتماشى بصورة أكبر مع الخرافات الهندية الأكثر غرابة..

ورغم استنتاجاته المجنونة التي افترضها؛ مثل ذلك الحديث عن الرجل المجنون الذي يعتقد أنه جاسوسًا لهؤلاء المخلوقات، وأنه قتل نفسه في النهاية؛ إلا أن حديثه عن الأصوات الغامضة في الغابة والحجر الأسود الذي تحدث عنه كان ممكن التصديق..

كان من السهل القول بأن الرجل مجنون، لكن بعض المنطق الغريب ظل هناك في حديث السيد (أكيلي) الذي يؤمن بصدق حكايته.. لقد تحدث الرجل عن صعوبة استئجار بعض الجيران لمساعدته، وربما كان هذا وكما يبدو لأنهم يؤمنون مثله؛ أن بيته صار محاصرًا بكيانات خارقة للطبيعة في المساء..

غير ذلك؛ كان هناك تسجيل (الفونوغراف) والذي كان من المستحيل أن أصدق تلك الطريقة التي ذكر أنه حصل على التسجيل بواسطتها.. ربما كان الأمر مجرد أصوات حيوانية غامضة، والتي قد تبدو بشكل خادع كصوت بشري، أو ربما كانت أصوات بعض البشر البدائيين الذين يعيشون في الغابة، والذين قد انحدروا حتى صاروا في مرتبة لا ترتفع كثيرًا عن الحيوانات الدنيا؛ لهذا فقد اتجه تفكيري ثانية نحو الحجر الأسود ذو الكتابات الهيروغليفية؛ لتخمين ما قد يعنيه شيء مثل هذا..

أيضًا؛ كان هناك تلك الصور التي تحدث (أكيلي) أنه على وشك إرسالها لي، والتي وجد العجائز ما يثير الرعب فيها باقتناع تام..

وعندما أعدت قراءة المكتوب بخط اليد مرة أخرى؛ شعرت كما لم أشعر من قبل.. أن خصومي السذج ربما قد يمتلكون في جعبتهم الكثير من الحيل التي لا أتخيلها.. في النهاية؛ ربما يكون هناك بعض المخلوقات المشوهة المنبوذة، والتي قد تحيا في تلك التلال المحرمة.. لكن من المؤكد

أنه لا وجود لمثل تلك الأجناس القادمة من النجوم كما تزعم الحكايات الشعبية، وحتى لو وجدوا، فلن يكون العثور على بعض الأجساد الغريبة غارقة في مياه الفيضان بالدليل الكافي على وجودهم..

هل كان وقاحة الزعم بأن الأساطير القديمة، والتقارير الحديثة تحوي قدرًا كبيرًا من الحقيقة وراءها؟.. ورغم أني ممتلئ بالشكوك؛ إلا أنني شعرت بالخجل من نفسي، و قد هيج كل تلك الأفكار في رأسي؛ مثل هذا الخطاب العجيب من (هنري أكيلي) الغريب..

في النهاية؛ أرسلت الرد على خطاب السيد (أكيلي) متظاهرًا بالشغف ومتلمسًا المزيد من التفسيرات.. جاء رده على الفور، وقد أوفى الرجل بوعده وأرسل العديد من الصور لآثار ومشاهد توضح ما أخبرني به.. أخرجت الصور من غلافها، وما إن بدأت النظر إليها.. حتى شعرت بشعور مبهم من الخوف، والدنو من أشياء محرمة، ورغم عدم وضوح معظم الصور؛ إلا أنها بعثت في نفسي الشعور بقوى ملعونة داخل تلك الصور التي لا شك في أنها حقيقية..

وكلما نظرت للصور مرة بعد مرة، كلما ازداد يقيني أن تقديري المستهين للسيد (أكيلي) وقصته غير عادل.. فبالتأكيد حملت هذه الصور دليلاً قاطعًا على أن هناك شيئًا ما في تلال (فيرمونت) وهو على أقل تقدير خارج نطاق معرفتنا واعتقادنا..

أما أسوأ شيء في كل هذا، فقد كان صور آثار الأقدام والمخالب الغريبة.. كانت تلك الصور قد التقطت لبقعة من الوحل تغمرها أشعة الشمس فيما بدا كنجد مهجور، وكان من المستحيل أن يكون كل هذا مجرد تزوير رخيص..

كنت أسمي هذا الشيء (آثار أقدام) لكن في الحقيقة كان تعبير (آثار المخالب) أكثر صدقًا، وحتى الآن ورغم كل هذا الوقت، فإنه من العسير بمكان وصف تلك الأشياء..

لكن لتوفير الجهد؛ لنقل أنه مثل أثر مخالب السرطان البحري.. كان من الصعب تحديد اتجاه تلك المخالب بالضبط؛ هل تتجه نحو المزرعة أم تبتعد عنها؟.. لم تكن عميقة جدًا ولا حديثة جدًا، وكانت في نفس حجم قدم الإنسان.. كانت النقوش على الوحل تظهر قدمًا مركزية، وقد برز منها زوجين من الكلابات المسننة في عكس اتجاه القدم.. كان محيرًا محاولة التفكير في وظيفة تلك الكلابات.. هذا لو كان العضو كله مسئولاً عن الحركة..

كانت هناك صورة أخرى؛ ألتقطت في الظل لمدخل كهف في الغابة، وكان هناك جلمود ضخم مكتمل الاستدارة يوشك على ابتلاع المدخل كله، وفي الأرض العارية أمام الكهف بدا، وكان هناك شبكة كثيفة من الخطوط والآثار العجيبة، وعندما درست الصورة بعدسة مكبرة كان من

العسير التأكد من أن تلك الآثار كانت تشبه تلك الأشياء في الصور الأخرى..

أظهرت الصورة الثالثة شيئًا يشبه دائرة من الأحجار القائمة في قمة تل بري، وحول الدائرة الغامضة كان العشب متآكلاً بشدة وبال، ورغم هذا فلم أر في تلك الصورة أي آثار أقدام حتى مع استخدام العدسات المكبرة.. بدا المكان موحش بصورة كبيرة، وكان هذا جليًا من تلك الجبال المترامية الأطراف، والممتدة حتى الأفق في الخلفية..

وإن كان أكثر ما يثير الإزعاج في الصور هو آثار الأقدام تلك، فإن أكثر الأشياء المثيرة للفضول كان ذلك الحجر الأسود الكبير الذي وجد في غابات التل المقبب.. قام (أكيلي) بتصوير الحجر من أعلى منضدة وضعه عليها؛ ليفحصه في مختبره كما أعتقد؛ حيث كان بإمكاني رؤية رفوفًا من الكتب وتمثال نصفي لـ (ميلتون) في خلفية الصورة.. كان الشيء تقريبًا كما يمكن للشخص أن يخمن في مواجهة الكاميرا بشكل عمودي مع سطح منحن غير منتظم بصورة ما، ويبلغ حجمه قدمًا في قدمين.. لكن أي محاولة لوصف سطح الشكل العام بصورة متقنة كان شيئًا خارج نطاق اللغة، فأي مقاييس هندسية غريبة تحكمت في تشكيل هذا الحجر. والذي حتمًا تم قطعه بصورة صناعية تمامًا - لم يكن بإمكاني حتى مجرد التخمين.. بل ولم أر أبدًا من قبل شيئًا صدمني بغرابته، وشكله الفريد في العالم مثل هذا الحجر.. أما عن الهيروغليفية المطبوعة على

سطحه، فقد أمكنني قراءة القليل منها.. لكن شيئًا أو اثنين مما رأيته أصابني بصدمة جديدة..

بالطبع يمكن أن يكون كل هذا خداع، وخاصة ممن قرأوا ذلك الكتاب المقيت (النيكرونوميكون) لذلك الشاعر العربي المجنون (عبدالله الحظرد) مثلي.. لكنني رغم هذا ارتجفت رعبًا، وأنا أدرك كنه تلك النقوش الرهيبة، وأربط بينها وبين ما تعلمته عن تلك الأشياء المجمدة للدماء، والهمسات الأكثر كفرًا لكيانات نصف مجنونة؛ وجدت قبل وجود الأرض نفسها.. بل والعوالم الأخرى من المجموعة الشمسية..

أما الصور الخمس الباقية، فقد كان ثلاث منها مجرد مشاهد لتل ومستنقع، والتي بدا وكأنها تحوي بعض الأثر لأشياء غامضة، وأظهرت صورة أخرى أثرًا غريبًا بالقرب من منزل (أكيلي) والتي يقول؛ أنه قد التقطها في الصباح بعد ليلة ظلت الكلاب فيها تنبح بجنون.. كانت الصورة غير واضحة تمامًا، وكان عسيرًا أن يشكل المرء استنتاجًا واضحا منها، ولكنها بدت بشكل شرير قريبة الشبه لأثر المخالب الموجود في الصور الأخرى للنجد المهجور..

وكانت الصورة الأخيرة لمنزل (أكيلي) نفسه.. منزل أبيض مرتب من طابقين، وغرفة علوية.. يناهز القرن وربع القرن عمرًا، وحوله كانت

حديقة ذات عشب مهذب بعناية، وطريق حجري ينتهي بمدخل مشيد على الطراز الجورجي..

كان هناك العديد من الكلاب البوليسية الضخمة على العشب، وقد قبعت قبالة رجل لطيف الوجه ذو لحية خفيفة رمادية، والذي أعتقد أنه السيد (أكيلي) نفسه..

تركت الصور وعدت ثانية للخطاب الضخم المرافق للصور، وخلال الساعات الثلاث التالية؛ غرقت في محيط لا يوصف من الرعب، وبينما تحدث (أكيلي) عن الخطوط العامة في خطابه السابق، فقد اندفع هذه المرة في التحدث عن التفاصيل.. تحدث عن الكلمات الغامضة الطويلة التي تتردد في الغابات في الظلام، والحشود الكبيرة من الكيانات الوردية المرعبة التي كانت تتجسس عليه في الغسق من فوق التلال، ثم وصولاً للقصة الكونية الفظيعة المتعلقة بتلك الحضارة الأصيلة المختلفة، والتي سمعها تتردد من قبل على لسان ذلك الجاسوس الذي ادعى الجنون قبل أن يقتل نفسه.. وجدت نفسي في مواجهة أسماء، ومصطلحات مريعة (ياجوث، ريهليه نيارلاثوتب أزاوث، كاثلو العظيم، هاستور، يان، لينج، بحيرة هالي، بيسمورا، والعلامة الصفراء: لومير كاثلوس، بران وانوميتنداتم العظيم) قبل أن يجذبني للماضي السحيق نحو أزمنة غير معروفة، وأبعاد لا تصدق من عوالم الكيانات القديمة، والتي تمكن ذلك المؤلف المجنون لكتاب (النيكرونوميكون) من تخيله بصورة ضبابية..

شعرت بالدوار، وبينما كنت مستعدًا من قبل لتقديم تفسيرات مختلفة لمثل تلك الظواهر؛ وجدت نفسي مستعدًا للإيمان بأكثر الأشياء غرابةً وغموضًا.. كانت الأدلة كثيرة وكاسحة.. كما كان للسلوك العلمي المحايد لـ (أكيلي). هذا السلوك البعيد كل البعد عن الخيال، والتعصب والهيستريا - أكبر الأثر في تفكيري وحكمي، وبعد هنيهة تركت الرسالة المخيفة جانبًا، حتى يمكنني أن أستوعب كل تلك المخاوف التي راحت تجول في نفسي، وصرت مستعدًا تمامًا لبذل كل مسعى لإبعاد الناس عن تلك التلال المهجورة..

وحتى الآن، وقد تكفل الزمن بمحو الكثير من مخاوفي والذهاب بالكثير من تساؤلاتي، فقد ظلت هناك أشياء في خطاب (أكيلي) لا يمكنني استعارتها، أو حتى محاولة وصفها في كلمات.. إنني سعيد تمامًا؛ لأن الخطاب والتسجيلات والصور قد ذهبت الآن.. كما تمنيت ولأسباب سوف أوضحها بعد قليل؛ أن الكوكب الجديد الذي يلي (نبتون) لم يكتشف أبدًا..

ومع قراءة هذا الخطاب؛ أنهيت أي نقاش يتحدث عن أساطير (فيرمونت) المرعبة.. دون أن أمنح خصومي - كما وعدتهم - إجابات مقنعة لتساؤلاتهم، وفي النهاية انتهى هذا الخلاف بالنسيان، وخلال الفترة الأخيرة من مايو ويونيو؛ قمت بمراسلات دائمة مع (أكيلي) وكي لا يفقد

خطاب ما بيننا؛ اتفقنا على إرسال كل خطاب أكثر من مرة، ومن مكاتب بريد مختلفة..

ما الذي كنا نحاول القيام به؟!..

حسنًا.. كان كل ما في الأمر؛ أننا صرنا نعقد المقارنات بين تفاصيل الأساطير الشعبية الغامضة، ووصلنا لعلاقة أكثر وضوحًا تربط بين أساطير (فيرمونت) المرعبة، والأساطير العالمية البدائية..

أولاً؛ اتفقنا أن حالاتنا في (فيرمونت) مماثلة لكائنات (ماي جو) في قمم (الهملايا) الشيطانية، وكذلك حكايات الجاثوم، وتجادلنا كذلك بخصوص الممصات الحيوانية التي توجد في مقدمة تلك الأشياء، وكم وددت حينها لو سألت الدكتور (دكستر) في جامعتي عنها.. لكن أوامر (أكيلي) كانت صارمة في ألا نخبر أي أحد آخر عن الأمر..

إنني أعصي مثل هذا الأمر الآن؛ فقط لأنني أعتقد أن التحذير من تلال (فيرمونت) النائية، وقمم (الهيمالايا) الشاهقة التي تزداد رغبة المغامرين في تسلقها؛ صار أمرًا حتميًّا من أجل سلامة الجميع..

الشيء الوحيد الذي كنا على وشك بلوغه؛ هو فك شفرة الهيروغليفية المرسومة على الحجر الأسود المجهول.. كان حل مثل هذه الشفرة يضع بين أيدينا أسرارًا أعمق، وأكثر إثارة من أي سر عرفه البشر من قبل..

III

بحلول نهاية يونيو؛ وصلني تسجيل (الفونوغراف) مشحونًا من (براتلبورو) وذلك لأن (أكيلي) لم يعد يثق في خطوط البريد هناك في الشمال.. ازداد توجسه من أن هناك من يتعقبه، وازداد هذا الشعور مع ضياع بعض الخطابات بيننا. راح يتكلم كثيرًا عن الأعمال الشريرة التي يقوم بها بعض الرجال الذي يعتقد في كونهم اتباعًا وجواسيسًا لتلك الكيانات الغامضة..

كانت أكثر شكوكه تنصب في ذلك المزارع الفظ المدعو (والتر براون) والذي كان يعيش وحيداً في كوخ واقع على سفح التل قرب الغابة.. كان يشاهد ذلك الرجل كثيرًا، وهو يتسكع في أزقة (براتلبورو و بيلوز فالز. ونيو فان، وغيرها) بصورة غير مبررة، ومثيرة للشكوك..

كان واثقًا كذلك؛ أن صوت (براون) هو أحد تلك الأصوات التي سمعها في تسجيلات (الفونوغراف) كما وجد غير مرة أثر تلك المخالب أو الأقدام الغامضة بالقرب من كوخ (براون) وكان شيئًا كهذا يعني بلا

شك تفسيرات شنيعة.. بل والأكثر هولاً؛ أن آثار المخالب تلك كانت ترى بالقرب من آثار أقدام (بروان) نفسه..

ولهذا، فقد أرسل التسجيل في طرد بريدي من (براتلبورو)، وبينما كان (أكيلي) يقود سيارته (الفورد) عائدًا لمزرعته؛ كان يشعر وللمرة الأولى بالخوف من تلك الطرق.. بل ولم يجرؤ على دخول أي طريق فرعي للتزود بالوقود حينها إلا في وضح النهار. وفي قرارة نفسه كان يؤمن الحذر لنْ يجد الأن وأن الحل الوحيد المتاح أمامه هو أن يبتعد كثيرا عن تلك التلال المسكونة المثيرة للمتاعب.

كان ينوي الذهاب إلى (كاليفورنيا) في أقرب وقت؛ ليعيش هناك مع ابنه، رغم أنه كان من الصعب الرحيل عن مكان يحمل كل ذكريات المرء وأسلافه..

وقبل أن أشغل التسجيل باستخدام جهاز (فونوغراف).. استعرته من إدارة الجامعة؛ دار في عقلي كل التفسيرات المختلفة لمسألة (أكيلي).. كان قد ذكر أن هذا التسجيل تم تسجيله في الواحدة صباحًا يوم الأول من مايو لعام 1915.. بالقرب من الفوهة المغلقة لكهف يقع قرب الغابة الواقعة في سفح الجبل المظلم بجوار بحيرة (ليز).. كانت هناك ضوضاء غير معتادة في المكان، وكان هذا هو السبب الذي جعله يفكر في جلب أغراضه لتسجيل تلك الأصوات، حتى نجح بالفعل في تلك

الليلة في تسجيل أصوات ما.. رغم أنه وبعدها؛ لم يسمع أي أصوات في تلك البقعة مرة أخرى..

وخلافًا لأغلب الأصوات التي قد تسمع في الغابة.. كانت الأصوات في التسجيل أشبه بتراتيل طقسية، واحتوت على صوت ربما كان ينتمي لأحد البشر.. لكنه لم يتمكن أبدًا من تحديد هويته.. لم يكن صوت (براون) وبدا وكأنه صوت لفلاح مسن.. أما الصوت الثاني؛ فقد كان صلب الموضوع، كان هناك تلك الهمهمة الملعونة التي لا تنتمي لعالم البشر.. رغم الكلمات البشرية التي نُطقت بلغة إنجليزية فصيحة..

لم يعمل الميكروفون والمسجل بصورة متجانسة، وشكل هذا عيبًا خطيرًا في ذلك التسجيل الطقسي نظرًا لبعد الصوت وخفوته؛ ولهذا لم يكن الكلام واضحًا تمامًا.. لكن (أكيلي) أرسل لي في الخطاب بعض الفقرات التي يعتقد أنها هي الكلمات التي تُنطق في التسجيل..

عدت لأقرأ ما كتب ثانية، وأنا أشغل الأسطوانة.. كان النص غامضًا مثيرًا للرهبة أكثر منه مرعبًا.. غير أن معرفة أصله، والظروف التي أحاطت بتسجيله؛ منحته الرعب الذي تعجز الكلمات عن وصفه.. سوف أكتب النص هنا كاملاً كما أتذكره ، وأنا كلي ثقة أنني أنقله بصورة صحيحة، فما زلت أذكر النص الذي أرسله (أكيلي) والتسجيل الذي استمعت إليه مرارًا ومرارًا.. في النهاية؛ كان هذا شيء ليس من السهل أن ينساه المرء..

(صوت يصعب تمييزه)

(صوت بشري)

..إنه سيد الغابة.. حتى إلي.. وهدايا رجال لينج.. لذا من آبار الليل إلى خلجان السماء.. ومن خلجان السماء إلى آبار الليل.. التحيات الدائمة لـ (كاثلو المعظم).. والذي لا يجب تسميته.. التحيات الدائمة الوافرة للكبش الأسود في الغابة .. لاااا .. شووب نيجراس!.. الكبش الذي له ألف ولد..

(صفير يشبه الصوت البشري)

لاا !.. سووب نيجراس! الكبش ذو الألف ولد..

(صوت آدمي)

"وقد جاءت لتعبر لسيد الغابة.. كانت.. سبعة وتسعة.. أسفل خطوات الجزع.. الصلوات ثلاثًا له في الخليج .. (أزاوث).. هو الذي فوق وعلمنا (مارف).. . على أجنحة الليل بالخارج خلف الفضاء.. بالخارج خلف (سو) .. ذلك الذي (ياجوس) هو طفله الأصغر.. يتموج لوحده في الأثير المظلم على الحافة"..

(صوت طنين)

أخرج بين الرجال وجد الطريق من ذلك.. وذلك كي يعرف ذلك الذي في الخليج.. إلى (نيارلاثوتب) .. الرسول الهائل.. والذي يجب أن يعرف كل شيء.. وهو الذي سوف يضع عليه شكل الرجال.. القناع الشمعي والعباءة التي تخفي.. وسوف يهبط من عوالم الشموس السبع إلى الضلال..

(صوت آدمي)

نيارلاثوتب.. الرسول الهائل.. من يحمل البهجة العجيبة لـ (يوجوث) عبر الفراغ.. الوالد لمليون واحد محبوب.. والملاحق بين..

(نهاية التسجيل)

كانت هذه هي الكلمات التي سمعتها حين شغلت (الفونوغراف) كانت تحمل لمحة من الفزع.. وصلني هذا بمجرد أن خفضت ذراع (الفونوغراف) وبدأت الخدوش الأولية لالتحام الذراع على الياقوتة.. كنت محظوظًا لأن الكلمات الأولى المتقطعة، والتي سمعتها من (الفونوغراف) كاملة، كانت بصوت بشري مهذب يحمل لكنة أهالي (بوسطن) والتي لا يتحدث بها سكان تلال (فيرمونت) وبينما كنت أستمع لإعادة التسجيل الخافت بصورة مرهقة؛ رحت أكتشف أن التسجيل يتطابق تمامًا مع ما كتبه (أكيلي) كان هناك من يهتف بالفعل..

" لا.. سوب نيجوراس.. الكبش ذو الألف ولد "..

بعدها؛ سمعت الصوت الآخر، وحتى هذه الساعة ما زلت أرتجف كلما أتذكر كم صدمني هذا الصوت.. رغم أن (أكيلي) قد مهدني قبلها لأمر كهذا، ورغم أني لو عرضت التسجيل على البعض، فربما لن يروا فيه غير جذعة رخيصة مجنونة.. بالطبع لم يكن لأيهم أن يشعر باللعنة فيه، وخاصة أن أيهم لم يقرأ رسائل (أكيلي) وخاصة الخطاب المريع الثاني.. كما أعتقد أنهم كانوا ليفكروا بطريقة أخرى لو قرأوا تلك الخطابات..

في النهاية؛ رأيت أنه كان من الحكمة حينها؛ ألا أعصي أوامر (أكيلي) بعدم إذاعة الأمر.. بل وكان من رحمة الله كذلك؛ أن كل مراسلاتنا والخطابات قد فقدت..

بالنسبة لي، فقد كان انطباعي الأول عن ذلك الصوت مع علمي بما رافق تسجيله من ظروف وخلفية؛ هو أن هذا الصوت شيء مخيف، فقد أتى مباشرة بعد الصوت البشري في رد فعل طقسي، وفي خيالي بدا الصوت كصدى مريع يأتي من تلال بعيدة، ويشق طريقه بوحشية نحو هوة بلا قرار..

لقد مضى أكثر من عامين منذ آخر مرة أدرت فيها التسجيل.. لكنني وحتى هذه اللحظة.. بل وفي كل لحظة من حياتي؛ لازال يتردد في رأسي ذلك الرنين الضعيف الشرير كما سمعته أول مرة..

"لااااا.. سوب نيجوراس.. الكبش ذو الألف ولد.. "

ورغم أن الصوت ظل يتردد داخل أذني؛ إلا أنني لم أعد قادرًا على تحليله بصورة كاملة كالسابق.. كان يبدو كطنين حشرات ضخمة تحاول نحت أصواتها لتشبه أصوات كائنات غريبة، وكان لدي يقين أن الأعضاء التي تصدر مثل هذا الصوت لا يمكن أن تشبه أحبالنا الصوتية.. بل ولا أي أحبال صوتية لمخلوق أرضي.. كان هناك نبرة عجيبة في الصوت؛ في تردده، وصداه.. شيء جعل منه ظاهرة خارج مجال الحياة الأرضية أو الإنسانية..

كان ظهور الصوت المفاجئ قد أربكني في المرة الأولى.. حتى أنني أكملت الاستماع لباقي التسجيل في ذهول تام..

انتهى التسجيل في النهاية مرة واحدة.. أثناء ذلك كان هناك صوت بشري واضحًا تمامًا؛ يتحدث بلكنة أهل (بوسطن) توقفت آلة التسجيل بشكل آلي.. بينما تجمدت بمكاني كلوح من الخشب؛ أحدق في الفراغ في غير فهم لأمد طويل..

أعدت سماع التسجيل أكثر من مرة، وبذلت كل الجهد في تحليل ومقارنة ما أسمعه مع ملاحظات (أكيلي) سيكون مضيعة للوقت؛ أن أكرر هنا كل ما توصلنا إليه.. لكنني أود أن اشير إلى أننا اتفقنا على توصلنا لفكرة

واضحة عن أصل أغلب العادات المقيتة في المعتقدات الدينية القديمة للبشرية..

كان يبدو كذلك لنا؛ أن تحالفًا محكمًا قد عقد قديمًا بين تلك الكيانات الفضائية، وبين أفراد معينة من البشر.. لكن كيف سار ذلك التحالف؟.. وكيف حاله في أيامنا هذه مقارنة بالماضي؟!.. لا فكرة لدينا.. كان واضحًا أن هناك رابطًا شريرًا بالغ القدم؛ يربط تلك الكائنات التي لا إسم لها مع أجيال عدة من البشر..

كان منشأ تلك الخرافات كوكب (ياجوس) المظلم الواقع على حافة المجموعة الشمسية، وكان هذا هو المدخل الرئيسي للكثير من مخلوقات النجوم المخيفة.. التي أتت من أكوان أعظم غير معروفة..

خلال ذلك؛ انهمكنا في دراسة الحجر الأسود، والتفكير في أفضل وسيلة لنقله لـ (آرخام). رأى (أكيلي) أنه من غير المستحسن أن أزوره في مختبره حيث يقوم بأبحاثه المريعة، ولسبب ما لم يثق (أكيلي) في أي وسيلة نقل يمكنه أن يرسله إلي عن طريقها.. كان رأيه النهائي؛ هو أن ينقله عبر المقاطعة إلى (بيلوز فالز) ثم يشحنه عبر البريد الواصل بين (بوسطن) و(مين)..

لكنه، وحتى مع هذا الترتيب كان عليه أن يقود سيارته عبر طرق معزولة تخترق التلال والغابات البعيدة.. مع ما تحمله مثل تلك الطرق من

أخطار.. كان يعتقد أنه شاهد أحدهم يتتبعه أثناء إرساله تسجيل (الفونوغراف) لي، وأن هذا الرجل تحدث بلهفة شديدة مع محاسب مكتب الشحن قبل أن يستقل بسرعة؛ القطار الذي يسير في نفس اتجاه الطرد المشحون، وأخبرني (أكيلي) أنه لم يشعر بعدها بالراحة إلا حين أخبرته؛ أن الطرد وصلني بأمان..

أثناء ذلك الوقت، وفي الأسبوع الثاني من يوليو؛ ضاعت رسالة ثانية أرسلتها لـ (أكيلي) رحت أرى؛ كيف صار الرجل أكثر توترًا؟.. وكان هذا جليًا في ذعره من ازدياد نباح كلابه في الليالي غير المقمرة، والآثار الحديثة للمخالب التي كان يجدها أحيانًا على الطريق، أو على وحل حظيرة حيواناته الواقعة خلف المزرعة في الصباح..

وكان هذا حين تحدث عن جيش كامل من آثار تلكم المخالب الذي امتد باستقامة في مواجهة آثار أقدام الكلاب.. التي تفوقت ليلتها على نفسها في النباح والعواء..

وفي صباح الثامن عشر من يوليو؛ وصلتني برقية من (بيلوز فالز) والتي أظهرت أن (أكيلي) قد أرسل لي الحجر الأسود على متن القطار رقم (5508) والذي يغادر (بيلوز فالز) في (12:15 ظهرًا) ويصل للمحطة الشمالية لـ (بوسطن) في (04:12 عصرًا) توقعت أن يصل الخطاب لـ

(آرخام) ظهر اليوم التالي؛ ولهذا فقد مكثت بانتظارها منذ الصباح يوم الخميس..

لكن الظهر؛ أتى وولى دون أن يظهر الطرد، وعندما هاتفت مكتب البريد السريع؛ أخبرني العامل أنه لا طرود قد وصلت المكتب باسمي.. فكرت في أن أتصل بوكالة الشحن في محطة قطار (بوسطن) الشمالية، وفاجئني أن أعلم حين اتصلت أن طردي قد اختفى.. لقد وصل القطار رقم (8805) متأخرًا في ذلك اليوم حوالي (35 دقيقة)، لكنه لم يكن يحمل أي طرد باسمي.. وعدتني وكالة الشحن بالتحقق من الأمر، وأنهيت ذلك اليوم بإرسال خطاب لـ (أكيلي) أخطره فيه بتلك التطورات..

وصلني تقرير من وكالة الشحن في (بوسطن) في عصر اليوم التالي؛ أخبروني فيه أن حادثة ذكرها محصل التذاكر في قطار رقم (8805)، وربما كانت تتعلق بشأن خسارتي لطردي المشحون.. قال المحصل؛ أنه رأى رجلاً غريباً مثيرًا للريبة، ريفي المنظر ومغبر؛ حين كان القطار متوقفًا في (كين) في تمام الساعة الواحدة..

بدا الرجل مهتمًا بصندوق ضخم.. وادعى أنه كان من المفترض أن يصله ذلك اليوم.. لكنه لم يجده داخل القطار، أو حتى في أرشيف شركة الشحن.. أخبرهم أنه يدعى (ستانلي أدمز) في صوت غريب، وبعدها شعر المحصل بالتشوش، والنعاس بصورة غريبة..

لا يتذكر المحصل بصورة واضحة؛ كيف انتهت تلك الحادثة؟!.. لكنه لم يفق تمامًا من هذا التشوش؛ إلا حين عاد القطار للتحرك ثانية.. أضافت الوكالة في تأكيد أن هذا المحصل الشاب، صغير السن.. كان دومًا أهلاً للثقة، وأنه معروف في الشركة بالأمانة منذ وقت طويل..

في ذلك المساء ذهبت إلى (بوسطن) للقاء ذلك المحصل شخصيًّا، وكنت قد حصلت على اسمه وعنوانه من مكتب الوكالة.. كان شابًّا مهذبًا في الواقع.. لكنه ولسوء الحظ؛ لم يضف المزيد عما حكاه من قبل، وللغرابة أكد لي أنه بالكاد يمكنه التعرف على ذلك الشخص الغريب الذي صادفه في القطار، وعندما أدركت أنني لن أجد لديه ما يضيفه لي؛ عدت إلى (آرخام) حيث ظللت أكتب حتى الصباح خطابًا لـ (أكيلي) لأخبره بتلك التطورات، ثم كتبت آخرًا لقسم الشرطة، وثالثًا لوكيل المحطة في (كين)..

اعتقدت يومها؛ أن ذلك الرجل الغريب ذو الصوت الغريب؛ لابد وأن يكون له دورًا ما في فقدان الطرد المشحون، وتمنيت لو أخبرني موظفو المحطة في (كين) أو موظفو مكتب (التلغراف) بأي شيء عن الرجل، ومتى وأين وكيف قام بفعلته؟ !!..

كان علي؛ أن أعترف أن كل تحقيقاتي باءت بالفشل، وأنني لم أصل لأي شيء، فالرجل ذو الصوت الغريب قد لوحظ بالفعل في محطة (كين) في

فترة ما بعد الظهيرة في الثامن عشر من يوليو، كما شوهد برفقته أحد المتسكعين، وهو يحمل صندوقًا ثقيلاً.. لكنه رغم هذا كان مجهولاً تمامًا، ولم يره أي شخص في المكان من قبل، فهو لم يرسل أو يتسلم أي برقية من قبل، كما لم يكن هناك ذكر لأي خطاب يتحدث عن منح الطرد الذي يحوي الحجر الأسود في قطار (5508) لأي شخص في المحطة..

كان من الطبيعي أن ينضم لي (أكيلي) في هذا التحقيق.. بل وأن يقوم بزيارة شخصية للمحطة؛ ليتحقق بنفسه من الأمر في المحطة.. لكنه بدا، وكأنه تقبل الأمر بمرونة أكبر مني؛ بدا وكأنه يعتبر فقدان الصندوق أمرًا حتميًّا رغم كل شيء، وأنه لا أمل على الإطلاق في استعادته ثانية.. راح يتحدث عن القوى التخاطرية التليباثية.. التي تمتلكها كيانات التلال بصورة مؤكدة، وتتواصل بها مع أعوانها، وفي خطاب آخر أشار إلى أنه يعتقد؛ أن الحجر لم يعد الآن في أي مكان بالكرة الأرضية..

من ناحيتي؛ كنت أشعر بالغضب؛ لفقدان فرصة ثمينة لتعلم المزيد من الأمور المذهلة والمذكورة في تلك الكتابات الهيروغليفية القديمة، وكان الأمر ليصيبني بالمرارة لولا تلك الخطابات التي توالت بعدها من (أكيلي) وهو يشرح لي التطورات المريعة التي تحدث، والتي شغلت جل انتباهي..

راحت تلك الكيانات المجهولة.. كما ذكر (أكيلي) في خطابات تقطر بالرعب.. في ملاحقته بصورة أكبر، وبدرجة مخيفة من التصميم.. صار

النباح الليلي للكلاب متواصلاً؛ سواء كان القمر بازغًا أم مختفيًا.. كما كانت هناك محاولات حثيثة؛ لإيذائه أثناء قيادته السيارة في الطرق المنعزلة حين يخترقها..

وفي الثاني من أغسطس، وبينما كان يتجه للقرية بسيارته؛ فوجئ بجذع شجرة يعترض طريقه في بقعة يمر فيها الطريق السريع عبر مكان عميق من الغابة.. كان النباح الوحشي للكلبين الضخمين الذين كانا معه؛ هو ما أبعد عنه تلك الأشياء في تلك المرة، ولم يجرؤ أبدًا على تخيل ما الذي كان ليحدث له؛ لو لم يكن برفقة الكلبين.. بعدها لم يعد يغادر مزرعته؛ إلا ومعه اثنين من كلابه المخلصة القوية على الأقل..

جاءت حوادث الطريق اللاحقة له في الخامس والسادس من أغسطس.. في المرة الأولى؛ كان هناك طلقة نار صوبت نحو سيارته، وفي المرة الثانية؛ كان نباح الكلاب مرة أخرى هو ما أخبره بوجود مخلوقات الغابة السيئة حوله..

وفي الخامس عشر من أغسطس؛ وصلني خطاب مسعور أزعجني كثيرًا، وجعلني أتمنى لو نسي (أكيلي) رغبته في كتمان الأمر كله، وطلب مساعدة الشرطة.. كان هناك حدثًا مخيفًا قد جرى في ليلة الثاني عشر؛ حيث راحت طلقات النيران تتطاير حينها حول المزرعة. وفي الصباح وجد (أكيلي) ثلاثة من كلابه الاثنى عشر؛ قد قتلوا بالرصاص.. كان هناك

الكثير من آثار المخالب؛ مطبوعة على الطريق، وكان في وسطها أثر أقدام (والتر براون)..

وعلى الفور اتصل (أكيلي) تليفونيًا بـ (براتلبورو) لطلب المزيد من الكلاب.. لكن خط الهاتف انقطع على الفور قبل أن يكمل طلبه.. بعدها ذهب إلى (براتلبورو) بالسيارة، وهناك علم أن الكابل الرئيسي للهاتف قد قطع في مكان ما من تلك التلال المهجورة شمال (نيو فان)..

كتب خطابًا لي، وأرسله من مكتب بريد (براتلبورو) ثم عاد بلا إبطاء ثانية لمزرعته مع أربعة كلاب جدد أقوياء، وعدة صناديق من الذخيرة لبندقيته الكبيرة..

كان موقفي في ذلك الوقت ينزلق من الاهتمام العلمي بالأمر إلى الخوف الشخصي على صديق.. كنت أخاف على (أكيلي) القابع بمفرده في مزرعة بعيدة منعزلة، وكان هناك بعض الخوف على نفسي؛ لتورطي في أمور تلك التلال المريعة.. لقد بدأت تلك الأشياء في مغادرة مكمنها كما أرى، فهل تفكر يومًا في الظفر بي؟!..

رجوته في ردي على خطابه؛ أن يبحث عن المساعدة.. بل وأشرت إليه أنني قد أقدم على فعل هذا الأمر بنفسي لو لم يفعل.. تحدثت عن رغبتي في زيارته في (فيرمونت) بصورة شخصية.. رغم عدم ترحيبه بالأمر من

قبل؛ كي أساعده في توضيح الأمر للسطات المعنية، وفي المقابل ورغم هذا؛ وصلتني فقط برقية من (بويلز فالز) كان فيها..

"أقدر موقفك.. لكن أتمنى

ألا تقدم على فعل أي شيء؛

لأن هذا قد يضر كلينا،

انتظر مني التفسير"

هنري أكيلي..

لكن القضية كانت تسوء باضطراد، وفور ردي على البرقية؛ وصلني ملاحظة صادمة من (أكيلي)؛ أنه لم يرسل أبدًا أي برقية لي، ولم يصله مني الخطاب الذي أرسلته قبل البرقية المزيفة..

التحقيق العاجل في الأمر، والذي قام به في (بويلز فالز) أعلمه أن من أرسل البرقية المزيفة، كان رجلاً عجيبًا مغبرًا ذو صوت غليظ رخيم، وكان هذا فقط ما أمكنه معرفته.. عرض عليه موظف التليغراف؛ النص الأصلي الذي سلمه الرجل المزيف والمكتوب بالقلم الرصاص، وكان الخط

غريبًا غير مألوف على الإطلاق.. كان ملحوظًا كذلك؛ أن التوقيع كان يحمل خطئًا في هجاء اسم (أكيلي) فقد كتب (أكلي) دون حرف الياء..

كان بعض الحدس في ذلك الوقت حتميًا.. لكنه وأمام تلك الكارثة لم يتوقف؛ ليستوضح عن المزيد من الأمر..

حينها؛ راح يتكلم عن مقتل العديد من الكلاب، وعن شرائه المزيد منهم، وعن تبادل إطلاق النار، والذي صار علامة مميزة لليالي التي يسطع فيها القمر.. راح يتحدث عن آثار أقدام (بروان) والتي ظهر معها آثار أقدام شخص أو اثنين آخرين.. بين آثار المخالب الغريبة على الطريق، وفي باحة المزرعة الخلفية؛ اعترف (أكيلي) أنه كان أمرًا سيئًا، وأنه كان عليه وقبل ذلك بوقت طويل الذهاب إلى ابنه في (كاليفورنيا) والحياة معه هناك سواء نجح في بيع المزرعة القديمة أم لا..

لكنه كان من العسير؛ أن يترك المرء المكان الوحيد الذي عاش فيه ويعرفه.. كان عليه كما قال؛ أن يحاول أن يصمد قليلاً، فربما نجح في إخافة الدخلاء، وخاصة لو كف بصورة واضحة عن محاولة كشف أسرارهم..

رددت على (أكيلي) على الفور، وجددت اقتراحي بالمساعدة، والذهاب إليه، ومساعدته في إقناع السلطات بالأمر المريع الخطير، وفي رده على الخطاب؛ بدا أقل إصرارًا على رفض مثل هذا الاقتراح كما كان

من قبل.. لكنه قال؛ أنه يود لو أجلت هذا الأمر لوقت أطول؛ ليدير الأمر في عقله، ويعد نفسه للقبول بفكرة الرحيل عن مسقط رأسه.. خشي أن يستنكر الناس أبحاثه ودراساته، ورأى أنه من الأفضل لو تروى قليلاً.. قبل الإقدام على أمر قد يصيب المجتمع الريفي بالاضطراب، وينشر شكوكًا واسعة عن مدى تعقله..

اعترف في النهاية وبوضوح؛ أنه قد اكتفى من الأمر بالفعل، وأنه يتمنى خروجًا آمنا ممكنًا..

وصلني الخطاب في الثامن والعشرين من أغسطس، فأرسلت له ردًّا مشجعًا.. بدا وكأن تشجيعي قد أثمر، فقد حمل رده القليل من الأحداث المرعبة.. لكنه لم يكن متفائلاً كثيرًا، وكان يعتقد؛ أن القمر المكتمل هو ما أبعد عنه تلك الكيانات.. تمنى ألا يكون هناك ليالي مثقلة بالغيوم، وتحدث بصورة مبهمة عن الانتقال إلى (براتلبورو) عندما يختفي القمر..

مرة أخرى؛ كتبت له مشجعًا.. لكنه، وفي الخامس من سبتمبر؛ وصلني خطاب حديث.. يبدو وكأنه قد كتب قبل أن يصله خطابي المشجع، وأمام هذا الخطاب لم يكن ممكنًا أن أرسل له أي رد مشجع؛ ولأهمية هذا الخطاب القصوى، فإنني أرى أنه من الأفضل؛ أن أقوم بعرض الخطاب كاملاً معتمدًا على الذاكرة ما أمكنني، وكان هذا نص الخطاب..

"الاثنين..

عزيزي، ويلمارث:

لقد صارت تلك الأشياء سيئةً جدًا، وأعتقد أن النهاية قد اقتربت.. رغم كل الأمل الذي تحدثنا عنه..

ليلة أمس؛ كانت ليلة غائمة بصورة كبيرة، ومع ذلك لم يكن هناك أي أمطار.. كما لم يكن هناك كذلك أي شعاع من ضوء القمر..

وفي منتصف الليل؛ هبط شيء ما على سقف المنزل.. اشتعلت ثورة الكلاب لترى ما هذا؟!.. وراحت تتواثب؛ محاولة ارتقاء الجدران للصعود أعلى البيت، حتى تمكن واحد من الكلاب من بلوغ السقف؛ حين نجح في تسلق ذراع معدني في جانب البيت.. بعدها بدأ قتال مريع بالأعلى.. سمعت وقتها أصواتًا مخيفة.. لن أنساها ما حييت، ثم ملأ الجو بعدها رائحة مريعة عفنة..

في نفس الوقت؛ أصابت النافذة وابل من طلقات النار، بل ومضت بعضها بالقرب من رأسي؛ حيث كنت أقف.. هنا أدركت؛ أن البعض من تلك المخلوقات قد استغل تفرق الكلاب، وانشغالها بمعركة السقف الحامية؛ لتدنو أكثر من البيت..

ما الذي كان يحدث بالأعلى؟.. لم أكن أعرف حينها.. لكنني كنت أخشى أن تكون تلك الكيانات قد تعلمت؛ كيف تهاجمني بشكل أفضل عن طريق الاستعانة بأجنحتها الفضائية؟.. أطفأت كل الأنوار حينها مكتفيًا بالضوء المتسلل من النوافذ للرؤية، ورحت أطلق الرصاص في كل اتجاه مراعيًا التصويب للأعلى؛ كي لا أصيب الكلاب..

بدا هذا وقتها، وكأنه كافيًا لإنهاء الأمر.. لكنني عثرت في الصباح على بركة كبيرة من الدماء في الباحة.. إلى جوار مادة خضراء لزجة لها أبشع رائحة شممتها في حياتي.. صعدت للسقف؛ فوجدت المزيد من تلك المادة اللزجة، ووجدت خمسة من الكلاب صرعى، وحين رأيت الجروح على أجسادهم الساكنة؛ أدركت أنني قد قتلت أحدهم بأحد رصاصاتي، وأنا أرى أنه قد أصيب من الخلف.. بعدها؛ كان علي القيام بإصلاح زجاج النوافذ الذي هشمه الرصاص، وبعدها أتجت إلى (براتلبورو) لجلب المزيد من الكلاب.. أعتقد أن الرجال في متجر الكلاب؛ سوف يحسبونني مجنونًا، وأنا أبتاع كل تلك الكلاب في تلك الفترة الوجيزة..

سوف أكتب لك لاحقًا، وآمل أن يكون بإمكاني الرحيل خلال أسبوع، أو اثنين.. رغم أنه يقتلني التفكير في هذا الأمر..

المخلص

أكيلي"..

لم يكن هذا هو الخطاب الوحيد الذي بلغني حينها، ففي الصباح التالي.. 6 سبتمبر- جاءني واحد آخر.. كان الخط مهزوزًا يشبه الخربشات؛ بصورة أرقتني، وأصابتني بالتوتر.. وأنا لا أدري ما كان علي قوله أو فعله، ومرة أخرى؛ أقول ليس أمامي إلا محاولة عرضه أمامكم كاملاً معتمدًا ما استطعت على ذاكرتي..

"الثلاثاء..

لم تنقشع الغيوم هذه الليلة؛ ولهذا فلا مجال لانتظار ضوء القمر مرة أخرى، وكان علي معايشة هذا التناقض مرة أخرى.. كنت لأعيد توصيل الكهرباء المقطوعة للبيت ثانية؛ لولا أنني أعلم أنهم يقطعون الأسلاك بصورة أسرع من قدرتي على إصلاحها..

أعتقد أنني في سبيلي للجنون.. بل وربما كان كل ما كتبته لك مجرد حلم أو نوبة جنون.. كان الأمر سيئًا بصورة كافية من قبل.. لكن الأمر الآن صار أكثر سوءً..

لقد تحدثوا إلي في الليلة الماضية!.. تحدثوا إلي بذلك الصوت الملعون المغمغم، وقد أخبروني بأمور لا أجرؤ على البوح بها لك.. كنت أسمعهم بوضوح فوق نباح الكلاب بمجرد أن اتخذوا صوتًا بشريًا للتحدث..

لكن لنبتعد عن هذا الحديث الآن يا "ويلمارث" فإن الأمر كان أسوء مما قد يتخيله أي منا، فهم لن يسمحوا لي بالرحيل إلى (كاليفورنيا) بعد الآن.. إنهم لا يريدون غير اختطافي حيًّا ليبعدوني؛ ليس فقط لكوكبهم (ياجوس) لكن ربما لما هو أبعد خارج المجرة كلها..

قلت لهم؛ إنني لن أذهب إلى حيث يرغبون.. لكنني أخشى ألا يكون اعتراضي ذا جدوى..

مات اليوم ستة من الكلاب، وقد شعرت بالحضور القوي لهم في كل مكان من حولي بالغابة؛ حيث اجتزتها، وأنا في طريقي إلى (براتلبورو) اليوم بالسيارة.. كانت حماقة مني إرسال تسجيل (الفونوغراف) والحجر الأسود لك، وأعتقد أنه من الأفضل أن تهشم تلك التسجيلات قبل أن يصير الوقت متأخرًا..

سوف أحدثك بالمزيد غدًا، فقط لو ظللت هنا، وأتمنى لو كان بإمكاني نقل كتبي، وأغراضي إلى (براتلبورو) والمكوث هناك..

كنت لأهرب مخلفًا ورائي كل شيء لو كان هذا ممكنًا.. لكن شيئًا داخل عقلي كان يمنعني من القيام بهذا.. يمكنني التسلل إلى (براتلبورو) حيث يمكن أن أكون في أمان.. لكنني أشعر أنني سأكون محاصراً هناك أيضًا، كما في منزلي، والآن أرى؛ أنه لم يعد بإمكاني الذهاب أبعد حتى لو

حاولت، وتركت كل شيء ورائي.. إنه لأمر فظيع، والآن أتمنى ألا تتورط أنت أيضًا في هذا الأمر..

أكيلي"..

لم أنم في تلك الليلة التي بلغني فيها هذا الخطاب المخيف، وأصابتني الحيرة التامة بشأن الحالة العقلية التي صار عليها (أكيلي) فكل شيء في الخطاب كان مجرد جنون.. لكن وصفه لما حدث ظل كما عهدته منظمًا ومقنعًا..

لم أقم بأي محاولة للرد عليه.. معتقدًا أنه من الأفضل انتظار ما قد يرسله لي (أكيلي) بعد أن يقرأ ردي، وجاءت الرسالة المنتظرة في الواقع في اليوم التالي.. كان ما به أكثر غرابة مما عرض من قبل، وها أنا أعرض ما أتذكره من نص الخطاب الذي كتب على عجلة بخط بالكاد كان مقروءً:

"الأربعاء..

وصلني خطابك، لكن الوقت قد فات لمناقشة أي المزيد من الأمر.. لقد استسلمت تمامًا، وإنني أتعجب؛ كيف مازال عندي بعض القوة لأحاربهم بها؟!..

الهرب كذلك لم يعد ممكنًا، فحتى لو قررت التخلي عن كل شيء والابتعاد، فسوف يصلون إلي..

كان لدي رسالة منهم بالأمس، وقد سلمني إياها رجل غريب.. بينما كنت في (براتلبورو). كانت الرسالة مختوبة بختم بريد (بيلوز فالز) وكان الخطاب يخبرني بما يريدون أن يفعلوه بي.. لا يمكنني تكرار الأمر لك.. فقط انتبه لنفسك، وحطم التسجيلات..

استمرت الليالي الغائمة، وظل القمر غائبًا طوال الوقت.. كنت أتمنى لو أجرؤ على طلب المساعدة ـ ربما رفع هذا من قوة صمودي– لكن أي شخص قد يغامر بالقدوم؛ سوف يتهمني بالجنون إلا لو شاهد بنفسه ما يدعم مزاعمي..

إنني لم أطلب المساعدة من أي إنسان، ولأي سبب من الأسباب من قبل، وظللت دومًا بعيدًا عن الاتصال بأي شخص ممن هم حولي لأعوام طويلة..

إنني لم أخبرك بعد بما هو أسوء، ويلمارث.. استعد لقراءة هذا؛ لأن ما سوف تقرأه سيصدمك، وأقسم إنني أقول الحقيقة رغم كل شيء..

لقد رأيت.. بل ولمست أحد تلك الكيانات، أو لنقل جزء من أشلاء جسد واحد من تلك الكيانات!..

يا إلهي يا رجل!.. كان الأمر مريعًا.. بل قاتلاً بالطبع!..

لقد حصل عليها أحد الكلاب، وقد وجدتها بالقرب من مسكن الكلاب في الصباح.. فكرت في البداية في الاحتفاظ بها في مخزن الحطب؛ كي أريها للأهالي، وأقنعهم بالأمر كله.. لكنها لسوء الحظ تبخرت تمامًا في الساعات القليلة اللاحقة، ولم يتبق أي شيء منها..

أنت تذكر بالطبع أن كل تلك الأشياء التي شوهدت طافية في الأنهار؛ لم تُرى إلا في الصباح الأول التالي للفيضان، وبعدها اختفت تمامًا..

والآن لننتقل للجزء الأسوء.. لقد حاولت تصويرها من أجلك، لكن عندما قمت بتحميض الفيلم؛ لم أر أي شيء غير مخزن الحطب.. كيف أمكن لمثل هذا الشيء القيام بأمر كهذا؟!.. لا أدري!!..

لكنني رأيته، ولمسته بالفعل.. بل وكان هناك كذلك آثار المخالب.. إنه أمر مؤكد، لكن أي شيء فيما يحدث صار مؤكدًا!!..

لا يمكنني أن أصف؛ كيف بدا هذا الشيء؟.. لكن لنقل أنه أشبه بسرطان بحر ضخم.. مع الكثير من الحلقات اللحمية الهرمية، أو العقد السمكية الغليظة.. كان هناك الكثير من الممصات في مكان الرأس، وكانت تقطر منه تلك المادة الخضراء اللزجة، والتي أعتقد أنها دماءهم، أو عصارتهم..

لقد اختفى (والتر براون) بعدها، ولم يُرى وهو يتسكع في أي مكان اعتاد التسكع فيه في القرية.. أعتقد أنني قد نلت منه بإحدى رصاصاتي، وأعتقد أن مثل تلك الكائنات تقوم بأخذ موتاها وجرحاها معها، ولا تتركهم خلفها..

ذهبت إلى المدينة في تلك الظهيرة؛ دون أن ألقى أي متاعب.. لكنني أخشى أن يكونوا قد أجلوا الأمر؛ لأنهم يتقون في رد فعلي..

إنني أكتب هذا الخطاب من (براتلبورو) وربما كان هذا هو خطاب الوداع.. لو حدث هذا؛ فإنني آمل أن تكتب لابني (جورج أكيلي) أكتب لابني لو لم تسمع أي شيء عني لمدة اسبوع، لكن إياك أن تفكر في القدوم..

إنني ذاهب لألقي بآخر ورقتين في جعبتي.. أولاً؛ سأحاول أن أسمم تلك المخلوقات بالغاز (لقد حصلت على المواد الكيميائية المطلوبة، ولدي من الأقنعة ما يكفيني أنا وكلابي)، وبعد ذلك لو لم يفلح هذا؛ سوف أخبر المأمور.. ربما حبسوني في مصحة عقلية حينها.. لكن هذا سيكون بلا شك أكثر رحمة مما قد تفعله بي تلك المخلوقات.. ربما أمكنني أن ألفت انتباههم لآثار الأقدام، والمخالب الغريبة حول المزرعة.. إنها باهتة لكن يمكنني الحصول على المزيد منها كل صباح؛ ورغم كل هذا، فقد تعتقد

الشرطة أنني أزيف كل هذا بطريقة ما، وحتمًا سيرونني في النهاية غريب الأطوار..

علي أن أحاول أن أصطحب أحد رجال الشرطة؛ ليمكث ليلة معي، وليرى بنفسه ما يحدث.. رغم أن تلك المخلوقات قد تعلم بهذا، فلا تأتي ليلتها.. لقد ظلوا يقطعون أسلاك الهاتف كلما حاولت الاتصال بأحد في الليل، وقد رأى فني الإصلاح أن هذا أمرًا عجيبًا.. بل وشك أنني ربما أقوم بقطع الأسلاك بنفسي؛ ولهذا فلم أحاول إصلاح الأسلاك ثانية لأكثر من أسبوع حتى الآن..

يمكنني جلب بعض المتشردين؛ ليشهدوا معي حقيقة الرعب الذي أعيشه.. لكن أي شخص سوف يسخر مما قد يقوله هؤلاء، وعلى كل حال، فمثل هؤلاء قد تجنبوا منزلي منذ وقت طويل، ولم يعد أيهم يعلم بما جد فيه من أحداث..

والآن؛ صار صعبًا أن أستأجر أحد المزارعين الذين يقطنون بالقرب مني للاعتناء بمزرعتي مهما أغريتهم بالمحبة أو المال.. لقد سمع رجل التلغراف ما قالوه عني، وقد ظل يسخر أمامي من أقوالهم..

يا إلهي!.. ليت كان بإمكاني أن أخبره؛ كم هم محقون في مزاعمهم، وربما كان علي أن أريه آثار المخالب.. لكنه كان قد جاء في فترة ما بعد الظهيرة، وكان هذا هو الوقت الذي عادة ما كانت الآثار تختفي فيه..

لم أجرؤ يومًا على عرض الحجر الأسود أو الصور أو التسجيلات على أي شخص بخلاف بعض المتشردين، فأي شخص كان ليقول؛ أنني قد زيفت الحكاية كلها، ولن أجني من هذا إلا جلب السخرية لنفسي.. لكن ربما كان علي أن أريها لأحد ما.. إن آثار المخالب على الطريق تحدث باستمرار حتى لو كان أصحابها لا يمكن تصويرهم.. كان من سوء حظي أن أحدًا غيري؛ لم ير بقايا ذلك الكائن في الصباح قبل أن يختفي..

صرت أفكر كثيرًا في المصحة العقلية التي قد أذهب لها في النهاية، وأعتقد أن الأطباء هناك قد يساعدوا عقلي في نسيان البيت، وكل شيء آخر، وربما كان في هذا الأمر نجاتي..

ومرة أخيرة؛ أذكرك بأن تكتب لابني جورج لو لم يصلك شيء مني قريبًا.. دمر التسجيلات، ولا تزج بنفسك في الأمر..

صديقك

أكيلي".

غمرتني هذه الرسالة في لجة مظلمة من الهواجس، ولم أعد أدري ما علي أن أخبره به في ردي، فكتبت عبارات جوفاء من الدعم، والتشجيع التي لا معنى لها في حالتنا هذه، وأرسلتها له بالبريد.. رحت أحثه فيها على

الذهاب إلى (براتلبورو) على الفور ووضع نفسه هناك في حماية السلطات، ثم أضفت أنني أفكر في الذهاب لتلك المدينة مع التسجيلات والصور؛ للمساعدة في إقناع المختصين بسلامة عقله، وصدق حكايته..

إنني أكتب كل هذا الآن.. ربما لأنني أرغب في تنبيه وتحذير السكان الذين يحيون بالقرب من تلك المخلوقات؛ من شرها المستتر..

لاحظت كذلك؛ أنه في هذه اللحظة الحرجة لم يكن داخلي أي شك في أي شيء يحكيه (أكيلي) لي.. رغم إني أعتقد أن فشله في اقتناص صورة لذلك المخلوق لا يعود لأمر خارق للطبيعة.. قدر ما هو ناتج من خطأٍ ما.. ارتكبه دون أن يشعر بتأثير الحماس الشديد..

IV

وصلتني رسالته التالية؛ ظهر يوم السبت الثامن من سبتمبر.. كان الخطاب هادئًا، ومختلفًا عن سابقيه بطريقة تثير الفضول.. كما كان مكتوبًا بمهارة وعلى مهل؛ باستخدام آلة كاتبة حديثة.. حاول (أكيلي) في ذلك الخطاب الغريب بث الطمأنينة في نفسي، كما حمّله دعوة للذهاب إليه هناك.. كان هذا يعني أن تحولاً كبيرًا قد حدث.. بعد كل تلك الأهوال الليلية المريعة التي كانت تحدث في تلك التلال المنعزلة..

ومرة أخرى؛ سوف أحاول استعادته من ذاكرتي؛ محاولاً الحفاظ على محتواه قدر الإمكان.. حمل الخطاب ختم بريد (بيلوز بالمرز) وكان الخطاب، والتوقيع قد كُتبا بواسطة الآلة الكاتبة، وليس خط اليد كما اعتاد سابقًا أن يفعل.. بدا وكأن من كتبه جديدًا في استعمال الآلة الكاتبة.. لكن العمل في النهاية كان رائعًا بالنسبة لمبتدئ، وخمنت أن (أكيلي) ربما استخدم من قبل الآلة الكاتبة، وربما حدث هذا في الجامعة..

لنقل؛ أن هذه الرسالة قد طمأنتني بعض الشيء، لكن خاطرًا ملحًا جال ببالي، فلو كان (أكيلي) مازال محتفظًا بعقله حين كان يروي ما أفزعه، فهل مازال يتمتع بمثل هذا التعقل، وهو يرسل لي هذا الخطاب المطمئن؟!..

وكانت هذه هي الرسالة التي أرسلها:

"فيرمونت..

الخميس 6 سبتمبر 1928

عزيزي، ويلمارث:

يسرني كثيرًا؛ أن أكتب لك هذه المرة بهدوء وطمأنينة؛ بعد كل تلك المرات المتوترة السخيفة.. التي كتبت لك فيها عن تلك المخلوقات، وإنني أقصد بكلمة (سخيفة) هذه؛ وصف انطباعي المذعور، وليس وصفًا لتلك الظواهر الذي حدثتك عنها..

تلك الظواهر؛ هي شيء حقيقي وهام للغاية، وكان خطئي هنا؛ هو أنني سلكت سلوكًا خاطئًا، وغير سليم نحوها..

أعتقد أني قد ذكرت لك؛ أن زائري الغرباء بدأوا في الاتصال بي، لكننا في الليلة الماضية تبادلنا الحديث سويًّا للمرة الأولى، وقد حدث هذا

كاستجابة لرسالة أرسلوها لي، فقمت باستقبال أحد رسل هؤلاء الغرباء في البيت، وكان رجلاً من أتباعهم..

قال الرجل؛ أنه لا أنا أو أنت؛ يمكنه حتى أن يخمن ماهيتهم، وبرهن لي بوضوح؛ كيف أخطأنا في تخميناتنا عن السبب الذي يدفع تلك الكيانات الفضائية للحفاظ على سرية مستعمراتها في الأرض؟..

أكد الرجل؛ أن الخرافات الشريرة المتعلقة بما عرضوه على البشر، وما يرغبون فيه من اتصالهم بالأرض.. كانت كلها ادعاءات أوجدتها الأوهام الناشئة عن الجهل بالمعاني المجازية لحديثهم مع البشر..

إنني أعترف أني كنت أخرقًا في تفكيري الذي اندفعت فيه، وتجاوزت معه كل الخطوط، كما لو كنت مجرد مزارع أُمي، أو هندي بربري.. لقد كانت أفكاري المريضة والمخزية؛ بعيدة كل البعد عن الحقيقة، وأعتقد أن تقديري السابق للأمر كان مجرد نوبة من نوبات ميل البشر الأبدي لكراهية و خشية - بل والانكماش أمام - أي أمر يجهله..

إنني آسف الآن؛ بشأن الأذى الذي أوقعته في صفوف تلك المخلوقات الفضائية.. أثناء مناوشاتنا الليلية، وكم أتمنى لو كنت قد بحثت عن الحديث السلمي، والعقلي معهم منذ أول مرة.. لكنهم لحسن حظي، ورغم كل ما حدث لا يحملون ضغينة لي.. إن مشاعرهم تختلف كلية عن مشاعرنا، ولقد كان من سوء حظهم؛ أن أتباعهم البشريون في (فيرمونت)

كانوا دون المستوى، فمثلاً كان آخرهم هو (والتر براون) وقد كان أحمقًا بلاشك حتى أنه دفعني لكراهيته..

راح رسولهم يؤكد لي؛ أنهم لم يقدموا ولا لمرة واحدة.. على إلحاق الأذى بأي بشري.. بل كان العكس دائمًا هو ما يحدث؛ حيث دأبنا نحن البشر على ظلمهم، وملاحقتهم والتجسس عليهم.. قال الرجل؛ أن هناك منظمة سرية كاملة من الرجال الأشرار (رجل في مثل سعة معرفتك بالأمور السرية سوف يفهمني حتمًا؛ عندما أربط بينهم وبين هستر، والعلامات الصفراء) كرست نفسها من أجل تعقبهم، وقتالهم بالنيابة عن قوى معادية شريرة من الأبعاد الكونية الأخرى، وكانت تلك الإجراءات الوقائية التي اتخذوها؛ موجهة في الأساس نحو تلك الجماعة، وليس كل البشر..

وبالمصادفة؛ أمكنني معرفة أن العديد من خطاباتنا المفقودة؛ لم يسرقها هؤلاء الآحاد الفضائيون.. بل سرقها جواسيس ينتمون لتلك المنظمة الشريرة..

إن كل ما يتمناه هؤلاء الآحاد للبشرية؛ هو التقدم والسلام.. رغم أن هذا التقدم الذي زاد من اختراعاتنا ومعارفنا؛ جعل قدرة أولئك الآحاد على الحفاظ على مواقعهم السرية في الكرة الأرضية أمرًا شبه مستحيل..

أضاف كذلك؛ أن تلك الكيانات الفضائية.. مازالت ترغب في معرفة المزيد عن عالم البشر.. بل وتتمنى كذلك لو اتصلوا ببعض الفلاسفة،

والعلماء من البشر؛ ليعلموهم كل شيء عنهم، ويمدوهم بالمزيد من المعارف المجهولة.. هنا سوف تنتهي كل الشكوك والريبة مع تبادل المعرفة، وبتلك الصورة سوف نحظى بوفاق مرضي معهم.. أما أي حديث عن رغبتهم في استعبادنا أو دحرنا، فهو أمر مضحك سخيف..

ومن أجل خلق مثل هذا الوئام بيننا وبينهم، فقد اختارتني تلك الآحاد، نظرًا لمعرفتي الكثير عنهم؛ لتجعل مني الناطق الرسمي باسمهم على الأرض.. لقد أخبروني بالكثير في حديثهم معي بالأمس.. عرفت حقائق مدهشة، وأسرارًا لا تصدق، وحتمًا سيكون هناك المزيد من المعرفة خلال اتصالي بهم في المستقبل..

إنني لست مضطرًا للقيام بأي رحلة لخارج الأرض حتى الآن، لكن من المحتمل أن يحدث هذا فيما بعد.. عن طريق استعمال وسائل خاصة قادرة على اجتياز كل العقبات التي تعجز العلوم الأرضية أمامها.. لن يعود منزلي تحت الحصار ثانية، ولن يكون هناك مكان فيه للكلاب.. لقد عاد كل شيء لطبيعته، وما عاد هناك أي داعٍ لوجود تلك الكلاب..

وأتمنى لو تصدقني حين أخبرك؛ أن تلك الكائنات الفضائية.. ربما كانت أروع المخلوقات العضوية من بين كل أشكال الحياة في الكون كله.. إنهم نباتيون أكثر من الحيوانات نفسها؛ لو كان استخدام هذا التعبير موفقًا لوصف طبيعتهم الغذائية، كما أن لديهم تركيب عضوي يشبه الفطريات

التي نعرفها.. رغم أن وجود مادة (الكلوروفيل) والنظام الغذائي الفريد في أجسادهم؛ كان يميزهم عن الفطريات الحقيقية..

في الواقع؛ كان تركيبهم مختلفًا عما تقوله معارفنا الأرضية.. إن جسيمات أجسادهم مختلفة عن تلك الأرضية مما يجعل تصويرهم غير ممكن بكاميراتنا المعتادة.. لكن عيوننا رغم هذا يمكنها رؤيتهم، وربما مع تطور معارفنا، وباستخدام مواد كيميائية مناسبة يصير بإمكاننا تصويرهم..

إنهم جنس فريد في قدرتهم على اجتياز السديم الكوني البارد الخالي من الهواء بأجسادهم المجردة.. لكن بعضهم لا يمكنه فعل شيء كهذا دون استخدام آلات ميكانيكية.. كما أن القليل منهم من يملك تلك الأجنحة المقاومة للأثير، وكان هذا النوع الأخير؛ هو الكائنات التي رآها الشهود في (فيرمونت)..

أما أولئك الذين سكنوا بعض القمم البعيدة في العالم القديم، فقد أتوا بطرق أخرى.. كان شكلهم الظاهري الذي يشبه الحيوانات، أو أشكالاً أخرى من الحياة التي نعرفها على الأرض؛ هو مجرد تطور موازي لتطور الحياة على الأرض، وليس ناتجاً عن قرابة بيننا وبينهم..

إن قدراتهم العقلية تفوق قدرة أي كائن حي.. إلا أن تلك الآحاد المجنحة في (فيرمونت) كانت أكثرها تطورًا.. إن التخاطر العقلي؛ هو

طريقتهم في التواصل.. بينما مازلنا نعتمد على أحبالنا الصوتية محدودة القدرة في تواصلنا..

إن موطنهم المباشر الأصلي مازال غير مكتشفًا، وربما كان هو الكوكب المظلم الواقع خلف كوكب (نبتون) على الحافة البعيدة لنظامنا الشمسي.. بل وربما كان هذا الكوكب؛ هو الكوكب التاسع للشمس.. إنه ذلك الشيء الذي نحنا له مرارًا، واعتقدنا أنه يدعي (ياجوس) كما ذُكر في كتابات قديمة، وأوراق منسية..

لن أشعر بالدهشة؛ لو اكتشف علماء الفلك ذلك الكوكب يومًا ما، ولن يدهشني معرفة أن هؤلاء الآحاد؛ هم من أرشدوا العلماء لاكتشافه..

لكن (ياجوس) في النهاية؛ ليس إلا مجرد بوابة صخرية لهم؛ حيث يعيش أغلبهم في بقاع عجيبة لا يمكن لأي عقل بشري أن يتخيل وجودها.. إن ذلك الجزء الذي ندركه من الكون الرحب ما هو إلا ذرة في بحر علومهم اللامتناهية..

أعتقد أنك سوف تحتج في البداية على قراري، لكني متأكد أنك مع الوقت سوف تقدر الفرصة العظيمة التي اغتنمتها.. إنني أريدك أن تشاركني تلك الفرصة؛ ولكي يتم هذا، فعلي أن أخبرك بمئات الأشياء التي لا يمكن ذكرها على الورق.. لقد حذرتك قبل اليوم أكثر من مرة؛

أن تفكر في القدوم إلى هنا لرؤيتي، والآن وقد أصبح الوضع آمنا، فإنني أسحب تحذيري هذا، وأدعوك لتأتي..

ألا يمكنك القيام بتلك الرحلة القصيرة؛ قبل أن تفتح جامعتك أبوابها؟.. سيكون أمرًا رائعًا، ومبهجًا لو استطعت..

أحضر معك كذلك كل التسجيلات، وكل الخطابات التي أرسلتها لك، فسوف نحتاجها كلها؛ لنجمع خيوط القصة الكبيرة معًا، ولا تنسى أن تجلب الصور كذلك، فيبدو أنني قد فقدت (النيجاتيف) والصور الأصلية خلال تلك الفوضى، وأنتظر أن تدرك أن معارفً مدهشةً بانتظارنا..

لا تتردد يا صديقي، فلا أحد يتجسس علي الآن، وأنت لن تقابل أي شيء غريب أو مزعج هنا.. فقط؛ دع كل ما في يدك، وتعالى.. وسوف تكون سيارتي بانتظارك في محطة قطار (براتلبورو). عدّ نفسك للمكوث هنا لأطول وقت ممكن.. عليك أن تتوقع هنا الكثير من المناقشات الليلية مع أولئك الآحاد عن أمور خارج نطاق التخمين البشري، وبالطبع عليك ألا تخبر أي أحد عن هذا، فهذا أمر لا يجب أن يصل لآذان العامة..

قطار (براتلبورو) ليس سيئًا، ويمكنك الحصول على قائمة بمواعيده من (بوسطن) يمكنك أن تستقل قطار الـ (4:10) بعد الظهر من (بوسطن) والذي يصل إلى (جرينفيلد) في تمام (7:35) مساءً، ومن هناك يمكنك

أن تستقل شاحنة الـ (9:19) مساءً، والتي تصل (براتلبورو) في (10:01)..

أخبرني باليوم المناسب لك، وسوف أكون مع سيارتي بالمحطة بانتظارك.. سامحني على هذا الخطاب المطبوع، فكما لاحظت لم يعد خطي اليدوي واضحًا في الآونة الأخيرة؛ ولذا فقد ابتعت ماكينة الكتابة هذه بالأمس من (براتلبورو) وأرى أنها تعمل بصورة طيبة..

أنتظر ردك، وآمل أن أراك قريبًا مع التسجيلات، والصور وكل الخطابات..

صديقك..

هنري أكيلي".

ارتبكت مشاعري أثناء قراءة هذا الخطاب الغريب، ورحت أعيد قراءته مرارًا، وأنا أتأمله بعواطف غير ممكنة الوصف.. لقد قلت من قبل؛ أنني شعرت بالراحة حين قرأت هذا الخطاب.. لكن هذا كان مجرد تعبير مبهم للمشاعر المتناقضة المبهمة التي راودتني حينها..

إذًا؛ فقد صار الأمر على النقيض تمامًا من الأحداث المرعبة التي سبقته، فالمزاج الذي تبدل من الفزع المطلق إلى الرضا الكامل؛ لدرجة الغبطة.. كان غير مفهوم على الإطلاق، فأنا لا أعتقد أبدًا أن يومًا واحدًا قد يبدل الحالة النفسية لرجل كتب مثل ذلك الخطاب المذعور قبلها بيوم واحد.. مهما كان ماهية ذلك الأثر المهدئ الذي أراح الرجل في ذلك اليوم..

وفي لحظة معينة؛ كان هناك شعور معين بداخلي بأن هناك شيئًا ما غير حقيقي في كل هذا، وجعلني أتساءل؛ هل كانت كل تلك الأحداث الدرامية هي شيء أشبه بالحلم اختلقه عقلي؟.. لكن عقلي حين استعاد تسجيل (الفونوغراف) وقع في الحيرة ثانية..

لم تشبه تلك الرسالة أي شيء قد أتوقعه، وحين حللت انطباعي وجدت أنها تحوي حالتين مختلفتين..

أولاً؛ وبفرض أن (أكيلي) كان عاقلاً من قبل وما زال، فإن ذلك التبدل في المواقف نفسها كان سريعًا وغير معقول.. ثانيًا؛ فإن التغير في سلوك وموقف ولغة (أكيلي) كانت أبعد بكثير من الطبيعي أو المتوقع..

بدا وكأن شخصية الرجل كلها قد تغيرت تمامًا تغيرًا عميقًا.. حتى أنه من العسير؛ أن يقبل المرء بانتماء كلتا الحالتين لرجل واحد.. هذا لو فرضنا

أنه ظل محتفظًا بعقله في الحالتين.. كل شيء مختلفًا في كلتا الحالتين.. اختيار الكلمات، هجاء الكلمات، التعبيرات.. كل هذا كان مختلفًا تمامًا..

وبالاستعانة بخبرتي الأكاديمية في بحوث اللغة؛ يمكنني التأكيد على أنه كان هناك اختلافًا كبيرًا في ردود أفعاله، انفعالاته..

بالطبع؛ يمكن لبعض المؤثرات العنيفة أن تنتج تغيرًا في شخصية المرء، لكن مثل هذا التغير الشامل.. لن يحدث إلا لشخص متطرف المشاعر في الأساس..

لكن، ومن ناحية أخرى؛ كان حمل الخطاب بعض الطابع المميز لخطابات (أكيلي) نفس الحديث القديم بشغف عن العوالم الأخرى، ونفس الفضول العلمي المعتاد، لكن لم يكن بإمكاني، ولو للحظة تصديق تلك الفكرة الخرافية..

لم أنم طوال ليلة السبت.. بل ظللت أفكر في الغموض، والأعاجيب التي كانت في الخطاب الذي استلمته، ومزق الصداع رأسي من السلسلة السريعة للفرضيات المخيفة.. التي أجبرت على مواجهتها في الشهور الأربع الأخيرة.. رحت أفكر في تلك الأحداث الجديدة؛ مترددًا بين الشك والقبول، وأنا أستعيد ثانية كل ما جرى من أحداث عجيبة..

وقبل الفجر بوقت طويل؛ حل في نفسي الفضول؛ محل الحيرة وعدم الارتياح.. هل هو مجنون أم عاقل؟!.. هل تغير كلية أم أن الذي كان يؤرقه قد ذهب بالفعل؟..

كان التخمين الأقرب للواقع؛ أن (أكيلي) قد صادف مؤثرًا ما غير من فكرته نحو هؤلاء الغرباء، وأن هذا المؤثر قد ذهب بكل مخاوفه، وقد يكون هذا المؤثر حقيقي وربما هو خدعة، وقد تكون الخدعة هنا؛ هو وعدهم له بتزويده بالمعرفة الكونية التي تفوق علوم البشر..

وجدت نفسي، وقد عجزت عن تخمين الحقيقة؛ أفكر في زيارته، ورحت أفكر في تلك الأسرار القديمة، والعميقة جدًا عن الأزل واللانهائية.. التي بشرني بها.. كان الأمر مثيرًا، وخاصة وقد أكد (أكيلي) أن الخطر قد ذهب.. بل ودعاني لزيارته في منزله بدلاً من أن يحذرني كالسابق.. تسلل سحر ما نحو عقلي؛ ليقنعني بالذهاب للبيت الريفي المنعزل، والجلوس إلى ذلك الرجل الذي تحدث مع مبعوث هؤلاء القادمون من الفضاء..

ولهذا، وفي وقت متأخر من صباح الأحد أبرقت لـ (أكيلي) لأسأله أن ينتظر قدومي إلى (براتلبورو) الأربعاء القادم - الثاني عشر من سبتمبر- لو كان هذا اليوم مناسبًا له.. لكنني خالفته في أمر واحد فقط من مخططه الذي رسمه لي، فقد غيرتِ موعد القطار، وقد كرهت أن أذهب لتلك التلال المنعزلة المخيفة في الليل، وقررت استقلال القطار الذي يصل إلى

هناك في (1:08) ظهرًا.. كان هذا الموعد النهاري أفضل بكثير من أن أقابله، وأذهب معه إلى منطقته المعزولة المخيفة في المساء..

أخبرته في برقيتي بهذا الموعد الجديد، وأسعدني أن أعلم في رده الذي أتى في المساء؛ موافقته على الموعد الجديد..

كانت برقيته كالتالي:

"الترتيب جيد.. سوف نتقابل في قطار (1:08).. الأربعاء.. تذكر التسجيل، والصور والخطابات.. حافظ على سرية وجهتك.. وانتظر مفاجآت عظيمة..

أكيلي"..

وبوصول هذا الرد المباشر من (أكيلي) على برقيتي التي أرسلتها له . والذي لابد أن أحد عمال التلغراف؛ قد أوصلها لبيته ورآه حينها زالت شكوكي اللاشعورية، والتي تعلقت بمن أرسل ذلك الخطاب المربك..

نمت تلك الليلة بعمق ولوقت طويل.. بعدها ظللت ليومين، وبشغف أستعد لتلك الزيارة..

V

في صباح يوم الأربعاء؛ قمت بما خططت له.. حملت حقيبة وضعت بها الأشياء الضرورية البسيطة، والتسجيلات والصور والخطابات التي طلبها (أكيلي). لم أخبر أي شخص بوجهتي؛ لأنني اعتقدت أن هذا الأمر يقتضي السرية المطلقة.. كان التفكير في القيام باتصال عقلي مع تلك المخلوقات الغريبة؛ أمرًا مذهلاً لعقلي.. الذي لم يكن حتى هذه اللحظة على استعداد لشيء كهذا..

ما تأثير خبر كهذا على الجماهير غير المتخصصة لو علمت به؟..

لا أعلم؛ هل كان الخوف أم بهجة المغامرة هو ما يسيطر على تفكيري، وأنا أغير القطار في (بوسطن) وأتجه للغرب في رحلة طويلة، نحو مناطق لا أعرف عنها الكثير؟..

وصل قطاري (جرينفيلد) متأخرًا بسبع دقائق، لكن القطار السريع المتجه للشمال كان هناك ولم يغادر.. بدلت القطار بسرعة، وتلاحقت أنفاسي من الإثارة، وأنا أرى في ضوء الظهيرة العربة، وهي تجتاز أراض

قرأت عنها مسبقًا لكنني لم أزرها من قبل.. كنت أعلم أنني أدخل الآن عالم (نيوانجلند) عتيق الطراز؛ العالم الأكثر بدائية من المناطق الساحلية الجنوبية؛ حيث قضيت أغلب عمري..

إنها (نيوانجلند) ذات السلالات النقية التي تخلو من الغرباء؛ حيث دخان المصانع، ولوحات الإعلانات والمطاعم والمكتبات.. في تلك البقاع العتيقة التي مستها الحداثة..

ظلت تلك الحياة المحلية الضاربة بجذورها في أعماق الماضي كما هي، ولم تتغير، وظلت الموروثات القديمة حية في قلوب سكانها، كما خُضبت تربتها بمعتقدات رائعة غامضة، وفريدة..

كنت أتأمل حينها مياه نهر (كونيكتكت) الزرقاء، وهي تتلألأ تحت آشعة الشمس، وحين اجتزنا (نورثفيلد) وعبرنا فوق النهر؛ امتلأ الأفق كله بالتلال الخضراء الغامضة، وعلمت من قائد الفرقة الموسيقية الذي يجلس بجواري؛ أننا في النهاية قد صرنا في (فيرمونت)..

سار القطار بمحاذاة النهر، وبينما كنا نعبر (نيوهامشير) كنت أرى المنحدر الحاد لجبال (ونتاستكويت) والذي انتشرت الكثير من الخرافات القديمة المتعلقة به.. ثم ظهر الطريق على اليسار، وشاهدت جزيرة خضراء وسط التيار على يميني، وبعدها بقليل تحرك الركاب نحو الأبواب فتحركت

مثلهم.. توقفت العربة فهبطت أسفل السقيفة الطويلة لمحطة قطار (براتلبورو)..

جلت بعيني بتردد في الصف الطويل من السيارات المنتظرة؛ لأرى أيها يكون سيارة (أكيلي) الفورد.. في الواقع؛ لم أكن بحاجة لهذا، فقد ظهر أمامي بغتة أحد الرجال، ومد ذراعه نحوي محييًا، وسألني بتهذيب؛ هل أكون السيد (ويلمارث) من (آرخام)؟.. كان واضحًا أنه ليس (أكيلي) نفسه، فلم يكن الرجل يشبه (أكيلي) بلحيته الشهباء.. بل كان شابًا بالغًا.. أصغر سنًّا وأكثر تحضرًا.. يرتدي ثوبًا عصريًّا، ويحتفظ بشارب رفيع، قصير أسود..

بعث صوته المهذب بعض القلق في نفسي، وشعرت بشيء مألوف في نبرة صوته الرخيمة؛ أيقظ صوته في نفسي ذكرى غامضة.. لم أستطع استدعاءها في ذلك الوقت من ثنايا ذاكرتي..

وبينما رحت أتأمله بنظري؛ قال لي؛ أنه صديق (أكيلي) وأنه هنا لاستقبالي بدلاً منه، وأوضح كذلك أن (أكيلي) قد داهمته وعكة طارئة، ولهذا لم يعد بمقدوره القيام بهذه الرحلة.. لم يكن الأمر يستدعي القلق؛ طالما أنه لا تغيير في الخطة حتى الآن..

لم أفهم كم من الأشياء يعرفها؛ هذا الشاب الصغير ـ السيد (نويس) كما عرفني باسمه ـ عن الأبحاث التي يقوم بها السيد (أكيلي)..

كان الشاب يتصرف بصورة طبيعية، ورحت أتعجب؛ كيف يكون لشخص منطوٍ مثل (أكيلي) أصدقاء كهذا الشاب المرح؟.. لم أتوقف طويلاً عند هذه الملاحظة، وركبت السيارة التي تنتظرني.. لم تكن سيارة قديمة صغيرة كما وصفها (أكيلي) لي.. بل كانت ضخمة حديثة الطراز.. وربما كانت سيارة (نويس) نفسه.. كانت تحمل لوحة أرقام تنتمي لمقاطعة (ماساتشوستس) ولهذا خمنت أن هذا السيد المهذب لابد، وأنه ضيف عابر مثلي في هذا المكان..

ركب (نويس) السيارة وانطلق على الفور، وسرني أنه التزم الصمت، ولم يحاول بدء محادثة معي.. في الواقع؛ لم تكن بي رغبة للكلام، وكنت مشغولاً بمشاهدة كل شيء حولي.. بدت البلدة شديدة الجاذبية أسفل آشعة شمس الظهيرة الدافئة، ونحن نسير في طرقاتها الضيقة؛ قبل أن ننطلق إلى الطريق السريع.. كنت مأخوذاً برؤية بلدات (نيوانجلند) القديمة التي مازالت تحتفظ ببعض بقايا مجدها التليد، ورحت بشغف أملأ عيني بكل شيء حولي.. الأسقف المقوسة، وأبراج الكنائس المرتفعة، والمداخن العتيقة، والمباني القديمة..

ازداد شعوري بالانقباض، والشؤم بصورة مبهمة؛ حين اجتزنا (براتلبورو) ودخلنا منطقة التلال ذات القمم الخضراء الشاهقة، العابقة بالأسرار الغامضة والحكايات القديمة؛ ولبعض الوقت ظللنا نسير بجوار نهر متسع ضحل.. ينبع من قمم الشمال غير المعروفة.. ارتجفت حين أخبرني

مرافقي؛ أن هذا هو النهر الغربي، وتذكرت ما قيل في الصحف؛ أن واحدة من تلك المخلوقات الشبيهة بسرطان البحر.. شوهدت تطفو في تياراته بعد الفيضان..

وبصورة تدريجية؛ أصبحت المقاطعة من حولنا مهجورة ومخيفة، وامتدت أمامنا بصورة مخيفة الجسور القديمة التي تصل بين التلال القادمة من الماضي السحيق، وبدا خط السكك الحديدي المهجور الموازي للنهر، وكأنه يزفر هواءً ضبابيًا على الخرائب.. رحت أتأمل المنحدرات الحادة، والجروف العظيمة، والقمم الموحشة التي يغمرها الضباب المنذر.. إنها البيئة الوحشية البكر لـ (نيوانجلند) والتي تختلط فيها الخضرة بالكآبة فوق قممها القاسية في مزيج موحش.. كانت هناك جداول ضيقة؛ تندفع فيها تيارات مائية جامحة، وتحمل معها وهي في سبيلها نحو النهر؛ أسرارًا لا تخطر على البال..

انحرفنا الآن؛ نحو طريق جانبي شبه مهجور؛ يمتد في قلب الغابة الكثيفة.. التي شعرت ونحن نسير داخلها؛ أن أرواحًا شريرة كانت تراقبنا من بين أشجارها المتشابكة، ورحت أتعجب؛ كيف ظل (أكيلي) يرتاد مثل هذا الطريق المهجور المليء بالخيالات المريعة..

بلغنا بلدة (نيو فان) الجذابة الجميلة في أقل من ساعة، وبعد ذلك اندفعنا نحو عالم من القمم الخضراء، والوديان شبه المهجورة، وبخلاف

صوت محرك العربة، والأصوات الخافتة القادمة من المزارع القليلة المنعزلة التي عبرناها؛ لم أكن أسمع إلا خرير الماء المنبعث من الجداول المجهولة في الغابة المظلمة..

بعدها؛ أذهلتني التلال المقببة المنخفضة التي رحنا ندنو منها.. كانت منحدراتها الحادة عسيرة البلوغ بصورة أكبر مما تخيلته.. بدت، وكأنها لا تشبه أي شيء مألوف آخر في عالمنا المعتاد، وبدت الغابات الكثيفة المهجورة الموجودة أعلى الوهاد الزلقة، وكأنها مأوى لمخلوقات لا تنتمي لعالمنا.. شعرت وكأن التلال محملة بطلاسم غريبة منسية عن أجناس مجهولة.. لا تعيش أمجادها فقط إلا في الأحلام العميقة..

وعلى الفور؛ استدعت ذاكرتي كل الأساطير القديمة، وكل ما أخبرني به (أكيلي) في خطاباته من اتهامات خطيرة.. تشبع المكان بجو من التوتر والنذير.. ومرة واحدة ارتجفت، وأنا أتذكر الغرض من هذه الزيارة، والأحداث المخيفة التي حدثت بالمكان، فذهب حماسي كله..

لابد أن مرافقي لاحظ اضطرابي، وأنا أرى الطريق الغير ممهد الذي صار أكثر وحشة.. أصبحنا نتحرك ببطء، وراحت العربة تتأرجح على الطريق الصخري الوعر.. هنا لم يعد يكتفي بالتعليقات العرضية اللطيفة، واندفع في حديث متواصل.. راح يتحدث عن جمال وسحر البلدة، وعن سعة اطلاعه بدراسات الفولكلور التي قام بها (أكيلي) ومن أسئلته المهذبة التي

كثيفة تتخلل الأشجار الباسقة.. حتى آشعة الشمس عبقت ببهجة سماوية.. بدا كل هذا، وكأنه جو استثنائي لهذا المكان فقط..

فجأة، وبعد أن درنا حول نتوء حاد؛ توقفت السيارة، وعلى يساري رأيت عشب مهذب امتد من الطريق حتى بلغ بيتًا من الحجر الأبيض يرتفع لطابقين.. كان البيت ضخمًا، وأنيقًا بصورة غير معتادة في المكان، وكانت هناك حظيرة متاخمة للبيت يفصلها عنه رواق مسقف، وإلى يمين البيت كان هناك طاحونة قديمة؛ تعرفت عليها على الفور، وقد رأيتها في الصور التي أرسلها (أكيلي) ولم يفاجئني أن أرى اسم (أكيلي) منقوشًا على الصندوق البريدي المعدني القريب من الطريق..

أما وراء البيت؛ فقد كانت هناك بعض المستنقعات، والأشجار المتناثرة، والتي امتدت حتى سفح تل؛ كثيف الشجر ينتهي عند قمة مغطاة بالشجر.. كنت أعرف هذا المكان، إنه مدخل الجبل المظلم الذي وصفه (أكيلي) لي، والذي يقع في منتصف الطريق الذي ارتقيناه بالفعل..

هبطت من السيارة، وحملت حقيبتي.. طلب (نويس) مني الانتظار، ودخل ليعلم (أكيلي) بوصولي.. أخبرني؛ أن لديه بعض الأعمال في مكان آخر، وأنه لا يمكنه أن يبقى معنا ولو لدقيقة.. وبينما تحرك بسرعة نحو البيت؛ رحت أحرك ساقي المجهدة لأبعث فيها الدماء.. كانت مشاعري المتوترة على أشدها في تلك اللحظة، وأنا أشعر بنفس إحساس العزلة

كان يلقيها؛ كان واضحًا أنه يخمن أني جئت للمكان لسبب علمي.. وأنني لابد قد جئت لأتم بعض الأبحاث المهمة.. لكنه لم يشر قط لاكتشافات (أكيلي) الأخيرة المريعة..

حاول بمرح، وتهذيب ولباقة أن يهدئ من توتري.. لكن قلقي ظل يزداد كلما توغلنا نحو التلال والغابات المجهولة الموحشة.. كنت أشعر أحيانًا كما لو أنه يدفعني للنظر إلى المكان الذي أعرف أنه يحوي أسرارًا مخيفة، وأنه مع كل جملة محيرة ومثيرة ومبهمة يتفوه بها؛ أشعر بالمزيد من الألفة في صوته.. لم تكن ألفة مريحة محببة.. رغم حديثه المهذب طوال الوقت، فبصورة ما كنت أربط هذا الصوت بصورة ما بكوابيسي المنسية، وشعرت أنني؛ قد أجن لو أدركت كنه هذا الرجل، وكنت لأتوقف على الفور عن إكمال تلك الزيارة لو كان لدي عذر مقنع..

وربما كان شعوري هذا غير منطقي، وربما كانت محادثة علمية هادئة مع (أكيلي) نفسه بعد أن أصل إليه كافية؛ لمحو كل هذا القلق..

أضف لهذا؛ ذلك التأثير العجيب الباعث للهدوء لتلك المشاهد الطبيعية الجميلة التي نتحرك فيها.. فقدنا الإحساس بالوقت مع المتاهات التي نعبرها، وامتدت أمامنا وحولنا مروج من زهور الجنيات، ومراع مزدانة بزهور الخريف المبهجة، وكست المنحدرات ورود برية عطرة، وأعشاب

الذي وصفه (أكيلي) في خطاباته، وللأمانة كنت أخشى الحادثة القادمة التي سوف تجمعني بهؤلاء الكيانات المحرمة الغريبة..

لقد صرت الآن في قلب المكان المخيف الذي حدثت فيه الأهوال التي حكاها (أكيلي) وبالطبع لم يكن مبهجًا أن أفكر؛ أنه في مكان ما من هذا الطريق الترابي؛ كانت هناك أشلاء واحد من الكائنات المخيفة، وبعضًا من عصارته الخضراء اللزجة عفنة الرائحة، والتي وجدها (أكيلي) بعد ليلة غير مقمرة من الرعب والموت..

لاحظت أن أي من كلاب (أكيلي) لم يعد في المكان.. لقد باعهم بعد أن أقام معاهدة سلام مع هؤلاء الآحاد الفضائيون.. صار عظيم الثقة كما يبدو في هؤلاء الغرباء، لكنني وبصدق، لم يكن هناك ذرة واحدة من مثل هذه الثقة.. في النهاية؛ إنه رجل شديد البساطة، قليل الخبرة بالعالم الخارجي، وربما نجحوا في تضليله بوسيلة ما..

لكن السؤال الآن؛ هل يكون هناك أمر شرير خفي؛ يتوارى وراء ذلك التحالف الجديد؟..

قادتني أفكاري؛ للنظر إلى الطريق الوحلي الموسوم بتلك الآثار المريعة.. صار جافًا في هذه الأيام الأخيرة، لكنه ظل محتفظًا بالكثير من الآثار المحفورة في كل اتجاه.. رغم الطبيعة المهجورة للمكان، وبشيء من

الفضول؛ رحت أتتبع تلك الآثار التي خلفتها الكائنات المخيفة؛ محاولاً كبح مشاعري المذعورة مما يبعثه المكان، وذكرياته من هواجس..

كان هناك شيء منذر غير مريح في هذا السكون المميت وأن أنظر للسواقي البعيدة الصامتة، والقمم الخضراء والمنحدرات المعشوشبة..

حملت الآثار المطبوعات على الوحل آثارًا متنوعة مبهمة غير محددة، وقادني بحثي النشط إلى تفاصيل محددة في تلك البقعة التي تصل البيت بالطريق السريع.. كانت الآثار هنا شديدة الخطورة، وأدركت أن إمعاني النظر في الصور التي أرسلها لي (أكيلي) والتي تظهر آثار مخالب هؤلاء الغرباء لم يكن بلا جدوى.. كنت أتذكر علامات تلك المخالب الكريهة، والتي ختمت برعب لا يحدثه أي من مخلوقات هذا الكوكب..

لم يعد هناك أي ذرة شك في نفسي الآن، ففي هذه اللحظة كنت أرى بعيني الأدلة كلها، وحتمًا لم تُزيف تلك الدلائل في الساعات القليلة الماضية.. كانت هناك على الأقل ثلاثة علامات تبرز بوضوح وسط الآثار المبهمة الكثيرة من حولها على الطريق الوحلي، والتي يتجه بعضها نحو بيت (أكيلي) والبعض الآخر كان يتحرك بعيدًا عنه.. إذًا؛ فهذه هي المسارات الشيطانية للفطر الحي القادم من (ياجوس)..

منعت نفسي من الصراخ فزعًا، وأنا أتساءل؛ هل من الطبيعي أن يرى المرء مثل هذه الآثار دون أن يرتاع؟.. وهل من السهل بعد أن يرى أي

بشري هذه الآثار؛ أن يتحدث عن عقد اتفاق سلام مع تلك الأشياء المخيفة؟..

كان الرعب في نفسي أقوى من أي حديث قد يقال ليهدئ!..

شاهدت (نويس) بعدها يخرج من الباب، ويقترب بخطوات سريعة، وعلى الفور ابتعدت عن مكاني؛ كي لايلحظ (نويس) هذه الآثار؛ مفترضًا أن الرجل لازال يجهل الأمور المخيفة التي دارت في هذا المنزل وحوله..

أخبرني (نويس) في عجلة؛ أن (أكيلي) مسرور لقدومي، وأنه كان على استعداد لمقابلتي.. غير أن أزمته الصحية المفاجئة قد تعيقه عن القيام بواجب الضيافة بصورة طيبة ليوم او اثنين.. لقد هاجمته تلك النوبة المرضية بضراوة، وأضاف بأنها عادة ما كانت تأتي مصحوبة بالحمى والوهن الشديد؛ ولهذا لم يكن أبدًا في حالة طيبة حين تداهمه تلك النوبات.. قال (نويس) أن ذراعي (أكيلي) وقدميه صارتا منتفختين بشدة؛ ولهذا فقد اضطر للفهما بالضمادات كالعجائز المصابين بالنقرس..

أضاف هامسًا؛ أن منظره أصبح مريعًا هذا اليوم؛ ولذا فعلي أن أهتم بشئوني بنفسي هذا اليوم، لكنه رغم كل هذا يشتاق للتحدث معي..

يمكنني أن أعثر عليه في مختبره الكائن إلى يسار الرواق الطويل.. لقد أسدل ستائر الحجرة كلها؛ كي تبقى آشعة الشمس بعيدًا.. فقد عينيه، صارتا حساستين بشدة للضوء بسبب المرض..

وبينما ودعني (نويس) واستقل سيارته متجهًا للشمال؛ بدأت السير ببطء نحو المنزل.. كان الباب مفتوحًا.. لكنني وقبل أن أدلف ألقيت بنظرة فاحصة في المكان كله؛ لأرى أي شيء قد يكون غريبًا، ولم ألحظه في البداية.. بدت الحظائر والسقائف هادئة، ورأيت سيارة (أكيلي) الفورد القديمة في المرأب الواسع المكشوف، وبعد قليل من التأمل أدركت سر الغرابة في المكان..

لقد كان الصمت!..

فمن الطبيعي في أي مزرعة؛ أن يكون هناك بعض الهمهمة الهادئة المختلفة للماشية، والطيور والكلاب وغيرها.. لكن هذه المزرعة كانت تفتقد لكل علامات الحياة المألوفة.. أين ذهب الدجاج، والكلاب والماشية التي طالما أخبرني (أكيلي) أنه يمتلك بعضها؟.. ربما باع الكلاب، وربما كانت الماشية ترعى بالخارج.. لكن عدم سماع أي صوت على الإطلاق كان غريباً..

لم أتوقف أطول من هذا في الممر، ودلفت بحزم المنزل المفتوح، ثم أغلقت الباب خلفي.. فعلت هذا بمشقة نفسية، والآن وقد صرت داخل البيت المغلق، فقد تمنيت للحظة لو تراجعت..

لكنني؛ لم أر على الأقل أي شيء شرير في المكان.. بل وعلى العكس، فقد بدا الرواق الطويل جميلاً.. وأعجبني ذوق الرجل الذي أثث هذا المكان.. لكن ورغم هذا؛ فقد بقي شيء خافت غامض للغاية بداخلي يتمنى الهرب.. ربما كان مبعث هذا الإحساس؛ تلك الرائحة الغريبة الممتزجة بشيء من العفونة، والتي يعبق بها المكان.. رغم علمي أن مثل تلك الرائحة العتيقة شيء مألوف في كل المزارع الريفية القديمة..

VI

رافضًا السماح لمثل تلك الهواجس الضبابية بالسيطرة علي؛ اتبعت تعليمات (نويس) ودفعت الباب الأبيض المحلى بأعمدة النحاس في يسار الردهة وفتحته.. كانت الحجرة خلفه مظلمة كما أخبرني (نويس) وحين وطأتها لاحظت أن الرائحة الغريبة صارت أقوى.. بدا، وكأن هواءها مشحونًا بتيار من الكهرباء الاستاتيكية..

لم تساعدني الستائر المغلقة على رؤية الكثير في الغرفة، لكن صوتًا معتذرًا، متقطعًا هامسًا؛ لفت انتباهي لمقعد كبير في الركن البعيد المظلم من الحجرة. وفي عمق الظلال؛ رأيت الضمادات البيضاء التي تغطي وجه الرجل ويديه.. تقدمت نحوه، وخلال الضوء الخافت في العتمة؛ أدركت أن هذا الرجل هو مضيفي.. كنت قد درست الصور التي أرسلها جيدًا، ومنها أدركت أنه هو (أكيلي) نفسه بوجهه الخشن القوي، ولحيته الشهباء المهذبة..

لكنني حين نظرت ثانية؛ شعرت ببعض التعاسة والانزعاج، وأنا أرى المرض الشديد في وجه الرجل.. شعرت، وأنا أرى التعبيرات الجامدة

المتيبسة لوجهه، ونظرة عينيه الزجاجية الجاحظة التي لا ترمش؛ أن الأمر أكبر من أن يكون مجرد وعكة بسيطة.. أدركت؛ كم أثرت الأحداث المريعة الأخيرة على صحته؟.. بالطبع؛ لا يمكن لأي بشر حتى لو كان أكثر بسالة؛ أن يتحمل مثل تلك الخبرات المحرمة..

كنت أخشى أن يكون انتهاء تلك الأمور المخيفة؛ قد جاء متأخرًا للغاية لإنقاذ الرجل من التحطم.. شعرت، وكأن الحياة نفسها قد غادرت جسده، وأن من أراه الآن ما هو إلا جسدًا ماديًا لا روح فيه.. كان يرتدي ثوبًا واسعًا، وقد أحاط رأسه ورقبته بوشاح، أو قلنسوة صفراء..

لاحظت؛ أنه واصل الحديث بنفس الصوت المتقطع الهامس الذي حياني به.. كان من الصعب تمييز هذا الهمس في البداية، وقد أخفى الشارب الكث حركة الشفتين تمامًا، كما كان في نبرة صوته شيء أزعجني كثيرًا، لكن ومع الإنصات والتركيز؛ صرت قادرًا على فهم مضمون حديثه. كانت لهجته ريفية تمامًا، وكانت لغته مهذبة بصورة أكبر مما توقعته..

"السيد (ويلمارث) كما أعتقد؟.. أرجو أن تغفر لي عدم قدومي لاستقبالك.. فأنا كما ترى مريض للغاية، كما لابد وأن السيد (نويس) قد أخبرك.. رغم هذا لا يمكنني مقاومة رغبتي في قدومك.. أنت تذكر ما قلته لك في خطابي الأخير، وهناك الكثير مما علي أن أحدثك عنه في الغد؛

حين أشعر بالتحسن.. لا يمكنني أن أخبرك؛ كم أنا سعيد لرؤيتك بعد كل تلك الخطابات التي تبادلناها سويًا.. لكن بالمناسبة؛ هل جلبت هذا الملف معك؟.. ها.. وكذلك الصور والتسجيلات؟".

"لقد وضع (نويس) أغراضك في الردهة، وأعتقد أنك قد رأيتها.. هذه الليلة أخشى القول؛ أن عليك الاهتمام بنفسك بصورة كبيرة.. إن غرفتك بالأعلى.. إنها الغرفة التي تعلو هذه الغرفة، وسوف ترى الحمام مفتوحًا في مواجهة السلم.. هناك كذلك وجبة معدة من أجلك في غرفة الطعام.. إنها على اليمين من هنا.. يمكنك تناولها؛ متى شعرت بالجوع.. وأعدك أن أصبح أفضل حالاً في الغد، لكن في هذه اللحظة؛ أشعر بالسقم الشديد."

"اعتبر نفسك في منزلك.. أتمنى لو أخرجت الخطابات، والصور والتسجيلات من حقيبتك، ووضعتها كلها على الطاولة هنا قبل أن تصعد إلى حجرتك.. إن هذا هو المكان الذي سوف نناقش فيه كل أمورنا.. كما يمكنك أن ترى (الفونوغراف) في الركن هناك."

"لا.. أشكرك.. لا شيء يمكنك فعله من أجلي.. فقط انتظر أن تعود إلى هنا لبعض الوقت في المساء لنتحدث قليلاً، وبعدها يمكنك الذهاب لفراشك متى شئت؟.. سوف أمكث أنا هنا.. وربما أنام هنا كذلك طوال الليل كما أفعل عادة.. وفي الصباح سوف أكون أفضل حالاً للبدء في

الأمر الذي خططنا له.. أنت تدرك بالطبع الطبيعة الخارقة للأمر الذي نواجهه، فسوف يباح لنا نحن الاثنين، كما كان للقليلين في هذا العالم؛ الكثير من المعرفة التي لا يتخيلها أي عقل بشري على الاطلاق."

"هل تعلم أن (أينشتاين) كان على خطأ، وأن بعض المواد يمكنها السير بسرعة أكبر من الضوء؟.. بل ومع اكتساب المعارف المناسبة؛ يمكننا القفز في الزمن للأمام والخلف، وأن نرى الأرض في الزمن السحيق، والعهود المستقبلية.. لا يمكنك تخيل مقدار ما بلغه هؤلاء من علم، وأنه لا شيء هناك لا يمكنهم عمله في عقول، وأجساد الكائنات الحية.. إنني وبمساعدتهم أتوقع أن أزور كواكب أخرى.. بل وربما نجوم ومجرات أخرى.. وأول رحلة ستكون إلى (ياجوس) أقرب عالم استوطنه هؤلاء المخلوقات.. إنه جرم سماوي غريب مظلم على حافة نظامنا الشمسي.. غير معروف لنا نحن الأرضيين، حتى الآن.. وأعتقد أنني قد كتبت لك عنه من قبل.. في الوقت المناسب ربما سمح هؤلاء لنا باكتشافه، أو ربما سمحوا لواحد من أتباعهم البشريين بإلهام أحد الفلكيين بمكانه."

"إن سطح (ياجوس) يعج بالمدن الهائلة.. صفوفًا عملاقة من الأبراج السامقة المبنية من الصخر الأسود الشبيه بذلك الحجر الذي حاولت إرساله لك.. لقد جاء هذا الحجر الأسود من (ياجوس).. إن الشمس لا تسطع أكثر فوق سطحه من أي نجم آخر.. لكن هؤلاء الكيانات لا تحتاج للضوء.. إن لديهم حواسًا أخرى لا نعرفها يتواصلون بها.. كما لا

توجد أي نوافذ على منازلهم، أو معابدهم الضخمة.. بل إن الضوء يؤذيهم، ويعيقهم ويصيبهم بالاضطراب.. لأنه لا وجود له في السديم الأسود في الفضاء الذي لا زمن له حيث أتوا في البداية.. إن القيام بزيارة إلى (ياجوس) لكافية لإصابة أي رجل ضعيف بالجنون.. لكنني رغم هذا؛ سوف أذهب إلى هناك.. إنني أتوق لرؤية الأنهار السوداء التي تجرى هناك أسفل جسورهم الغامضة المهولة.. جسور بنتها أجناس منقرضة منسية أكثر قدمًا؛ ذهبت إلى الظلال قبل أن تأتي تلك الكيانات إلى (ياجوس) من السديم الغامض.. هذا شيء لا يمكن لأي بشري، حتى لو كان (دانتي) نفسه أو حتى (أدجار الن بو) أن يصفه، هذا بالطبع لو ظل بعقله."

"لكن تذكر.. أن هذا العالم المظلم من الحدائق الفطرية، والمدن التي بلا نوافذ ليس شيئًا مرعبًا في الحقيقة، إننا فقط قد نراه كذلك، وربما رآنا هذا العالم مرعبين له، كما نراه مخيفًا لنا؛ عندما أتوا إلى هنا للمرة الأولى.. في الزمن البعيد.. أنت تعلم أنهم كانوا هنا منذ وقت طويل من انتهاء العهد الرائع لـ (كاثلو).. وربما مازالوا يذكرون كل شيء عن مدينة (ريليه) الغارقة؛ عندما كانت لاتزال تطفو على الماء..

لقد عاشوا داخل الأرض نفسها.. وكان هناك أبوابًا سرية؛ تقود إلى هناك لا يعلم عنها البشر شيئًا.. إن بعض تلك النوافذ موجودة هنا في تلال (فيرمونت) المهجورة.. وهناك عالم عظيم مجهول يعيش بالأسفل

هناك.. (كين – يان) الأزرق .. (يوث) الأحمر .. و (نيكاي) الأسود المظلم.. ومن نيكاي المظلم أتى (سائوجيو) المخيف .. ذلك الإله الشبيه بالضفدع المذكور في الأساطير البانكوكيه، وفي كتاب (النيكرونوميكون). "

"لكننا سوف نتحدث في كل هذا لاحقًا.. أعتقد أنها الآن الرابعة أو الخامسة.. ربما كان عليك أن تجلب الأغراض من حقيبتك.. ثم اخلد لبعض الراحة، ثم عد ثانية لنتحدث ثانية.. "

وببطء شديد استدرت، وبدأت في تنفيذ ما طلبه مني مضيفي.. جلبت حقيبتي.. وأخرجت الأشياء التي طلبها مني، ووضعتها أمامه على المنضدة.. بعدها صعدت للحجرة التي خصصها لي.. كنت أشعر بالفزع، ومازال أثر المخالب على الطريق ماثلاً أمام عيني.. أصابني حديث (أكيلي) الهامس، والتلميحات المألوفة عن هذا العالم الفطري المجهول (ياجوس) المحرم بالاضطراب.. كل هذا جعل جسدي يرتجف.. ومع هذا؛ كنت أشعر بأسف هائل لمرض (أكيلي)..

لكن علي الاعتراف؛ أن صوته الأجش كان مخيفًا.. ليته ما تحدث عن (ياجوس) ولا أسراره السوداء..

كانت حجرتي مؤثثة بطريقة جيدة.. كما خلت تمامًا من تلك الرائحة الخانقة، أو ذلك الهواء المشبع بالكهرباء الاستاتيكية، وبعد أن تركت حقيبتي هناك هبطت ثانية؛ لأتناول الطعام المعد لي.. كانت حجرة الطعام

خلف المختبر تمامًا، ولاحظت أن المطبخ يقع في نفس الاتجاه، وعلى طاولة الطعام كان هناك الكثير من الشطائر، والكعك والجبن.. كما كان هناك (ترمس) قهوة، و(فنجان) نظيف على المنضدة كذلك..

وبعد أن استمتعت بوجبة الطعام؛ صببت بعض القهوة.. لكن مذاقها كان مريعًا؛ ولهذا لم أكملها.. كنت طوال الطعام أفكر في (أكيلي) وفي مقعده القابع في الظلام في الحجرة المجاورة..

ذهبت إليه قبلها؛ لأسأله أن يشاركني الطعام.. إلا أنه اعتذر بأنه لا يمكنه تناول أي شيء في تلك اللحظة، ووعدني أن يتناول شيئًا ما لاحقًا..

وبعد تناول الطعام؛ أصررت على تنظيف الأطباق في مغسلة المطبخ.. ثم أفرغت القهوة التي لم أحبها.. بعد ذلك عدت للمختبر المظلم ثانية.. جذبت مقعدًا بالقرب من مقعد مضيفي، واستعددت للمحادثة التي شعرت أنه يميل لبدئها.. كانت الرسائل والصور والتسجيلات؛ مازالت بمكانها فوق المنضدة.. لكن في ذلك الوقت لم نكن بحاجة لتصفحهم..

كنت قد ذكرت؛ أن هناك بعض الأشياء الخطيرة في خطابات (أكيلي) وخاصة في الخطاب الثاني الضخم، والذي لا أجسر على إعادة ذكرها ثانية أو حتى تدوينها على الورق.. والآن أعود لأقول؛ أنني لا أجرؤ

كذلك على ذكر تلك الهمسات التي راحت تتردد في ذلك المساء؛ داخل الغرفة المظلمة في بيت (أكيلي) المنعزل وسط التلال..

عرف (أكيلي) أشياءً مريعة من قبل، لكن ما عرفه بعد ذلك، وبعد أن عقد حلفًا مع تلك المخلوقات الفضائية؛ كان أكبر من أن يتحمله العقل، وحتى الآن مازلت على رفضي لما ذكره عن العوالم الغير معروفة، والأبعاد المتوازية، وكذلك الموقع المخيف لكوننا المعروف في الفضاء، والزمن اللامتناهي..

كان ما عرفه يثير الجنون، ولم يدنُ أي عقل حي يومًا من تلك المعارف المحرمة.. عرفت؛ من أين أتى (كاثلو) في البداية؟.. وأين ذهبت؟.. وكيف انفجرت نصف النجوم التي كانت معروفة قديمًا؟.. كما خمنت من التلميحات – التي جعلت حتى (أكيلي) يتوقف للحظة منبهرًا، وهو يخبرني بها – الأسرار المتوارية خلف غيوم ماجلان، والسدوم الكروية.. كما عرفت الحقائق المظلمة المخفية في حكايات التاو المنسية.. علمت ماهية كلاب صيد (تيندالوس، أسطورة ييج، أبو الهول) ومن أين تناثرت القصص المريعة حول (أزاوث) والمدونة في كتاب (النيكرونوميكون)..

شعرت بالصدمة مع معرفتي بسر الكوابيس المخيفة للأساطير السرية التي تزيد بشاعتها المجردة على أكثر تلميحات رهبان العصور الوسطى والقديمة وضوحًا..

قادني تفكيري للاعتقاد؛ بأن أول الهامسين بتلك الحكايات الملعونة لابد، وأنهم قد تواصلوا في البداية مع المخلوقات الغريبة التي هاجمت (أكيلي) وأنهم لابد قد زاروا عوالم كونية خارجية.. كما يقترح (أكيلي) الآن القيام بزيارتهم..

لقد أخبرني (أكيلي) بسر الحجر الأسود وما أهميته، وكم كان (مسرورًا) لأنه لم يصلني.. كان غريبًا أن كل تخميناتي حول اللغة الهيروغليفية؛ كانت صائبة تمامًا.. بدا (أكيلي) الآن، وكأنه صار على وفاق كامل مع هذا النظام الشرير الذي اكتشف سره.. وبدا مستعدًا للغوص أكثر وأكثر في تلك الهاوية البشعة..

سألته؛ هل كان هناك المزيد من اللقاءات مع الكائنات الغريبة بعد خطابه الأخير لي؟.. وهل تحدث إلى الكثير منهم؟.. وهل كان أغلبهم في هيئة بشرية؟.. مثل مبعوثهم الأول الذي ذكره لي.. نما التوتر في عقلي بصورة لا تحتمل، ورحت أقترح في عقلي كل النظريات الشاذة المحتملة لسر تلك الرائحة الكريهة، وسر هذا الهواء المشحون بالكهرباء الاستاتيكية في الحجرة المظلمة..

هبط الظلام الآن، وكلما تذكرت ما قاله (أكيلي) عن أهوال الليالي الأولى.. كنت أرتجف من فكرة؛ ألا يكون هناك قمر في السماء.. إنني لم

أحب لحظة تلك البقعة البعيدة التي توجد فيها المزرعة.. على ذلك المنحدر المعشوشب المؤدي مباشرة إلى فوهة الجبل المظلم الغير مأهول..

أشعلت مصباحًا زيتيًا وضعته على سطح مكتبة بعيدة بجوار التمثال النصفي الشبحي لـ (ميلتون).. لكنني لاحقًا شعرت بالأسف؛ أنني فعلت هذا؛ لأنها جعلت وجه مضيفي الجامد، ويديه الواهنتين؛ يبدون شديدي الغرابة، وأن يبدو جسده مثل الجثة.. بدا وكأنه غير قادر على الحركة، رغم أنني شاهدته يومئ بضعف قبل قليل..

وبعد أن تحدث؛ كنت بالكاد قادرًا على تخيل تلك الأسرار العميقة التي كان يؤجلها للغد.. لكن في النهاية؛ أدركت أنه يؤجل الحديث عن الرحيل إلى (ياجوس) وما هو أبعد، ورغبته في إشراكه أمر كهذا للغد، ولابد أنه استمتع بذعري حين عرفت برغبته في أن أشاركه رحلته الكونية، فقد راح رأسه يهتز ببطء حين أظهرت هلعي، وبعدها عاد للتحدث بلطف عن كم الإنجازات التي يمكن للبشر تحقيقها.. لو تمكنوا من السفر بين النجوم..

كان يؤمن؛ أن أجسادنا البشرية لن تحتمل القيام بمثل تلك الرحلة، وأنه بواسطة معرفة تلك المخلوقات الفضائية الكيميائية، والجراحية والميكانيكية؛ يمكن للعقل البشري القيام بهذه الرحلة بعد أن يغادر الجسد..

قال: إن هناك طريقة علمية لفصل المخ عن الجسد بطريقة غير مؤلمة، وأن هناك طريقة ما لإبقائه حيًّا بعيدًا عن الجسد.. بعدها يتم ضغط المادة المخية العارية، وغمرها في سائل حيوي مغذٍ داخل أسطوانات الأثير الضيقة، المصنوعة من معادن خاصة تأتي من (ياجوس) ثم يتم توصيلها بأقطاب كهربائية خاصة تتصل بآلات متقنة.. قادرة على التعبير عن الحواس الثلاث الأساسية؛ البصر، والسمع والنطق.. هنا يصير من السهل أن تحمل تلك الكائنات الفطرية المجنحة تلك الأسطوانات الحيوية، وتحلق بها في الفضاء نحو كل كوكب تزدهر فيه حضاراتهم؛ حيث توجد الآلات المناسبة التي يمكن توصيلها بالعقول المغلفة.. هنا وبعد تلك الرحلات الكونية الطويلة؛ يمكن للمرء أن يستعيد بصورة ما حياة حسية ميكانيكية معقولة..

اعتقد (أكيلي) أن الأمر سهلاً، وأنه يشبه حمل اسطوانات (الفونوغراف) وتشغيله كلما تم إيجاد الجهاز المناسب.. أما عن نجاح تلك الفكرة فلا أجوبة عنده.. لكن (أكيلي) لم يكن خائفًا، ولم يتساءل حتى؛ هل حدث هذا الأمر من قبل بنجاح أم لا؟..

وللمرة الأولى؛ ارتفعت واحدة من يديه الواهنتين، وأشارت بصلابة نحو رف مرتفع في الجانب البعيد من الحجرة.. كان هناك صف لطيف من الأسطوانات المعدنية؛ لم أره من قبل.. أسطوانات يقارب ارتفاعها، وقطرها قدمًا واحدًا؛ مزودة بثلاثة مقابس غريبة على السطح الأمامي

المحدب لكل واحدة.. كان واحدًا منها متصلاً بواسطة اثنين من مقابسه بآلة فريدة الشكل كانت تنتصب خلف الأسطوانات.. بالطبع لم أكن بحاجة لأن يخبرني بما في تلك الأسطوانات، وارتجفت وأنا أرمقها، كما لوكنت مصابًا بالملاريا.. بعدها؛ رأيت اليد، وهي تشير إلى نقطة في ركن آخر، حيث كان هناك بعض الآلات المعقدة يخرج منها الكثير من الأسلاك والسدادات.. كان العديد منهم يشبه بصورة كبيرة الآلة الغريبة خلف صف الأسطوانات..

وهمس الصوت:

"هناك أربعة من تلك الآلات هنا، ويلمارث .. أربعة أنواع، وكل واحدة تتكون من ثلاثة أجزاء.. هذا يجعل مجموع الجميع اثنى عشر جزءً.. أنت ترى هنا أربعة أنواع مختلفة من الكيانات ممثلة في تلك الأسطوانات هناك.. ثلاث منها من البشر، وستة من الكائنات الفطرية التي لا تستطيع الإبحار في الفضاء ببدنها، واثنان من مخلوقات (نبتون).. أما باقي الكيانات، فقد جاءت من الكهوف البعيدة لنجم مظلم مثير يقع خارج المجرة، وهناك في مدخلهم الرئيسي داخل التلال المقببة يمكنك أن تجد المزيد من الأسطوانات والآلات.. أسطوانات تفيض بالكثير من العقول الكونية.. لها كل الحواس المختلفة التي قد تتخيلها.. منهم الغرباء والمستكشفون والعلماء، من الأبعاد السحيقة في الكون.. وهناك المزيد

من الآلات التي تمنحهم التعبيرات المختلفة المناسبة لكل منهم، وللتواصل مع الأنواع المختلفة من المستمعين..

"إن بوابتهم الموجودة في تلالنا المقببة، كما هو الحال في بواباتهم السرية الأخرى على كوكبنا؛ هي منافذ تطل على أكوان مختلفة، ولقد سمحوا لي باستعارة تلك الأسطوانات للقيام بتجاربي."

"والآن خذ هؤلاء الأسطوانات الثلاث اللاتي أشير لهم، وضعهم على الطاولة.. ابدأ بهذه الطويلة المزودة باثنين من العدسات الزجاجية في مقدمتها، وصندوق به أنبوبة تفريغ، وميكرفون للصوت.. بعدها أحضر تلك الواحدة ذات القرص المعدني في قمتها.. وأخيرًا أحضر تلك الأسطوانة المرقمة (B–67) الأخيرة هناك.. ربما كانت الأسطوانات ثقيلة.. لكن أعتقد أن بإمكانك حملها.. تأكد من الرقم هو (B–67) لكن إياك أن تُقلق تلك الأسطوانة الساطعة المتصلة بآلتي الاختبار.. تلك التي مكتوب عليها اسمي.. "

"ضع المكتوب عليها (B–67) على المنضدة بالقرب من الآلات التي وضعتها هناك .. والآن تأكد أن مفتاح التشغيل في الجميع ناحية اليسار."

"الآن.. صل الأسلاك المتصلة بعدسات الآلات، بمقابس الأسطوانات العلوية.. وصل الأنابيب بالقابس الموجود ناحية ذراعك الأيسر.. الآن؛ أدر كل أزرار التشغيل ناحية اليمين.. نعم هكذا.. ربما كان علي أن أقول

لك كذلك أن كل هؤلاء بشريون.. مثل أي واحد منا.. والآن؛ هل أنت مستعد لترى بعضًا من عجائب الغد؟!. "

وحتى هذا اليوم لا أدري؛ لماذا أطعت أوامره الهامسة بشيء من الخنوع.. ولماذا لم أفكر في أن (أكيلي) قد أصابه الخبال، وفقد عقله.. المهم أنني بعد كل ما فعلته؛ كنت على استعداد لحدوث أي شيء أمامي..

لكن هذا التمثيل الميكانيكي الصامت؛ بدا في ذلك الوقت كجنون نموذجي لمخترع مجنون، وما قاله ذلك الهامس في ذلك الوقت؛ كان أشد غرابة من أي معتقد إنساني..

راح عقلي يدور وسط هذه الفوضى، وصرت منتبهًا لطنين، وأزيز يأتي من الأسطوانات الثلاث.. طنين وأزيز سرعان ما انحسر إلى صمت تام.. ما الذي سوف يحدث؟.. هل سيأتي الصوت الآن؟.. وماذا لو حدث؟.. ما هو الدليل على أنه ليس خدعة معدة بمهارة؟.. وحتى الآن؛ فأنا غير مستعد للقسم بحقيقة ما سمعته، أو حقيقة تلك الظاهرة التي حدثت أمامي.. لكن شيئًا ما كان قد حدث يومها بالفعل..

وكي أكون بسيطًا موجزًا، فقد بدأت الأسطوانات في الحديث.. راحت تتحدث بصورة عاقلة وذكية؛ لم تدع مجالاً للشك أن من يتحدث موجود

بيننا بالفعل ويراقبنا.. كان الصوت مرتفعًا، معدنيًا، باردًا، وميكانيكيًا تمامًا في كل تفصيلة منه، وقد خلا من أي تعبير..

قال الصوت:

"سيد ويلمارث، أتمنى لو لم أكن قد باغتك.. إنني بشري مثلك تمامًا.. لكن جسدي يرقد الآن في أمان تحت معالجة حيوية داخل التلال المقببة.. على بعد ميل، ونصف إلى الشرق من هنا.. لكنني أنا هنا معك في هذه اللحظة.. إن عقلي داخل تلك الأسطوانة، ويمكنني السمع والإبصار والكلام بواسطة هذه الآلات المهتزة، وفي خلال أسبوع سوف أذهب عبر الفراغ، كما ذهبت مرات عدة من قبل، وأتمنى أن أنال شرف مصاحبة السيد (أكيلي) معي هذه المرة.. أتمنى لو ترافقنا أنت الآخر في تلك الرحلة المثيرة.. إنني أعرفك مما سمعته عنك، ومن خلال تتبع مراسلاتك المتبادلة مع (أكيلي). "

" إنني بالطبع واحدًا من هؤلاء الرجال الذين صاروا من الغرباء مثل الكائنات الفضائية التي تزور كوكبنا.. لقد قابلتهم للمرة الأولى في

(الهيملايا) ولقد ساعدتهم في أمور عدة.. وفي المقابل منحوني تلك المعرفة التي لم يحظ بها غير القليلون. "

"هل تدرك ما الذي يعنيه القول؛ أنني قد زرت سبعة وثلاثين جرامًا سماوية، وكواكب ونجومًا مظلمة، وغيرها من أماكن غير محددة.. من بينها ثمانية خارج مجرتنا، واثنين في أبعاد أخرى؟.. كل هذا لم يصبني بأذى على الإطلاق.. لقد أزيل مخي من جسدي بطريقة جراحية متقدمة للغاية.. وهؤلاء الزائرون يملكون من الطرق ما يجعل هذا الأمر غير مؤلم على الإطلاق.. كما أن الجسد لا يكبر على الإطلاق عندما يكون المخ خارجه.. يمكنني كذلك أن أضيف أنني صرت بشكل حقيقي خالدًا، بوسائلهم التكنولوجية المتقدمة."

"إجمالاً؛ أتمنى بكل مودة لو تقرر أن تلحق بي والسيد (أكيلي).. إن الزوار متلهفون لمعرفة رجال العلم على شاكلتك.. ومتلهفون كذلك لتعريفك بالغيبيات العظيمة التي نحلم بها جميعًا، ونجهلها تمامًا.. قد يبدو غريبًا في البداية مثل هؤلاء الغرباء.. لكنني أعلم أنك سوف تتجاوز هذا بسرعة.. كما أعتقد أن السيد (نويس) سوف يمضى في الطريق الطويل نفسه الذي أمامك.. لقد كان واحدًا منا لوقت طويل وأعتقد أنك لاحظت؛ أن صوته يبدو كواحد من تلك الأصوات التي سمعتها في تسجيلات السيد (أكيلي) التي أرسلها لك. "

وبينما كنت غارقًا في الصدمة؛ توقف الصوت لبرهة.. قبل أن يردف:

"ولهذا سيد ويلمارث، فأنا سوف أترك المسألة لك.. فقط دعني أضف أن رجلاً في مثل ولعك بالعجائب والفولكلور؛ من العسير أن يدع فرصة مثل هذه.. لا شيء هناك لتخافه. كل التنقلات تحدث بلا ألم.. كما أن هناك الكثير من المتعة في أن تكون في تلك الحالة الميكانيكية، وعندما تزال الأقطاب؛ يسقط المرء منا في سبات من الأحلام المذهلة."

كان هذا هو كل شيء.. بعدها وبآلية أطفأت الأسطوانات الثلاث، ثم رحت أفكر بذهول وشك في كل شيء قد حدث.. كنت ما زلت أشعر بالدوار، حين سمعت صوت (أكيلي) الهامس يسألني؛ أن أعيد كل شيء إلى مكانه.. لم يحاول التعليق على ما حدث، وفي الحقيقة لم يكن بمقدور أي تعليق أن يفعل شيئًا، مع عقلي المجهد كليًا..

سمعته يخبرني؛ أن بوسعي اصطحاب المصباح إلى غرفتي، وأضاف أنه يرغب في أن يمكث في الظلام.. هذا هو وقت الراحة بحق، وحديثه معي بعد الظهيرة، وهذا المساء حتمًا كان ليصيب أي رجل بإنهاك لاحد له.. تمنيت لمضيفي ليلة سعيدة، وصعدت الدرج مع المصباح.. رغم أنه كان هناك كشافًا كهربائيًا جيدًا في جيبي..

كنت سعيدًا أنني قد ابتعدت عن ذلك المختبر ذا الرائحة الغريبة والهواجس الغامضة.. ورغم هذا لم يكن الهرب من إحساسي العميق

بالفزع والخطر ممكنًا.. كان كل شيء في المكان مرعبًا.. ذلك الكيان الغريب الذي حدثني منذ قليل.. المنطقة الموحشة المنعزلة، المنحدرات المشجرة المظلمة التي تلي البيت مباشرة، آثار المخالب على الطريق، المريض المتيبس الهامس في الظلام، وتلك الأسطوانات والآلات الشيطانية، وفوق كل هذا تلك الدعوة الغريبة للخضوع لتلك الجراحة العجيبة، واللحاق بتلك المخلوقات.. كل تلك الأشياء المتعاقبة في وقت قصير- والتي حدثت مرة واحدة ـ تركتني خائر القوى تمامًا..

كان اكتشافي أن (نويس) الذي أقلني للمكان؛ واحدًا من تلك الجوقة التي سمعتها في تسجيلات (الفونوغراف) صدمة حقيقية.. رغم أنني ومنذ الوهلة التي تكلم فيها؛ شعرت أن هناك شيئًا ما مألوفًا في صوته.. كانت هناك صدمة أخرى خاصة بي، فقد تبدلت مشاعري تمامًا ناحية (أكيلي).. ذلك الصديق الذي كنت أشفق عليه خلال خطاباتنا الطويلة المتبادلة.. الآن أجد نفسي مليئًا بالنفور منه.. لقد هيج مرضه شفقتي، لكن في هذه اللحظة؛ صار مرضه يصيبني بالقشعريرة.. إنه متصلب، وخامل للغاية كالجثث تمامًا.. كما كان صوته الهامس المستمر كريه للغاية وغير بشري..

هذا الهمس كان يختلف تمامًا عن أي همس آخر سمعته في حياتي، فرغم جمود شاربه الغريب أثناء تحدثه؛ إلا أن صوته كان قويًا على رجل مصاب بتلك النوبة الصحية العنيفة.. لقد لاحظت غير مرة أثناء حديثه؛ أن

الصوت ارتفع لمرة أو مرتين بصورة لا يمكن لرجل يمثل هذا المرض الذي يدعيه؛ أن يخرج الصوت منه بمثل هذه القوة.. لكن؛ لماذا مثلاً يدعي المرض هكذا؟.. لا أعلم!.. ومنذ أول لحظة؛ كنت أشعر بشيء غير مريح في نبرات أصواتهم..

والآن؛ وحين أحاول تقييم الأمر في عقلي.. يمكنني القول؛ أن هذا الانطباع كان نابعًا من أن نبرته إلى حد ما كانت مألوفة لعقلي الباطن، ومرتبطة بأمر كريه.. تمامًا كما شعرت حين سمعت صوت (نويس)..

شيء واحد كان مؤكدًا.. أنني لن أقضي ليلة أخرى في هذا المكان.. لقد ولى فضولي العلمي وسط الفزع، وكراهية ما يحدث.. ولم يكن هناك ما أفكر فيه في تلك اللحظة؛ غير الهرب من هذه الأمور المريعة، والهواجس غير الطبيعية..

إن ما أعلمه كان كافيًا في تلك اللحظة.. لقد صرت متأكدًا أن هناك رابطًا ما يربط بعض البشر بهؤلاء الكيانات الغريبة، لكن هذا لا يعني أن يفكر أي رجل عاقل في التورط في أمر كهذا..

كل تلك الأمور الجهنمية كانت تحيط بي، وتضغط على أعصابي، وكان النوم كما قررت أمرًا ملحًّا في تلك اللحظة؛ ولهذا فقد أطفأت المصباح ثم تمددت على الفراش بكامل ملابسي..

وبلا شك؛ كان النوم في تلك اللحظة فكرة حمقاء.. لكنني كنت متحفزًا لأي خطر طارئ.. قبضت على مسدسي الذي أصطحبه معي بكفي الأيمن.. وأبقيت الكشاف اليدوي في كفي الأيسر.. لم يأت أي صوت من الأسفل، وكان بإمكاني تخمين؛ كيف يجلس (أكيلي) الآن في جمود شاحب في الظلام..

ومن مكان ما.. سمعت صوت ساعة تدق.. شعرت بالراحة لسماع هذا الصوت المألوف، فقد ذكرني ثانية بالشيء الغريب في هذا المكان، والمتمثل في الصمت السرمدي الذي لا يعكره أي صوت ما..

كان مؤكدًا أنه لا حيوانات ضارية بالجوار.. لكن الشيء الغريب؛ هو الغياب التام للأصوات المعتادة في الليل لتلك الكائنات البرية التي تحيا بالجوار.. لم يكن هناك غير صوت خرير ماء غير مرئي..

كنت أعلم من دراستي للأساطير؛ أن الكلاب، والوحوش الأخرى تكن العداء للغرباء.. فهل كان هذا سبب عدم وجودهم بالجوار؟!..

VII

لا تسألوني؛ كم من الوقت دامت غفوتي أو نومي، ولا كم الكوابيس التي هاجمتني في تلك الغفوة. لكني في لحظة معينة استيقظت، وأنا أسمع أصواتًا غير مريحة. لوهلة وقتها اعتقدت أنني لم أستيقظ بعد، وما زلت أحلم، وأن كل شيء حدث حينها؛ كان مجرد حلم طال حتى هربت من البيت، وتعثرت في السقيفة حيث عثرت على السيارة الفورد القديمة.. التي استوليت عليها، ورحت أجري بها في سباق مجنون لا معنى له؛ فوق التلال الملعونة لساعات؛ مخترقًا غابات خطرة كالمتاهة.. حتى بلغت في النهاية؛ قرية اتضح أنها بلدة (تاونز هند)..

ربما كذلك رفضت كل شيء آخر قصصته في تلك القصة، وربما قلت بثقة أن الصور، والتسجيلات والأسطوانات والآلات، والأدلة الباقية لم تكن إلا خدعة ماكرة مضللة اخترعها (هنري أكيلي) المفقود.. وربما اعتقدت كذلك أن (أكيلي) ربما تآمر مع بعض غريبو الأطوار على تنفيذ تلك الخدعة السخيفة المتقنة.. فربما كان هو من سرق ذلك الطرد الذي

أرسله لي من (كين) وربما كان من أوعز إلى (نويس) لصنع تلك التسجيلات المخيفة..

كان الأمر العجيب كذلك؛ أن (نويس) ظل مجهولاً، وغير معروف بعد ذلك لكل القرى القريبة من مزرعة (أكيلي) رغم أنه لابد، وأن يكون قد ظهر أحياناً في بعض الأماكن.. تمنيت لو كنت قد انتبهت لرقم لوحة سيارته، فربما قادني هذا لشيء حينها..

أما بالنسبة لي، ورغم كل ما يمكنك أن تقوله، ورغم ما قد أحاول أن أقنع به نفسي في أحيان أخرى، فإنني أؤمن أن شيئًا كريهًا خارج سيطرتنا يكمن هناك في تلك التلال المجهولة، وأنه لتلك الأشياء جواسيسها ومبعوثيها التي تراقب عالم البشر، وأن البقاء بمنأى عن تلك الأشياء وجواسيسها؛ كان هو هدفي الوحيد في المستقبل كله..

أخبرت القصة الغريبة لمأمور البلدة؛ الذي ذهب من فوره لمزرعة (أكيلي). لكنه حين وصل كان (أكيلي) قد ذهب دون أن يخلف وراءه أي شيء.. فقط ترك هناك ثوبه الفضفاض، والضمادات البيضاء، والوشاح الأصفر على أرض مختبره بالقرب من المقعد الذي كان يجلس عليه..

كانت الكلاب، والماشية غير موجودة، وكان هناك بعض آثار طلقات النار المثيرة في مدخل البيت، وحول النوافذ، وعلى بعض الجدران.. لكن

لم نعثر على أي شيء آخر.. لم نجد الأسطوانات أو الآلات، ولم نعثر كذلك على الأدلة التي جئت بها من صور، وتسجيلات وخطابات.. لا رائحة غريبة أو هواءً مشحوناً، كما لم نعثر على آثار المخالب، والأقدام على الطريق.. وكذلك لم نعثر على أي من الأشياء الصعبة التي رأيتها أثناء الليل..

مكثت لنحو أسبوع في (براتلبورو) بعد هروبي، وقمت بكل أنواع التحقيقات بين الناس من كل نوع، والذين عرفوا (أكيلي) وأقنعتني النتائج؛ أن ما حدث لم يكن مبعثه الوهم أو تلفيق حلم.. أخبروني عن سلوك (أكيلي) الغريب في شراء الكثير من الكلاب، والذخيرة والمواد الكيميائية، وكذلك أخبروني بقطع أسلاك هاتفه أكثر من مرة، وكذلك همس بعضهم بأمر التسجيلات الملعونة التي عرضها على بعض العجائز والمتسكعين.. كما أجمع كل من عرفه، بما فيهم ابنه الذي كان يعيش في (كاليفورنيا)؛ أن دراساته الغريبة حوت الكثير من النقاط المنطقية..

أما المواطنون المتحفظون؛ فقد رأوا أنه رجل مجنون.. وأن كل تلك الأدلة الغريبة، لابد أن عقلاً مختلاً هو من اختلقها بمساعدة بعض غريبو الأطوار.. لكن المواطنون السذج أيدوا كل ما قاله بلا تحفظ.. فقد عرض أمام بعض هؤلاء البسطاء الصور، والحجر الأسود، وشغل لهم التسجيلات، وقد أكد جميعهم أن الآثار الغريبة، والأصوات الخشنة تشبه كثيراً ما وصف في أساطير الأسلاف..

قالوا كذلك؛ أن تلك المشاهدات والأصوات؛ قد شوهدت على نحو متزايد بالقرب من مزرعة (أكيلي) بعد أن عثر على الحجر الأسود، وأن هذا المكان صار محرمًا على الجميع ما عدا رجل (التلغراف) وبعض الرجال الشجعان أو المتعلمين..

قالوا؛ إن الجبل الأسود، والتلال المقببة كانت من الأماكن التي تثور حولها الإشاعات؛ ولهذا لن أعثر أبدًا على أي شخص؛ فكر في استكشاف تلك الأماكن ولو مرة..

كان الاختفاء العرضي لبعض المواطنين في كل أنحاء المقاطعة؛ أمرًا مألوفًا وموثقًا.. ومن بين هؤلاء المفقودين كان المتشرد (والتر براون) الذي ذكره (أكيلي) في خطاباته.. بل وقد عثرت على مزارع يعتقد بأنه قد شاهد واحدة من تلك الأجساد الطافية في مياه النهر الغربي خلال الفيضان، لكن حكايته كانت مشوشة، وغير واضحة لاتخاذها كدليل ثمين على ما حدث..

عندما غادرت (براتلبورو) أقسمت ألا أعود ثانية لـ (فيرمونت) وإنني لواثق تمامًا أنني لن أحنث بقسمي هذا مهما حدث.. إن تلك التلال الموحشة هي بلا شك بوابات تأتي منها تلك الأجناس المخيفة، وزال كل شك بداخلي؛ حين علمت باكتشاف الكوكب التاسع الواقع خلف (نبتون). أطلق العلماء على ذلك الكوكب اسم (بلوتو)، لكنني متأكد أن

هذا الكوكب الجديد ليس إلا كوكب (ياجوس) المظلم.. وإنني لأرتجف حين أفكر؛ لماذا قرر قاطنوه البشعين إظهاره في هذا الوقت، وعبثًا كنت أحاول طمأنة نفسي؛ أن تلك الكائنات الشيطانية لا تنوي إلحاق أي أذى، أو شر بسكان الأرض..

لكن مازال علي في النهاية؛ أن أخبركم بما حدث في تلك الليلة الرهيبة..

كما أخبرتكم؛ فقد سقطت في نوم مضطرب؛ نوم مليء بالكوابيس التي تعج بالوحوش البشعة.. لكن؛ ما الذي أخرجني من الحلم وأيقظني، فهذا ما لا يمكنني قوله!. لكنني استيقظت بغتة، وكان انطباعي المشوش الأول؛ أنني أسمع أصواتًا تسير خلسة على الخشب في الردهة خارج حجرتي، وأن هناك من يعبث بالمزلاج.. لكن كل هذا توقف على الفور حين فتحت أجفاني..

بعدها؛ رحت أسمع أصواتًا قادمة من المختبر بالأسفل.. بدا، وكأن هناك الكثير من المتحدثين، وبدا أنهم منهمكون في جدال عنيف..

في ذلك الوقت؛ أرهفت السمع لبعض الوقت.. محاولاً تخمين طبيعة تلك الأصوات.. راحت نبرات الأصوات تتغير بشكل كريه.. إن أي شخص حظي بفرصة الاستماع لتسجيلات (الفونوغراف) لم يكن ليشك لحظة في أن هناك صوتين على الأقل من المتحدثين بالأسفل؛ كانا هناك في

تسجيلات (الفونوغراف) .. المخيف هنا؛ هو أنني أقف في تلك اللحظة أسفل سقف واحد مع أشياء لا إسم لها جاءت من الفضاء البعيد..

أما عن هذين الصوتين، فقد كانا يتحدثان بصوت شيطاني يشبه ما اعتادت تلك الأشياء الفضائية استخدامه في التحدث إلى البشر.. كان الصوتان غير متشابهين، مختلفين في النبرة واللهجة والإيقاع، لكنهما كانا من نفس النوع المخيف..

كان هناك صوت ثالث؛ لا شك في أنه صوت معدني آلي؛ يصدر من إحدى تلك الأسطوانات التي تحتوي على مخ بشري.. كانت تحمل نفس الصوت المعدني الخالي من الحياة المهذب الدقيق الذي سمعته في مختبر (أكيلي) تلك الليلة، والذي من المستحيل نسيانه..

ولبعض الوقت؛ لم أتوقف عن التساؤل؛ هل كان الصوت المعدني هو للشخص نفسه الذي حدثته من قبل؟.. لكنني بعد قليل قررت؛ أن أي مخ سوف يصدر نفس الصوت لو اتصل بنفس الآلة الناطقة.. إن الاختلاف الوحيد في هذه الحالة سيكون في اللغة، والإيقاع وسرعة التحدث..

وليكتمل هذا الحديث المخيف؛ كان هناك صوتين بشريين حقيقيين؛ واحد كان لرجل مجهول راقي اللهجة كما بدا، والآخر كان يحمل لكنة

أهالي (بوسطن) ولم يكن صعبا تخمين من يكون الرجل الآخر.. كان مرافقي السابق (نويس)..

حاولت معرفة ما يقال في الحديث البعيد الغير واضح.. كما كنت منتبهًا كذلك للضوضاء، وأصوات الاضطرابات التي كانت تدور بالأسفل؛ ولهذا لم أتمكن من التوقف عن التفكير في أن المختبر يمتلئ في هذه اللحظة بالكثير من تلك المخلوقات غير الأرضية..

كان تحديد طبيعة تلك الاضطرابات عسيرًا، وكانت تلك الكائنات تدب على الأرض كما لو كانت مخلوقات واعية.. كان وقع أقدامهم على الأرضية ثقيلاً، كما لو كانوا يرتدون أحذية مطاطية ثقيلة.. أما؛ كيف تبدو تلك الكيانات صاحبة هذه الخطوات؟.. فهذا ما لم أجسر على تخيله؟..

في البداية؛ كنت أرى أنه من المستحيل تمييز هذه الأصوات المتداخلة.. لكن اسم (أكيلي) واسمي راح بعدها يتردد كثيرًا في المكان، وخاصة حين يتحدث ذلك الصوت المعدني.. لكنني لم أعِ بالضبط ما يقال، والحوار بأكمله ظل غير واضح..

كان هذا الاجتماع السري المريع منعقدًا في تلك اللحظة أسفل حجرتي.. لكن؛ لأي هدف عُقدت تلك المشاورات؟.. فلا أعلم.. كان من الجلي؛ أن فزعي من تلك الأشياء، ومما يحدث قد بلغ أشده.. رغم

كل تأكيدات (أكيلي) المطمئنة المؤكدة أن الغرباء لا يفكرون في إلحاق الأذى بي..

ومع إرهاف السمع بصبر؛ رحت أتبين بعض ما تقوله تلك الأصوات.. رغم إني لم أسمع الكثير مما يقال.. كما تبينت بعض التعبيرات أثناء الحديث، فعلى سبيل المثال؛ تحدث صوت من تلك الأصوات الغريبة بملحوظة معروفة عن السلطة.. بينما بدا الصوت المعدني رغم قوته في موقع التبعية والالتماس، أما (نويس) فراح يتحدث بسرعة، وكأنما يحاول فك هذا الاشتباك، لكن ما قيل بعد ذلك، فهذا ما لم أستطع تقريره..

لم أسمع همسات (أكيلي) المألوفة، لكنني أعلم أن مثل هذا الصوت الضعيف؛ لن يخترق أبدًا ذلك السقف الخرساني السميك الذي يفصلهم عن حجرتي..

سوف أحاول الآن؛ أن أنقل لكم بعض تلك الكلمات، أو الجمل التي سمعتها، والأصوات الأخرى التي أمكنني تحديدها؛ محاولاً تعريف كل صوت ما أمكنني ذلك..

كان الصوت المعدني؛ هو أول صوت استطعت تمييز بعض كلماته:

(الصوت المعدني)

" ... جلبته بنفسي ... أعاد الرسائل والتسجيل ... انتهى في هذا ... أخذ في ... رؤية وسماع ... اللعنة عليك ... قوى غير ذاتية رغم كل هذا ... الأسطوانة اللامعة الجديدة ... الله العظيم... "

(الصوت الغريب الأول)..."

" ... الوقت الذي توقفنا ... صغير وبشري ... أكيلي ... دماغ ... يقول..."

(الصوت الغريب الثاني)

"نيارلاثوتب ... ويلمارث ... التسجيلات والخطابات .... خدعة رخيصة ... "

(نويس)

" (كلمة غير واضحة من الممكن أن تكون؛ نيجاه- خاتون)... غير مؤذية ... سلام ... أسبوعين ... مسرحي ... أخبرتكم بذلك من قبل..."

(الصوت الغريب الأول)

" ... لا سبب ... الخطة الأصلية ... التأثير ... يستطيع (نويس) مراقبة التلال المقببة ... الأسطوانة الجديدة ... عربة نويس ..."

(نويس)

"... حسنًا ... كل ذلك ... أسفل هنا ... راحة ... المكان..."

(صوت العديد من الخطوات، ويشمل هذا بعض الفوضى والاضطراب)

(صوت محرك سيارة يهدر، ويبتعد)

(صمت)

كان هذا ما التقطته أذني؛ حين ألصقت أذني بالسقف أعلى السلم؛ لأستمع لما يدور بالأسفل.. في ذلك المنزل المخيف الواقع في التلال الشيطانية.. كنت أقبع هناك بكامل ملابسي ومسدسي في كفي الأيمن، وكشاف كهربائي في كفي الأيسر.. كنت قد صرت كما ذكرت، في كامل يقظتي، لكن إحساسًا بالشلل الغامض أبقاني في مكاني عاجزًا في مكاني، ولوقت طويل بعد أن توقفت الأصوات تمامًا واختفت.. سمعت بعدها الدقات المعدنية المميزة لساعة حائط تدق بعيدًا في مكان ما من الطابق السفلي.. وبعدها بدأ صوت شخير مرتفع..

لابد أن (أكيلي) قد نام أخيرًا بعد تلك الجلسة الغريبة، وأعتقد أنه كان بحاجة شديدة ليفعل هذا..

كنت لا أدري؛ ما أقوله أو ما علي أن أفعله في تلك اللحظة.. كنت أشعر بالضياع، وأنا أفكر في غرابة حالي؛ هل كان ما سمعته في تلك الجلسة الصاخبة بأغرب مما سمعته في تلك الليلة من فم (أكيلي)؟..

وهل كنت أجهل أن تلك الكائنات الغريبة؛ كانت تأتي لمنزل (أكيلي) بحرية منذ فترة؟..

كنت أشعر برعب لا حد له، وتمنيت لو أغمض عيني، وأفتحهما لأكتشف أن كل ما يحدث مجرد كابوس سخيف.. كنت متأكدًا أن عقلي الباطن قد أدرك، ووعى شيئًا لم يدركه عقلي الواعي؛ ولهذا كان رعبي لا يوصف..

لكن؛ ماذا عن (أكيلي)؟! ..

ألم يكن صديقي؟.. ألن يقوم بأي احتجاج لو شعر بالخطر علي؟.. وبدا الشخير الهادئ القادم من الأسفل، وكأنه يسخر من كل مخاوفي تلك..

هل من الممكن أن يكون (أكيلي) قد استخدم كطعم لإحضاري لتلك التلال مع الصور، والتسجيلات والخطابات؟.. وهل تفكر تلك المخلوقات في تحطيمنا سويًا؛ لأننا قد عرفنا الكثير عنهم؟..

ومرة أخرى أكرر؛ أنني لازلت أجد التغيير المفاجئ في شخصية (أكيلي) من الذعر الشديد؛ للهدوء التام في خطابه الأخير أمرًا محيرًا..

حدثتني غريزتي؛ أن كل ما قمت به منذ البداية كان خطئًا.. تذكرت القهوة الكريهة التي رفضت تناولها وتساءلت؛ هل حاول هؤلاء الغرباء دس مخدر ما داخلها؟.. لم أر أي حل أمامي؛ إلا التحدث إلى (أكيلي) على الفور، فربما أفاق من تلك السكرة.. لقد قاموا بتنويمه بوعودهم له بالمعارف المجهولة والرحلات الكونية.. لكن عليه الآن أن يفيق من تلك السكرة الخادعة، وأن يستمع إلى صوت العقل..

كان علينا؛ أن نترك كل هذا بلا إبطاء.. قبل أن يصبح الوقت متأخرًا.. كما علي أن أجبره على هذا لو افتقد لقوة الإرادة للخلاص من سحر هؤلاء الشياطين، ، ولو فشلت في هذا، فعلى الأقل يمكنني أن أفر بنفسي من كل هذا..

أعتقد أنه لن يمانع في أن أستعير سيارته الفورد القديمة.. على أن أتركها له في مرآب في (براتلبورو).. كنت قد لاحظت أن باب المرآب غير مغلق، وهذا بالطبع سيسهل خروج السيارة من المكان، والرحيل بسرعة..

وفي تلك اللحظة؛ زالت كل كراهيتي التي شعرت بها نحو (أكيلي) في ذلك الصباح، وتضاعفت بعد الحادثة الغريبة التي تمت في مختبره.. إنه في النهاية صديقي، ويجب أن نتآزر سويًّا؛ لنتغلب على هذا الأمر..

ولعلمي بحالته الصحية؛ كرهت أن أوقظه للحديث في ذلك الوقت، لكنني كنت أعلم أن هذا أمرًا لا مفر منه، فلا يمكننا الانتظار في هذا المكان حتى الصباح..

في النهاية؛ شعرت بأنني استعدت قدرتي على التصرف.. تنفست بعمق وشددت نفسي بقوة، ثم تحركت بحذر.. ارتديت قبعتي، وأخذت حقيبتي ثم هبطت للطابق الأسفل مستعينًا بالكشاف الكهربائي الصغير في يدي، وفي عصبية؛ أبقيت المسدس بيدي اليمنى بتحفز..

لماذا قمت بكل تلك الإجراءات الوقائية؟.. لا أدري؛ لكنني واصلت طريقي نحو (أكيلي) لأوقظه..

كنت في منتصف الدرجات الخشبية التي راحت تصر أسفل قدمي؛ حين وصلني صوت صديقي النائم بصورة أكثر وضحاً، وقدرت أنه لابد نائمًا في حجرة المعيشة على اليسار.. تلك الحجرة التي لم أدخلها من قبل.. كان المختبر المظلم على يميني في تلك اللحظة حيث سمعت الأصوات.. دفعت بحذر الباب الغير مغلق لحجرة المعيشة، وصنعت طريقًا بضوء كشافي متتبعًا مصدر الشخير، ثم أدرت الضوء نحو وجه النائم..

لكن وفي اللحظة التالية؛ أبعدت الضوء عنه، واستدرت متراجعًا في عجالة للبهو.. كان حذري في تلك اللحظة وليد أسباب واضحة وغريزة

منـذرة، فمن كـان نائمـا في تلـك الحجـرة؛ لم يكـن (أكيلـي)، بـل كـان (نويس)! ..

لم أكن أدري؛ ما الذي يحدث في ذلك البيت بالضبط ؟.. لكن غريزتي راحت تلح علي في الهروب في أسرع وقت ممكن.. قبل أن يشعر بي أي أحد.. عدت للصالة بحذر، وأغلقت الباب ورائي في سكون باستخدام المزلاج؛ كي لا أوقظ (نويس).. بعدها دخلت المختبر بحذر حيث توقعت أن أجد (أكيلي) نائمًا أو مستيقظًا على مقعده الكبير المفضل..

لكنني، وحين تقدمت أكثر؛ وقع ضوء كشافي على المنضدة؛ حيث كان هناك واحدة من تلك الأسطوانات متصلة بآلة للسمع والإبصار.. لكن آلة الحديث الموضوعة بجوارها كانت منفصلة عنها، في وضع استعداد للاتصال بها في أي وقت.. خمنت أن هذا هو العقل المخزن الذي سمعته منذ قليل يتحدث مع الغرباء، وللحظة راودتني رغبة ملحة في توصيل الأسطوانة بالآلة المجاورة لها؛ لأرى ما الذي سوف تقوله؟..

لابد أن ذلك العقل كان يشعر بي في تلك اللحظة، ويسمعني ويراني.. بواسطة آلتي السمع والإبصار المتصلتين به، فهل أوصله بآلة الحديث لأرى ما قد يقوله في هذه اللحظة؟..

لم أجرؤ في النهاية؛ على التعامل ثانية مع هذا الشيء.. لكنني وعلى ضوء المصباح؛ لاحظت أنها تلك الأسطوانة المدون عليها اسم (أكيلي)

والتي كانت في المرة الأولى على الرف، والتي طالبني مضيفي حينها ألا أزعجها.

وحين أستعيد تلك اللحظة.. لا أشعر بالخجل من نفسي حين أحجمت عن توصيل تلك الأسطوانة بجهاز الحديث، فالله وحده يعلم؛ ما الذي كانت ستلقيه في أذني من ألغاز وتساؤلات، وشكوك مرعبة؟..

ربما كانت رحمة من الله؛ أني لم أقرب تلك الأسطوانة! ..

أبعدت ضوء المصباح عن المنضدة، وصوبته نحو ذلك الركن الذي اعتقدت أن (أكيلي) يجلس فيه، لكن كان من الواضح؛ أنه لا أحد كان هناك على المقعد الكبير، أما أسفل المقعد فقد كان هناك الثوب الفضفاض، والضمادات التي كان (أكيلي) يرتديها ملقاة بإهمال، وبكثير من التردد جاهدت لأعرف؛ أين يا ترى ذهب (أكيلي)؟.. ولماذا نبذ فجأة ملابسه في حجرته الأثيرة؟.. لاحظت كذلك؛ أن الهواء المشحون بالكهرباء الإستاتيكية، والرائحة الكريهة قد فارقا جو الغرفة..

من قبل كنت قد لاحظت؛ أن الرائحة الكريهة، والهواء المشحون بالكهرباء الاستاتيكية؛ كانا قويين بالقرب من (أكيلي) فهل تراهما ذهبا معه؟..

تجمدت مكاني، وأنا أدير شعاع الضوء في الحجرة كلها، وعقلي يجاهد نفسه للبحث عن تفسير كل ما يدور حولي !..

وهنا غادرت الحجرة في عجلة.. بعد أن أسقطت ضوء المصباح على المقعد الخالي ثانية.. لم أخرج بهدوء هذه المرة كما دخلت، وبالكاد كتمت صرخة أفلتت من فمي.. من حسن حظي أنها لم توقظ ذلك النائم بالجوار.. كانت تلك الصرخة، وصوت شخير (نويس) هو آخر ما سمعته في تلك المزرعة اللعينة..

كان عجيبًا؛ أنني لم أسقط حقيبتي، أو المسدس أو الكشاف أثناء عدوي المذعور فارًا من المنزل.. انطلقت بسرعة نحو السيارة الفورد القديمة، ثم انطلقت بها في الظلام نحو المجهول؛ بحثًا عن مكان ما.. قد يكون أكثر أمانًا من تلك المزرعة الملعونة..

قدت السيارة حينها كالمسعور؛ وأنا أرى الطريق أمامي بصعوبة، حتى وصلت (تاونزهيند) وكان هذا هو كل شيء حدث في تلك الليلة..

كنت محظوظًا في الواقع بالنجاة.. وفي بعض الأحيان أفكر في ما قد تخبئه السنون لي، وخاصة بعد اكتشاف كوكب (بلوتو) بوضوح..

وكما أشرت سابقًا، فقد أدرت ضوء المصباح ثانية نحو المقعد الخالي في مختبر (أكيلي) بعد أن درت به في الحجرة كلها.. هنا لاحظت، وللمرة

الأولى؛ ثلاثة أجسام على الأرض كانت متوارية في الثوب الفضفاض الذي كان (أكيلي) يرتديه.. كانت تلك الأجسام الثلاث التي لم يجدها المأمور حين جاء للمزرعة، وفتشها..

وكما قلت في البداية؛ أنني لم أشاهد بعيني أي مخلوق مرعب..

فقط كان هناك تلك الأشياء الثلاث.. كانت أجسامًا شيطانية، مصنوعة بمهارة، ومزودة بأقطاب وأسلاك لتوصليها بأنسجة حية.. لا أجرؤ على تخيل كنهها.. إنني أتمنى من كل قلبي؛ أن تكون تلك الأشياء مجرد بناء من الشمع صنعه فنان ماهر..

يا إلهي العظيم!.. هل هذا كان (أكيلي) الهامس، المتخشب، ذو الرائحة الغريبة والجو المشحون بالكهرباء الاستاتيكية؟.. وهل كان عقله في تلك الأسطوانة الجديدة منذ البداية؟..

يا للشيطان اللعين!!..

"جراحة ماهرة ومواد كيميائية ومهارة ميكانيكية"

أما تلك الأشياء الثلاث التي كانت على المعقد، فقد كانت تحمل في الواقع شكل يدي، ووجه (هنري وينتورث أكيلي)..

تمت

أحلام في منزل الساحرة

هل كانت الأحلام هي ما سبب الحمى؟.. أم أن الحمى هي ما جلبت الأحلام؟.. لا يدري (والتر جيلمان) !

فخلف كل شيء حوله؛ يجثم الرعب المفزع للبلدة القديمة، ومن الغرفة العليا المحرمة العفنة؛ حيث سكن، وكتب ودرس وتصارع مع أشباح، وكيانات عندما كان ينام على فراشه الحديدي الصغير.. صارت أذناه شديدة الحساسية بغتة، بصورة خارقة للطبيعة ولدرجة مريعة؛ ولهذا فقد أوقف الساعة الرخيصة أعلى الموقد منذ زمن طويل، والتي صارت دقاتها تدوي في أذنه كرعد المدافع..

كل الأصوات صارت في أذنه الأن، ومهما كان درجة خفوتها، مزعجة كضوضاء شديدة.. الاضطرابات الغير ملحوظة في المدينة السوداء بالخارج في المساء.. الزحف الشرير للجرذان في جدران البيت النخرة، وصرير الأخشاب الخفية في منزل (سينشرد) المجاور..

كان الظلام غالبًا ما يعج بالأصوات الغامضة.. غير أنه كان يرتجف أحيانًا من الخوف، وهو يتمنى لو تهدأ تلك الضوضاء قليلاً؛ لتسمح له

بسماع الضوضاء الضعيفة الأخرى، والتي قد يكمن من يترصدونه خلفها..

كان يحيا في (آرخام) مدينة السقوف المتهالكة التي تتأرجح، وتهتز فوق الغرف العلوية؛ حيث اختبأت الساحرات من رجال الملك في تلك السنوات القديمة المظلمة للمقاطعة. ولم يكن هناك في ذاكرة تلك المدينة أي بقعة أكثر بشاعة من تلك الغرفة التي كانت تأويه..

كان هذا المنزل، وتلك الحجرة هما مأوى الساحرة العجوز (كيزياه مايسون) ، والتي كان فرارها من سجن سالم في الماضي البعيد أعجوبة حقيقية.. حدث هذا عام **1692**، وفي ذلك الوقت أصيب السجان بالجنون، وراح يثرثر عن حيوان مخيف صغير ذو أنياب صفراء لامعة، وفراء أبيض كثيف؛ خرج يومها من غرفة سجن (ماسون). كما عجز كل شخص حينها عن تفسير سر تلك الدوائر، والمثلثات الدموية التي وجدوها على الجدران الحجرية الرمادية في غرفة السجن لـ (مايسون) أو كنه ذلك السائل اللزج الأحمر الذي تخضبت به الأرضية والجدران..

من المؤكد؛ أنه لم يكن على (جيلمان) أن يدرس الأمر بمثل تلك الجدية.. فدراسة علوم التفاضل والتكامل وفيزياء الكم؛ وحدها تكفي وتزيد لإرهاق أي عقل.. لكن عندما يفكر المرء في مزج تلك العلوم مع الفولكلور؛ محاولاً تتبع الخلفيات العجيبة للحقائق متعددة الأوجه؛ التي

تستتر خلف التلميحات الشنيعة للحكايات القوطية، فمن الصعب أن يتخيل المرء أن يخلو عقله من التوتر العصبي العنيف..

قدم (جيلمان) من (هافرهيل) لكن هذا حدث فقط بعد أن دخل الجامعة في (آرخام) حيث بدأ في ربط الرياضيات بالأساطير الخيالية للسحر القديم، ويبدو أن شيئًا في هواء هذه المدينة القديمة؛ راح يعبث بشكل غامض في خيال هذا الشاب.. سأله أساتذته حينها في جامعة (ماسكاتونك) أن يتوقف على الفور من أبحاثه تلك، بل وقاموا بمحض إرادتهم بمنعه من الاستعانة بمصادره.. وأكثر من ذلك؛ منعوا عنه الكتب المريبة القديمة التي تتحدث عن أسرار محرمة، والمحفوظة في خزانات مخصوصة محكمة الغلق في مكتبة الجامعة..

لكن كل تلك الاحتياطات؛ جاءت بعد فوات الأوان، فقد حصل (جيلمان) بالفعل على الكثير من الملاحظات المريعة التي استقاها من كتاب (النيكرونوميكون) الذي ألفه عبدالله الحظرد، وكتاب (كولت الذي لا إسم له) لـ (فون جونزت) والذي حوى تلميحات مريعة عن خواص الكون، والروابط بين الأبعاد المعروفة والمجهولة..

كان يعلم؛ أن حجرته كانت إحدي حجرات منزل الساحر القديم، وكان هذا هو السبب الحقيقي في الواقع لاختياره تلك الحجرة.. كان هناك الكثير من الكلام في سجلات مقاطعة (اسيكس) الذي يتحدث

عن (كيزياه مايسون) وما اعترفت به تحت التعذيب أمام المحكمة، وقد سحر (جيلمان) كل هذا الذي قرأه عنها..

لقد أخبرت الساحرة القاضي (هاثورن) عن خطوطًا وأقواسًا، يمكن لمن يرسمها أن يخترق جدران الفضاء، وينتقل من مكان لمكان بواسطة قواها المجهولة، وأضافت أن تلك الخطوط والأقواس؛ عادة ما كانت تستخدم في منتصف بعض الليالي الخاصة في القرية المظلمة (وايت ستون) في ما وراء تل (ميادو) وفي بعض الجزر النهرية غير المأهولة.. تحدثت كذلك عن الرجل الأسود التي أقسمت بالولاء أمامه، وعن اسمها السري الجديد (ناهاب). بعدها قامت برسم تلك الخطوط، والأقواس على جدران سجنها، ثم اختفت..

كان (جيلمان) يصدق تلك الحكايات الغريبة التي قيلت عن (كيزياه) وكم شعر بإثارة غريبة؛ حين علم أن مسكنها ظل قائمًا لأكثر من قرنين وثلاثة وخمسين عامًا حتى الآن.. قرر العيش في تلك الحجرة مهما كلفه الأمر، كان يعلم بالإشاعات التي يتهامسون بها في (آرخام)، عن ظهور الساحرة من حين لآخر في مسكنها القديم أو الشوارع الضيقة حوله، وعن الآثار الغريبة لأسنان بشرية؛ تظهر علي أجساد النائمين في هذا البيت، والبيوت الأخرى المجاورة، وعن صرخات الأطفال المجهولة التي تسمع في أعياد (الهالوين).

تحدث الأهالي كذلك عن الرائحة الكريهة التي تنبعث من البيت، والتي كان مصدرها أغلب الوقت الغرفة العلوية، والتي كانت تزداد في بعض الأعياد الطقسية الشريرة..

تكررت الهمسات كذلك عن ذلك الكائن ضئيل الحجم ذو الأنياب البارزة والفراء الأبيض، والذي كان يشاهد في الخرائب المتهدمة وأروقة البلدة القديمة، ويهاجم الرجال في تلك الساعات المظلمة قبل بزوغ الفجر..

حصل على حجرة الساحرة بسهولة، فالبيت كان سيء السمعة، وكان من العسير أن يفكر أحد في سكناه.. لم يخبر أحد (جيلمان) بما قد يجده في البيت، لكنه كان يعلم كل شيء عن البيت وتاريخه، وأراد أن يعيش في البيت؛ ليختبر بنفسه تلك الإشاعات ..

وفي خلال أسبوع انتقل للعيش بالغرفة العلوية التي عاشت فيها الساحرة، وقامت فيها بممارسة سحرها وتعاويذها.. كانت الحجرة شاغرة لأعوام طويلة، فلم يرغب أبدًا أي إنسان في سكنها..

لكن ورغم كل ما قيل عن الحجرة وتاريخ صاحبتها؛ إلا أنه لم يحدث أي شيء لـ (جيلمان) حتى أصيب بالحمى.. لم ير يومًا شبح (كيزياه) محلقًا في أسماء الغرفة المتجهمة، ولم يزحف أي كائن ضئيل ذو أنياب طويلة خارج

وكره؛ لمهاجمته، ولم يعثر على أي من تعاويذ الساحرة.. رغم بحثه الدائب في الجدران وزوايا الحجرة..

ذهب (جيلمان) مرتين إلى جزيرة مشبوهة في النهر؛ تحوم حولها الشائعات، وراح يرسم الزوايا الفريدة المرسومة على الأحجار الرمادية المكسوة بالطحالب، والتي يعود تاريخها لعهود غامضة قديمة..

كانت حجرة (جيلمان) كبيرة، لكنها وبشكل غريب كانت غير منتظمة الشكل، فالحائط الشمالي كان مائلاً بشكل واضح؛ بينما انحدر السقف المنخفض بميل في نفس اتجاه الحائط المائل حتى التقيا.. كان هناك كذلك فتحة صغيرة؛ صنعتها الجرذان في أحد الجدران المتهالكة..

أما الغرفة العلوية فوق السقف، والتي لابد أنها كانت تحتوي على أرضية مائلة، فقد بدا وكأنه لا سبيل لبلوغها، وعندما تسلق (جيلمان) السلم نحو الغرفة؛ وجد آثار فتحة قديمة مغطاة ومغلقة بإحكام شديد بألواح خشبية عتيقة، مؤمنة بأوتاد خشبية قوية..

ولوقت طويل؛ شغل الحائط المائل، والسقف المنخفض المائل عقل (جيلمان) وبدأ في قياس تلك الزوايا الشاذة وحساب أهميتها الرياضية، والتي بدا وكأنها لم تقدم غير بعض الأفكار المبهمة حول الغرض منها..

راح يفكر في أن (كيزياه) لابد، وأن لها أسبابها القوية للعيش في مثل تلك الغرفة ذات الزوايا الشاذة.. ألم تدعِ من قبل؛ أنه بالاستعانة بزوايا معينة.. يمكننا الذهاب إلى ما هو خارج جدران عالمنا الذي نعرفه؟..

بعدها بدأت الحمى التي أصابت مخه، والأحلام في أوائل فبراير، هنا ازداد تعلقه بالحجرة، وفي أحيان كثيرة؛ بدا واضحًا أن الزوايا المثيرة للفضول لحجرته؛ لها تأثير غريب منوم عليه، ومع تقدم الشتاء الكئيب؛ وجد نفسه يحدق بثبات متزايد في الركن الذي يتقابل فيه الحائط المائل بالسقف المنخفض..

وفي تلك الفترة؛ أرقه كثيرًا عدم قدرته على التركيز في دراسته الأساسية، وراح يفكر بقلق في امتحانات منتصف العام، والتي كانت على الأبواب.. صارت الحياة حينها شاقة لا تحتمل، وراوده انطباع مريع لم ينقطع أن هناك أصواتًا - ربما كانت من العالم الآخر- تهمس في أذنه الحادة بلا انقطاع.

سببت ضوضاء الجرذان في الجدران القديمة؛ إزعاجًا لا يحتمل له، وفي بعض الأحيان بدت خدوشهم، وكأنها ليست ماكرة فحسب، بل ومتعمدة، وعندما كانت تأتي من خلف الحائط الشمالي المائل كانت تختلط بأصوات خشخشة جافة، وكأنما تقرض الجرذان شيئًا صلبًا.. لكن الضوضاء التي تخرج من الغرفة العلوية المغلقة أعلى السقف المائل؛ كانت

تصيب (جيلمان) بالرعدة، وهو يتخيل شيئًا مرعبًا يستعد بالأعلى؛ قبل أن يهبط ليجهز عليه تمامًا..

كانت الأحلام خارج حدود العقل على الإطلاق، وآمن (جيلمان) أنها تهاجم عقله كنتيجة لجمعه بين دراسة الرياضيات والأساطير القديمة، فقد ظل يفكر لوقت طويل للغاية في تلك الأماكن المجهولة التي كانت معادلاته تؤكد وجودها الحتمي وراء الأبعاد الثلاثة المعروفة.. وكان يتساءل؛ هل نجحت الساحرة القديمة (كيزياه مايسون) وبمساعدة غير معروفة في اكتشاف منافذ مجهولة للأبعاد الأخرى؟ ..

فقد أشارت سجلات المقاطعة الصفراء المهترئة التي تحوي اعترافاتها، وتلك التي تحوي شهادات من أدانوها؛ أنها قامت بأمور خارقة للتجربة الإنسانية، وكان وصف ذلك الكائن المتوحش ذو الفراء – والذي بدا وكأنه حيوانها الأليف – حقيقي لدرجة الرعب.. رغم كل التفاصيل الغير معقولة التي ألصقت به..

ذلك الشيء – والذي لم يكن أكبر من جرذ مكتنز – والذي أطلق عليه سكان البلدة اسم (براون جنكن) بدا، وكأنه ثمرة حالة لا تصدق من وهم جمعي اختلقته عقول ساذجة مذعورة، وحتى عام 1692 كان هناك أكثر من أحد عشر شخصًا شهدوا بأنهم قد رأوه.. كانت هناك إشاعات حديثة كذلك محيرة، ومربكة بشأن رؤيته ثانية، وأجمع الشهود أن له شعرًا

طويلاً وشكل جرذ.. لكن أنيابه الصفراء الطويلة، ووجهه ذو اللحية؛ كان بشريًا بصورة شيطانية.. بل وأقسم البعض؛ أن مخالبه تبدو كأيد بشرية ضئيلة الحجم..

قالوا بأنه؛ كان يحمل الرسائل المتبادلة بين الساحرة القديمة (كيزياه) وبين الشيطان، وأنه كان يتغذى على دماء الساحرة الذي يمتصه كما يفعل مصاصو الدماء.. كان صوته يبدو كضحك مكتوم ملعون، وكان بإمكانه التحدث بكل اللغات..

ومن بين كل المسوخ الغريبة في أحلام (جيلمان) لم يملأه واحد منهم بالفزع والغثيان المريع.. أكثر مثل ذلك الكائن الهجين الضئيل الجهنمي الذي بدا شكله في نظره؛ أكثر رعبًا ألف مرة مما تخيله من وصفه في السجلات القديمة، والإشاعات الحديثة..

وفي أحلام (جيلمان) كان يرى نفسه يسقط في هاوية بلا قرار؛ يضيئها لجة من غسق غريب الألوان، وصراخ مريع متداخل.. هاوية لا يمكنه وصف ماهيتها أو خواص جاذبيتها، أو حتى علاقتها بكينونته..

لم يكن يسير فيها أو يتسلق، أو يطير أو يسبح أو حتى يزحف.. لكنه رغم ذلك كان يتحرك فيها بصورة ما حركة إرادية في بعض الأحيان، أو غير إرادية في أحيان أخرى..

وفي حالته تلك لم يكن يفهم؛ كيف كان يرى نفسه، وقد بتر ذراعيه، وقدميه وجذعه بواسطة شيء غامض؟.. ويشعر رغم هذا؛ أنه على خير ما يرام بصورة رائعة، وأنه غير مشوه..

كانت الهاوية مجرد فراغ؛ مزدحم بالكثير من الكيانات الغريبة.. بعضها كان يبدو ككائنات عضوية، والبعض الآخر بدا كالجماد، وأيقظت بعض الكائنات العضوية بعض الذكريات المبهمة في عقله.. مع أنه لم يستطع أبدًا أن يدرك ما تشبهه تلك الكائنات، أو ما توقظه في عقله الباطن..

وفي أحلامه اللاحقة؛ راح يفرق تلك الكائنات العضوية إلى مجموعات مختلفة، فكل مجموعة منها كانت تختلف عن الأخرى بصورة جذرية في سلوكها، وأنماط اتصالها..

كانت كل تلك الأشياء – عضوية أو غير عضوية – عسيرة الوصف، ورأى (جيلمان) بعضها شبيهًا بالمكعبات المنشوريه، أو بعض أشكال هندسية معقدة تشبه المتاهات، وبدت له بعض الكائنات العضوية كمجموعة حية من الأوثان الهندية الأخطبوطية ذوات الألف قدم وذراع، أو أشكال من الأرابيسك العربي المعقد، والذي دبت الحياة فيه، فبدا كالثعابين الحية..

كان كل ما يراه؛ يرجف القلوب بصورة لا يمكن وصفها، وكلما شعرت به واحدة من تلك الكيانات العضوية خلال حركتها.. كان الرعب يملأه،

ويدفعه للاستيقاظ.. لكن كيف كانت تتحرك تلك الكائنات العضوية؟.. فهذا ما لا يمكنه التعبير عنه..

ومع الوقت؛ راح يرى المزيد من الألغاز؛ مثل ظهور بعض تلك الكائنات في الفراغ بغتة، أو اختفائها مرة واحدة من أمامه.. كما كان من المستحيل وصف نبرة، وإيقاع ونغمة تلك الأصوات الصارخة الغامضة.. التي بددت سكون الهاوية..

لكنه لم ير (براون جينكن) في تلك الهاوية الغامضة الشريرة، فقد تم ادخار هذا الرعب المريع من أجل بعض الأحلام الخفيفة الأكثر وضوحًا، والتي كانت تأتي في فترة النعاس الخفيفة التي تسبق مباشرة السقوط في النوم العميق..

كان يرقد في الظلام مجاهدًا؛ عقله؛ كي يظل مستيقظًا حين بدا له أن هناك توهجًا خافتًا ينبثق من أركان الغرفة ذات المائة عام؛ كاشفًا عن صورة ضبابية بنفسجية اللون مخيفة..

أما الرعب؛ فقد أتاه في حلمه التالي من جحر الجرذ القابع في زاوية الغرفة.. سمع طقطقة خطواته؛ بينما كان يدنو منه سائرًا فوق أرضية الغرفة المكسوة بألواح خشبية بالية، ويرتسم على محياه البشري النحيل الملتحي شر مرتقب؛ إلا أنه وللطف الأقدار به، دائمًا ما يتلاشى ذلك الحلم قبل أن يقترب الجسد المرعب منه كفاية؛ ليتمكن منه..

كانت له أسنان جهنمية حادة طويلة أشبه بالأنياب، وحاول (جيلمان) كل يوم سد فوهة الجحر؛ إلا أن سكان الجحور الحقيقيين كانوا في كل ليلة يقرضون ما يسد به جحرهم أيًا كان، وذات مرة وضع صفيحة من القصدير فوق الجحر؛ إلا أن الجرذان في الليلة التالية تمكنوا من قرض فتحة حديثة بها؛ ليتمكنوا من خلالها من جر، أو جذب قطع غريبة من العظام إلى داخل الغرفة.

لم يخبر (جيلمان) الأطباء بشأن تلك الحمى؛ لأنه علم أنهم لن يسمحوا له بدخول الامتحان لو حُجز في مستشفى الجامعة، ورغم هذا، فإنه فشل في اجتياز امتحان التفاضل والتكامل، وامتحان علم النفس العام.. لكن ظل هناك أمل في أن يجتاز تلك الامتحانات بنهاية الترم الدراسي..

وفي مارس؛ دخل شخص جديد في أحلامه، واقترنت الكوابيس التي كان يرى فيها (براون جنكن) بشكل ضبابي؛ راح يتشكل رويدًا رويدًا إلى ما يشبه عجوز شمطاء.. زاد هذا الأمر من ذعره بلا سبب محدد.. لكنه في النهاية؛ قرر أنها تشبه تلك العجوز الشمطاء التي صادفها مرتين في الظلام بالقرب من رصيف الميناء المهجور.. هناك كانت عينا العجوز الشمطاء الشريرة؛ تحدق في وجهه بثبات وسخرية، وخاصة في تلك المرة التي اندفع فيها أمامه جرذ مكتنز؛ قادمًا من مدخل زقاق كان يمشي بجواره، وراح يفكر بانفعال؛ في أنه قد يكون (براون جنكن)..

ازداد عصبية في ذلك الوقت، والتصقت بعينيه نظرة مذعورة طوال الوقت.. أرجع إحساسه هذا حينها كانعكاس لأحلامه المضطربة.. كما لم ينف أن تأثير البيت القديم على عقله كان غير صحي، لكن ما أبقاه هناك رغم هذا في المكان؛ كان فضوله الذي لم يذبل بعد.. خمن أن تلك الكوابيس جاءت كنتيجة لإصابته بالحمى وحدها، وأن كل تلك الرؤى الشريرة سوف تفارقه بمجرد زوال الحمى..

لكن تلك الأحلام رغم هذا؛ ظلت تشغله بصورة كبيرة، كما صارت قوية وكأنها حقيقية، وفي كل مرة كان يستيقظ فيها.. كان يشعر أنه قد ذهب في أحلامه أبعد مما يتذكر.. كان متأكدًا بشكل مخيف؛ أنه في أحلامه التي لا يتذكرها تحدث إلى (براون جنكن) والعجوز الشمطاء، وأنهما كانا يحثانه على الذهاب إلى مكان ما معهما؛ لمقابلة شخص ثالث عظيم الشأن..

وبحلول نهاية مارس؛ بدأ مستواه في الرياضيات في التقدم.. لكن تقدمه في المواد الأخرى ظل دون المستوى.. كان موهوبًا بالفطرة في حل المعادلات الرياضية الصعبة، وأذهل البروفيسور (أوفهام) باستيعابه لنظريات البعد الرابع، والمشكلات الأخرى التي استعصت على الفهم لبقية الفصل.. كان تفهمه لنظريات الأبعاد الكونية، والنظرية النسبية لـ (أينشتاين) مثار إعجاب الجميع؛ إلا أن بعض نظرياته الخاصة؛ كانت تثير الكثير من الجدل حول غرابة أطواره، وما جعل زملاءه يهزون رؤوسهم في

غير تصديق.. كانت نظريته الخطيرة التي تفترض؛ أن المرء ومع اكتسابه النظريات الرياضية المناسبة؛ يمكنه أن يخطو من الأرض إلى أي جرم سماوي في الفضاء.. في أي مكان من الكون اللامتناهي..

تلك الخطوة كما قال؛ سوف تطلب فقط شيئين اثنين؛ الأول؛ ممر يخرج بنا من المجال ثلاثي الأبعاد الذي نعرفه، والثاني؛ ممر يعيدنا ثانية إلى المجال ثلاثي الأبعاد في منطقة أخرى من الأبعاد اللامتناهية، وأن هذا التنقل قد يتم دون خسارة في الأرواح، وأنه من الممكن لأي شخص من أي مكان في البعد الثالث؛ أن يعيش في البعد الرابع، وأن البقاء على قيد الحياة بعد الخطوة الثانية؛ يعتمد على البقعة التي سنختارها في البعد الثالث للدخول..

هنا سيصير المقيمون في بعض الكواكب؛ قادرون على العيش في كواكب أخرى لمجرات أخرى، أو الانتقال إلى مناطق أخرى في نفس البعد.. لكن في زمن آخر.. هذا مع الوضع في الاعتبار؛ وجود بقاع شاسعة غير صالحة للحياة في الكون..

أضاف كذلك؛ أنه من المحتمل أن يؤمن بعض سكان بعد معين؛ منفذًا نحو ممالك مجهولة في أبعاد غير محددة.. داخل أو خارج الفضاء، والزمن المعروف، وأن الآخرون في المكان الآخر يمكنهم فعل الشيء نفسه.. إن

الأمر ممكن رغم أنه لا يمكن بدقه تحديد الطفرات التي قد تصيب من يعبر من بعد لآخر، وهل ستكون قاتلة أم لا؟..

أعجب البروفسير (أوفهام) على وجه الخصوص بنظريته الخرافية حول مدى قرابة النظريات الرياضية الكبيرة ببعض مراحل العلم السحري، والتي جاءت بوصف رائع من العهود البشرية أو عهود ما قبل البشر، والتي كانت معرفتها عن الفضاء أعظم بكثير من معرفتنا الحالية..

وبحلول الأول من إبريل؛ ازداد قلق (جيلمان) من تلك الحمى التي لم تهمد بعد.. كما أزعجه كثيرًا ما قاله البعض من جيران المسكن بأنه كان يسير أثناء نومه.. كان واضحًا أنه كان لا ينام على فراشه، كما حدثه جاره الذي يسكن أسفل حجرته؛ عن الصرير التي تحدثه أرضية حجرته في ساعات معينة من الليل.. كما تحدث ذلك الجار عن وقع الأقدام الثقيلة التي كانت تدب على أرضية حجرته بالليل..

لكن (جيلمان) اعتقد أن هناك خطئًا ما في الأمر، فأحذيته وملابسه كانتا دومًا في مكانها في الصباح، والمرء يمكنه أن يختلق كافة أنواع الأوهام في مثل هذا البيت القديم.. ألم يحدث هذا معه نفسه، وحتى في ضوء النهار؟!..

لكنه صار يؤمن الآن؛ أن تلك الأصوات المريبة لم يكن منشأها جحر الجرذان، بل كان الحائط المائل، والحجرة المغلقة فوق السقف.. بدأت

أذناه الحساستان المريضتان.. في سماع وقع أقدام خفيفة قادمة من الحجرة المنسية المغلقة فوق رأسه، وكان كثيرًا ما يشعر أن تلك الأصوات حقيقية وليست وهمًا..

ومع هذا، فقد أدرك بعد ذلك؛ أنه كان يسير أثناء نومه بالفعل، ولمرتين خلال الليل كانت حجرته ترى شاغرة؛ رغم أن كل ملابسه كانت دومًا في مكانها؛ ولهذا فقد طلب المساعدة من (فرانك ألوود) زميل الدراسة الذي دفعه الفقر؛ للعيش في هذا المنزل القذر الكريه..

ففي مرة كان (ألوود) يذاكر حتى اقترب الفجر، وصعد يومها إلى حجرة (جيلمان) ليسأله المشورة في حل معادلة رياضية.. فقط؛ ليكتشف أن (جيلمان) ليس هناك.. رأى أنه من الصلف؛ أن يفكر في فتح الباب المغلق بعد أن فشلت طرقاته على الباب في إيقاظ (جيلمان) لكنه كان بحاجة لمساعدة (جيلمان) بشدة، وظن أن بعض الطرقات الخفيفة؛ لإيقاظه.. لن تضايقه..

أخبر بعدها (جيلمان) بما حدث، فتساءل الأخير بحيرة؛ هل تراه قد تجول خارج المكان حافيًا بملابس نومه؟.. صمم على القيام ببعض الإجراءات؛ ليتأكد إن كان بالفعل يسير أثناء النوم.. فكر في ذر الدقيق على أرضية الممر؛ ليرى أن تذهب خطواته.. كان الباب هو المخرج

الوحيد لحجرته، كما لم يكن هناك متسعًا لموطئ قدم خارج الحجرة الضيقة..

ومع تقدم شهر إبريل؛ أزعجت أذنه التي شحذتها الحمى؛ الصلوات المتهدجة لرجل مؤمن بالخرافات يدعى (جو مازورويكز) والذي كان يقطن في حجرة بالطابق الأرضي.. راح ذلك الرجل يردد الحكايات غير المترابطة عن شبح (كيزياه) العجوز، وذلك الكائن الضئيل طويل الأنياب، وأخذ يجزم أنه هوجم غير مرة منهما، وأن ما أنقذه كان الصليب الفضي الذي منحه له الأب (لوينسكي) من كنيسة (ستانيسلوس) من أجل هذا الغرض، والآن، فقد راح يصلي؛ لأن يوم سبات الساحرات كان يدنو، حيث تتجول على الأرض شرور الجحيم السوداء، ويتجمع أتباع الشيطان للقيام بطقوسهم، ومناسكهم المريعة..

كان هذا الوقت من أوقات (آرخام) المشئومة.. رغم أن الكثير من السكان كانوا يتظاهرون؛ أنه لا شيء هناك..

في تلك الليلة؛ كانت أمورًا سيئة تتم، وربما فقد طفل أو اثنين حينها.. كان جو يعلم الكثير عن تلك الأمور؛ حيث أخبرته جدته التي كانت تحيا في المقاطعة القديمة بتلك الحكايات التي سمعتها عن جدتها هي الأخرى.. وكان يرى؛ أنه من الحكمة الصلاة في هذا الوقت.. أضاف (جو) كذلك؛ أن الساحرة العجوز، وتابعها الملعون.. لم يظهرا لأكثر من ثلاثة أشهر

على بابه، أو باب أي أحد آخر في البيت، وأن هذا ليس بالأمر الجيد، فعندما يختفي هؤلاء هكذا، فهذا يعني أنهما يدبران أمرًا ما..

وفي السادس عشر من هذا الشهر؛ ذهب (جيلمان) لعيادة أحد الأطباء، وكان من الغريب؛ أن يكتشف أن حرارته ليست مرتفعة بالصورة السيئة التي تخيلها.. سأله الطبيب عن الكثير من الأشياء.. قبل أن ينصحه بزيارة طبيب نفسي، وفي المقابل كان (جيلمان) سعيدًا؛ لأنه لم يستشر طبيب الكلية الكثير الفضول (والدرون) العجوز، والذي كان سينصحه بالراحة، وهو الأمر الذي لن يفعله الآن، وقد صار على وشك بلوغ نتائج عظيمة في أبحاثه السرية.. كان متأكدًا؛ أنه يقترب من الحد الفاصل بين عالمنا المعروف والبعد الرابع، ومن يدري؛ إلى أين يذهب بعد هذا؟..

ولكن، وبينما راحت تلك الأفكار تراوده.. تساءل بتعجب؛ من أين تأتيه تلك الثقة الغريبة في نجاحه؟.. وهل مبعث هذا الشعور الخطير بنجاحه الوشيك؛ هو معادلاته التي يسود بها الأوراق يومًا بعد يوم؟..

ظلت الخطوات الثابتة الضعيفة القادمة من الحجرة المغلقة فوقه؛ تثير أعصابه، وراح إحساس غامض ينمو بداخله؛ أن شخصًا ما يدفعه للقيام بشيء مريع لا يريد فعله.. لماذا يسير أثناء نومه؟.. وأين تراه يذهب في الليل؟.. كلها تساؤلات تبعث الحيرة، وماذا عن الأصوات الغامضة التي

راح يسمعها، حتى في ضوء النهار وفي تمام يقظته؟.. لم تكن نبرتها تنتمي لأي شيء على الأرض.. فقط ربما سمع مثل هذه النبرة في التراتيل المحرمة لسابات السحرة.. خاف كذلك؛ أن تكون تلك الأصوات قادمة من أحلامه المريعة في الهاوية المغمورة بضوء الغسق العجيب..

أثناء ذلك؛ صارت أحلامه شنيعة لأقصى حد، ففي بداية الحلم؛ صار يرى الساحرة العجوز بصورة واضحة الآن.. علم (جيلمان) أنها كانت هي نفسها المرأة التي أفزعته في الحي الفقير.. كان لها نفس الظهر المقوس، والأنف الطويل المعقوف، والذقن المدبب.. كلها أشياء لا تنسى.. كما كانت عباءتها السوداء؛ هي نفسها التي كانت ترديها في تلك الليلة..

حمل وجهها مزيجًا من السخرية والشر، وحتى حينما استيقظ ؛ ظل صوتها المتقطع، والمنذر يتردد في أذنه.. كان تخبره؛ أن عليه أن يقابل الرجل الأسود، وأن عليه أن يذهب معهما إلى عرش (أزازوث) في أعماق اللانهائية.. قالت بأن عليه أن يوقع بدمائه على كتاب (أزازوث) وأن يتخذ اسمًا سريًا جديدًا.. لكن ما منعه من الذهاب معها، ومع (براون جنكن) والآخرين إلى عرش (أزازوث) هو تذكره أنه قد قرأ هذا الاسم في كتاب (النيكرونوميكون) وعلم أنه يقف على أعتاب شر مريع قديم لا قبل لأحد به..

راح يرى المرأة العجوز في أحلامه في ذلك الركن الذي يصل السقف المنخفض المائل بالحائط المائل.. بدا، وكأنها راحت تتشكل في بقعة أكثر قربًا للسقف من الحائط، وفي كل ليلة صارت تدنو منه أكثر وأكثر، وتصير أكثر وضوحًا من مجرد حلم.. (براون جنكن) هو الآخر صار أقرب من أي وقت مضى.. كما تألقت أنيابه البيضاء المائلة للاصفرار.. بشكل مريع في ذلك الضوء الفسفوري غير الأرضي..

راحت الضحكات المثيرة للغثيان تقرع رأس (جيلمان) أكثر وأكثر، وراح يتذكر حين يصحو في الصباح؛ كنه تلك الكلمات التي تتردد؟.. "أزازوث" و " نيارلاثوتب"..

لكن في أحلامه العميقة؛ كان كل شيء أكثر وضوحًا، وخمن (جيلمان) أن شفق الهاوية الذي يدور من حوله ربما كان أضواء البعد الرابع.. ربما كانت تلك المخلوقات العضوية بحركاتها الغامضة؛ امتداد صورة من صور الحياة هناك، لكن كيف يبدو الآخرون في عالمهم أو أبعادهم الأخرى، فهذا ما لايجرؤ على التفكير فيه..

بدا، وكأن بعض تلك الأشياء الغير عضوية قد شعرت به، فراحت تتبعه، وتسبح حوله كلما تحرك وسط المتاهة.. بينما ظل الصراخ يرتفع من كل مكان طوال الوقت، وكأن ذروة ما يحدث على وشك الحدوث..

وفي أثناء ليلة التاسع عشر، وليلة العشرين من إبريل؛ حدث التطور الجديد في أحلامه.. كان (جيلمان) يتحرك بصورة لا إرادية مصحوبًا بتلك الأشياء التي تتبعه وتحلق فوقه؛ حين لاحظ الفجوات المنتظمة الغريبة التي تكونت خلف الأجسام التي تسبح بجواره، وفي الثانية التالية؛ وجد نفسه خارج الهاوية واقفًا، وهو يرتجف على سفح تل صخري يسبح في ضوء أخضر كثيف.. كان عاري القدمين، وفي ملابس نومه، وعندما حاول المشي؛ اكتشف أنه بالكاد كان قادرًا على رفع قدميه، وقد غمر ضباب متدوم كل شيء حوله؛ إلا تضاريس المنحدرات القريبة من بصره، وانكمش (جيلمان) في نفسه، ذعراً من تلك الأصوات التي قد يندفع أصحابها خارج هذا الضباب نحوه..

بعدها؛ اتضح كنه الشكلين الزاحفين نحوه في تثاقل.. المرأة العجوز، وتابعها الملعون.. أشار (براون جنكن) نحو اتجاه معين بمخلب مخيف في تصلب وحزم، ثم تقدم (جيلمان) للأمام في طريق صنعته ذراعي العجوز الشمطاء في نفس اتجاه المخلب المخيف.. لكنه وقبل أن يكمل خطوات ثلاث؛ وجد نفسه وقد عاد ثانية للهاوية.. راحت الأشكال تغلي من حوله، وشعر بالدوار والتيه.. في النهاية؛ استيقظ ليجد نفسه ما زال على فراشه في غرفته العليا غريبة الزوايا..

لم يكن على ما يرام في الصباح، ومكث بعيدًا عن كل رفاق الدراسة في الجامعة.. زاغت عيناه، وفقدت قدرتها على التركيز في مكان محدد، وفي

الثانية ظهرًا؛ خرج ليتناول غذاءه.. وبينما راح يشق طريقه في أزقة المدينة الضيقة؛ وجد نفسه مدفوعًا بقوى غامضة تدفعه طوال الوقت للسير نحو المنطقة الجنوبية الشرقية، وبجهد جهيد تمكن من بلوغ مطعمًا في شارع الكنيسة، وبعد أن تناول الطعام؛ شعر بأن تلك القوى الغامضة التي تشده مازالت قوية..

كان عليه؛ أن يستشير طبيب أمراض عصبية، وربما ما يعانيه الآن متعلقًا بسيره أثناء نومه.. لكن في هذه الأثناء؛ كان عليه أن يعتمد على نفسه لكسر هذا السحر الذي يجذبه كمغناطيس غامض نحو اتجاه معين، فبلا شك كان بإمكانه السيطرة على نفسه، والسير بعيدًا عن تلك القوى التي تشده، وبعناء كبير نجح في التحرك متعمدًا نحو الشمال بطول شارع (جاريسون)..

وفي هذه الأثناء؛ بلغ الجسر المعلق فوق (ماسكاتونك) ووجه غارق بالعرق البارد .. قبض على السور الحديدي، وراح يحدق في التيار نحو الجزيرة سيئة السمعة؛ الرابضة بتجهم في ضوء الظهيرة..

شهق بعدها؛ حين شاهد بوضوح جسدًا حيًا فوق تلك الجزيرة المقفرة، وحين نظر ثانية؛ علم أنها المرأة العجوز المخيفة بنفس سمتها الشرير، والتي شغلت أحلامه المشئومة. وبالقرب منها كانت الحشائش الطويلة تتحرك كذلك.. كما لو كان هناك كائنًا ضئيلاً يتحرك وسطها، وعندما بدأت

المرأة العجوز في الالتفات نحوه؛ هرب من الجسر على الفور، واندفع نحو شوارع المدينة المعقدة.. ظل يعدو حتى ابتعد كثيرًا عن الشاطئ والجزيرة، ومع ذلك ظل يشعر بذلك الشر البشع المنيع الذي كان يخرج من العينين الساخرتين للعجوز الشمطاء..

ظلت القوى الغامضة تجذبه نحو الجنوب الشرقي، وبإرادة شديدة نجح (جيلمان) في الوصول للمنزل القديم.. صعد الدرجات البالية، ولساعات طوال جلس في حجرته صامتًا تائهًا، وعيونه تتجه تلقائيًا، وبصورة تدريجية نحو الغرب، وحين بلغت الساعة السادسة مساءً؛ التقطت أذنه الحادة الصلوات المنتحبة لـ (مازورويكز) على بعد طابقين أسفل منه..

وفي يأس؛ ارتدى قبعته وخرج إلى الشارع المغمور بالضوء الذهبي للغروب.. ترك نفسه لتلك القوى الغامضة التي تشده نحو الجنوب؛ ليرى إلى أين تذهب به؟.. وبعد ساعة؛ وجد نفسه في الظلام، والعراء خلف ساقية قديمة..

وعلى ضوء النجوم الربيعية المشرقة أمامه؛ تبدل ذلك الدافع للسير تدريجيًا إلى رغبة للقفز بصور سحرية نحو الفضاء، ومرة واحدة؛ أدرك أين يقع مكان تلك القوى الغامضة التي كانت تشده؟..

كانت تلك القوى الغامضة في السماء.. مجرد نقطة محددة بين النجوم تهيمن عليه، وتدعوه إليها.. بقعة مظلمة تقع بين نجوم كوكبة

الشجاع(Hydra) وكوكبة الملاح الشمال (Argo Navis) كما كان يعلم أن هذا الدافع ظل يشده نحوها منذ استيقظ في الفجر..

ظل في مكانه دون أن يغادر الساقية المهجورة، وفي الصباح كانت تلك القوى قد انتقلت إلى بقعة أسفل قدميه، ورراحت هذه المرة تدفعه بصورة ما في الجنوب، ما الذي يعنيه هذا التحول الجديد؟.. وهل هو في طريقه للجنون؟.. وكم من الوقت سوف يعاني من تلك القوى؟..

ومرة أخرى حشد قواه، وجر قدميه عائدًا إلى المنزل القديم الشرير..

وهناك كان (مازورويكز) في انتظاره عند الباب، وبدا متلهفًا – وحذرًا في الوقت نفسه – للتفوه بالمزيد من الخرافات الجديدة.. هذه المرة تحدث عن أضواء الساحرة.. كان (جو) بالخارج في الليلة السابقة، حيث كان يحتفل بيوم الوطنيين في (ماساتشوستس) ثم عاد بعد منتصف الليل.. رمق المنزل من الخارج، واعتقد في البداية؛ أن نافذة (جيلمان) كانت مظلمة.. لكنه بعدها شاهد ضوءً بنفسجيًا خافتًا يتوهج داخلها.. أراد بعدها؛ أن يحذر الرجل المحترم من هذا الوهج، فكل شخص في (آرخام) كان يعرف أن هذا هو ضوء الساحرة.. الذي يلهو داخله تابعها (براون جنكن)، بل وشبح العجوز الشمطاء نفسه..

إنه لم يذكر هذا الأمر من قبل، لكن صار عليه الآن؛ أن يتحدث عنه، فقد كان هذا يعني أن (كيزياه) وتابعها طويل الأنياب؛ يستعدان لاصطياد

(جيلمان).. أردف (جو) بأنه قد رأى، وغيره مثل تلك الأضواء تتوهج في الغرفة العلوية فوق (جيلمان).. لكنه أحجم عن ذكر هذا لجيلمان؛ كي لا يثير ذعره..

ولهذا، فإنه يرى أنه من الأفضل لـ (جيلمان) أن ينتقل لحجرة غيرها، وأن يحصل على صليب من كاهن طيب مثل الأب (لوينسكي). وبينما شرد الرجل؛ شعر (جيلمان) بقبضة من الذعر المجهول تعتصر صدره.. كان يعلم أن (جو) لابد، وأنه كان ثملاً حين عاد للبيت ليلة أمس، لكن ذكره للضوء البنفسجي في الغرفة العلوية كان أمرًا مريعًا.. الرجل يصف نفس الوهج البنفسجي الخافت، الذي دومًا يراه في أحلامه التي تزوره فيها الساحرة العجوز، وكائنها الضئيل المقيت.. إنه نفس الوهج البنفسجي في أحلامه العميقة في قلب الهاوية.. كان التفكير أن رجلاً آخرًا غيره يرى نفس الحلم الغريب في الوقت نفسه؛ أمرًا غير معقول بالمرة.. ترى؛ هل سمعه الرجل يتحدث بحلمه، وهو يسير أثناء نومه؟.. لكن (جو) نفى أن يكون قد سمع منه شيئًا، في النهاية كان عليه التحقق من هذا، فربما أخبره (فرانك ألوود) شيئًا ما، رغم أنه كره؛ أن يسألهم ثانية عن هذا..

حمى.. أحلام وحشية.. المشي أثناء النوم.. ضلالات صوتية.. قوى غامضة تجذبه نحو السماء، والآن هو أمام فرضية التحدث أثناء النوم.. ربما حان الوقت ليتوقف عن أبحاثه، وأن يذهب لطبيب نفسي ! ..

وحين بلغ الطابق الثاني؛ توقف أمام باب حجرة (ألوود) لكنه رأى أن الشاب الآخر كان بالخارج، وبشيء من التردد؛ واصل صعوده نحو غرفته بالأعلى، ثم جلس داخلها في الظلام.. ظلت مقلتيه تتجهان بصورة آلية نحو الجنوب، ووجد نفسه يرهف السمع لصوت ما في الغرفة العلوية المغلقة أعلاه، وهو يتخيل ضوءً بنفسجيًّا شريرًا يتسرب لأسفل نحوه خلال شقوق دقيقة في السقف المنخفض المائل..

وفي تلك الليلة، وحين غفا (جيلمان) انفجر فوق رأسه ضوء بنفسجي قوي.. بينما دنت منه الساحرة العجوز، والكائن ذو الفراء كما لم يفعلوا من قبل؛ سخروا منه بالضحكات الغير بشرية والإيماءات الشيطانية، وكم كان مسرورًا حين غاص بعدها في الهاوية الصاخبة بصورة مبهمة، ووجد نفسه محاطًا بضوء عجيب مجهول؛ امتزج فيه الأصفر، والنيلي والقرمزي في مزيج معقد..

كان مستندًا على (درابزين) شرفة عجيبة؛ تطل على غابة شاسعة؛ تحفها القمم المدهشة الغريبة، والقباب العالية، والمآذن الأسطوانية، وأقراص أفقيه عجيبة تحلق فوق الذرى.. وسط أشكال لاحصر لها من العجائب المطلقة.. بعضها كان من المعدن، وبعضها كان من الحجر، والذي توهج خليطهما بصورة أخاذة في بريق قوي من السماء متعددة الألوان.. نظر لأعلى، فرأى ثلاث أقراص هائلة من اللهب.. كان واحد منها ذو شكل مختلف، وعلى ارتفاعات مختلفة من الأفق، ومن خلفه

برزت صفوف من شرفات الأبراج الشاهقة، والتي امتدت أمامه حتى مد البصر.. بينما امتدت المدينة أسفله إلى ما لا نهاية..

أما الأرضية الذي رفع نفسه منها بسهولة، فقد كانت مرصوفة بحجارة لامعة لم يستطع تمييزها.. كانت قطع البلاط غريبة الزوايا بصورة لم يعتدها في المباني الأرضية.. كان السور الذي يرتفع حتى صدره عجيب التكوين، وبامتداد الطريق؛ اصطفت أشكال هندسية غريبة، وتماثيل مخيفة، صنعت كما السور من حجر براق لا يمكن معرفة لونه، ولا يمكن تخمين طبيعته..

وعندما تحرك (جيلمان) شعرت قدمه الحافية بالبلاط الحار.. كان وحيدًا تمامًا، وكان أول شيء فعله؛ أن مشى بحذاء السور.. نظر إلى المدينة الهائلة تحته، والتي تقع على بعد ألفي قدم أسفل منه، فشعر بالدوار، وبينما أرهف السمع؛ تناهت لأذنه بعض الموسيقى الخافتة التي انبعثت من مكان مجهول من تلك المدينة البعيدة.. تمنى لو يعرف من يسكن هناك.. أصابه هذا المنظر بالغثيان بعد فترة، وكاد ليسقط لولا أن قبضت كفه بالغريزة على السور اللامع وأمسكت بشيء ما..

بعدها؛ شعرت أذناه شديدتا الحساسية بشيء يتحرك خلفه، فدار بسرعة للخلف ونظر.. كان هناك خمسة مخلوقات تقترب منه بهدوء.. اثنين منهما كان العجوز الشريرة، والحيوان الضئيل ذو الفراء الأبيض..

أما الثلاثة الباقين، فكانوا من أفقدوه الوعي؛ حيث كانوا كيانات حية يبلغ ارتفاعها ثمانية أقدام، وتحمل وجوهًا تشبه تلك التماثيل المربعة على السور، ويتحركون كالعناكب بواسطة أذرعهم الشبيهة بأطراف نجم البحر..

أفاق (جيلمان) على فراشه غارقًا في العرق البارد مع إحساس بالألم في وجهه ويديه وقدميه.. قفز نحو الأرضية واغتسل، ثم ارتدى ملابسه في عجلة مسعورة، وكأنما كان لزامًا عليه أن يغادر الغرفة بأسرع وقت ممكن.. لم يدر إلى أين يذهب؟.. لكنه شعر أن عليه أن يضحي بإرادته مرة أخرى.. أثناء ذلك؛ هدأ الدافع الغامض الذي كان يدفعه نحو تلك النقطة الغامضة بين النجوم.. لكن قوة أخرى أعظم حلت محل القوى السابقة، وراحت تدفعه للتحرك نحو الشمال المطلق.. كان يخشى أن يضطر لعبور الجسر المطل على الجزيرة المهجورة في (ماسكوتنيك).. لذا فقد شق طريقه نحو جسر آخر.. تعثر أكثر من مرة أثناء سيره، وقد تعلقت عيناه، وأذنه بنقطة مرتفعة للغاية في السماء الزرقاء الصافية..

وبعد حوالي الساعة؛ نجح في السيطرة على نفسه بصورة أفضل.. رأى أنه صار بعيدًا جدًّا عن المدينة.. وجد نفسه بالقرب من مستنقعات ملحية.. بينما كان الطريق الضيق أمامه يفضي إلى مدينة (إينزماوث) تلك البلدة المهجورة، والتي كره سكان (آرخام) الذهاب إليها، ورغم أن

القوى الغامضة التي تجذبه للشمال لم تضعف؛ إلا أنه عاد ليقاومها كما قاوم القوى الأخرى من قبل..

عاد بتثاقل مرة أخرى للمدينة، وتناول فنجان قهوة في أحد المقاهي.. بعدها توجه للمكتبة العامة، وراح يتصفح بلا هدف بعض المجلات الخفيفة، وعندما رآه بعض الأصدقاء أذهلهم؛ كيف احترقت بشرته بتأثير آشعة الشمس؟.. لكنه لم يخبرهم بالرحلة الطويلة الذي مشاها.

وفي الثالثة عصرًا؛ تناول بعض الطعام في مطعم مجاور.. أثناء ذلك؛ لاحظ أن القوتين المتنازعتين للسيطرة عليه قد ضعفتا.. بعد ذلك راح يقتل الوقت في مشاهدة عرض سينمائي رخيص، وراح ينظر للعرض الهزلي الذي يتكرر على الشاشة أمامه في خواء..

وفي حوالي الثامنة ليلاً؛ جر نفسه عائدًا للبيت القديم.. كان (جو مازورويكز) مازال هائمًا في صلواته الغامضة، فأسرع (جيلمان) نحو حجرته الخاصة دون أن ينتظر؛ ليرى إن كان (ألوود) هناك أم لا، وعندما أشعل المصباح الكهربائي الشاحب؛ كانت هناك صدمة مريعة بانتظاره.. كان هناك شيئًا ما على المنضدة لا يخصه.. أغمض عينيه وفتحها؛ فوجد الشيء ما زال بمكانه.. إذًا هو لا يتخيل هذا ! ..

كان الشيء راقدًا على جنبه، وحين أمعن النظر؛ عرف أنه أحد التماثيل البشعة التي كانت على السور الخيالي في حلمه.. كان هو الشيء

نفسه بلا شك بنفس زواياه الغريبة، وحدوده الدقيقة المخيفة، وعلى الضوء الكهربائي؛ وجد أن لونه صار أقرب إلى اللون الرمادي القزحي المائل للون الأخضر، ومن بين ذعره؛ رأى (جيلمان) أن هناك كسرًا في أحد مقابضه.. كان نفس الشيء الذي أمسكه في الحلم؛ حين تعثر وهو يسير إلى جوار السور السحري..

كان الذهول والدوار الذي اكتنفه؛ هو ما منعه من الصراخ بعنف.. كان امتزاج الحلم والواقع أمرًا لا يحتمل، وظل يشعر بالدوار وهو يقبض بكفه على ذلك التمثال المريع، ثم يندفع به خارج الحجرة.. ظلت الصلوات المتهدجة للرجل المؤمن بالخرافات؛ يتردد صداها في الجدران العفنة، لكن (جيلمان) لم يعرها اهتمامًا في تلك اللحظة.. اتجه إلى صاحب البيت الذي يعيش بالطابق السفلي، ورفع التمثال أمام عينيه، لكن الرجل نفى أن يكون قد رأى شيئًا مثله من قبل، أو حتى يعلم أي شيء عنه.. لكن زوجته أخبرته؛ أنها عثرت على شيء صغير غريب فوق الفراش؛ حين كانت تنظف حجرة (جيلمان) ظهرًا، وربما كان ما وجدته هو هذا الشيء.. ناداها الزوج، فجاءت في تؤدة، وقالت:

"نعم.. كان هذا هو الشيء الذي عثرت عليه على فراش السيد (جيلمان) في ذلك الجزء الملتصق بالحائط المائل."

أضافت أن هذا الشيء بدا غريبًا جدًا لها، ولكن حجرته على كل حال تعج بالكثير من الأشياء الغامضة الغريبة.. كتب، تعاويذ، صور، وعلامات على الحائط .. لكنها رغم ذلك؛ لا تدري عن هذا الشيء أي شيء..

ولهذا صعد (جيلمان) الدرج عائدًا لحجرته في اضطراب عقلي عنيف؛ محاولاً إقناع نفسه أنه ربما مازال يحلم، أو أن سيره أثناء النوم بلغ به حدًّا لا يعقل، وربما دفعه لنهب بعض الأماكن المجهولة..

من أين حصل على هذا الشيء الغريب؟.. لكنه لا يذكر أنه رأى شيئًا كهذا في أي متحف من متاحف (آرخام)، ربما قد رأى هذا الشيء في مكان آخر، وربما تذكر عقله هذا الشيء أثناء نومه، ومزجه برؤياه؛ ليراه كجزء من السور العجيب في الحلم..

قرر أن عليه القيام في اليوم التالي ببعض التحقيقات الجدية، وربما كان الوقت قد حان؛ لرؤية طبيب نفسي..

ورغم هذا كان عليه أن يقوم بمحاولة معرفة؛ أين تقوده قدميه في سيره أثناء نومه؟.. ولهذا فقد قام بنثر الدقيق الذي استعاره خارج حجرته، وفي ردهات المنزل بعد استئذان صاحب المنزل بالطبع.. أثناء ذلك؛ توقف أمام باب حجرة (ألوود) لكنه وجدها معتمة تمامًا، فعاد لحجرته.. وضع التمثال الغريب على المنضدة، ورقد على الفراش في حالة من الإنهاك البدني، والنفسي كاملتين دون أن يبدل ملابسه. هنا تناهى لأذنيه صوت

خدوش خافتة مكتومة تنبعث من الغرفة العلوية فوق السقف المائل. لكنه كان مشوشًا للتفكير في هذا الأمر، ومرة أخرى عادت تلك القوى الغامضة التي تشده للشمال بصورة أقوى مما كانت.. رغم أنه شعر أنها تأتي هذه المرة من مستوى أدنى من السماء..

وفي الضوء البنفسجي المبهم في الحلم؛ ظهرت أمامه المرأة العجوز، وخادمها ذو الفراء ثانية بوضوح أكبر من المرات السابقة.. هذه المرة كانا أمامه تمامًا.. بل وشعر بمخالب العجوز الشمطاء، وهي تقبض عليه.. جذبته من الفراش، وألقته في مكان خاو.. ولوهلة راح يسمع صراخًا صاخبًا، وهو يرى ضوء الغسق يلف الهاوية الغامضة.. لكن تلك اللحظة كانت قصيرة، وبعدها وجد نفسه واقفًا على أرضية مائلة أسفل قدميه في فضاء مطلق بلا نوافذ.. غارقًا في حزم من الوهج.. وجد حوله حقائب تعج بالكتب المهترئة القديمة، وفي منتصف المكان كانت هناك منضدة ومقعد؛ بدا أن كليهما قد ربط في مكانه..

كان هناك كذلك بعض الأشياء المبهمة الشكل فوق حقائب الكتب، وعلى الضوء البنفسجي المضطرب؛ اعتقد (جيلمان) أنه رأى نفس صورة التمثال الشنيع الذي حيره بصورة مروعة، وإلى يساره انتهت الأرضية فجأة؛ مخلفة فجوة سوداء مثلثة الشكل بلا قرار، وبعد لحظات من ارتجاف الأرض أسفل قدميه؛ خرج من الحفرة الكائن الضئيل بأنيابه الصفراء، واللحية التي تحف وجهه البشري..

كانت العجوز الشمطاء ما زالت مطبقة عليه.. بينما جلس خلف المنضدة شخص لم يره من قبل.. كان هناك رجلاً نحيلاً طويلاً ذا لون أسود مميت.. لكنه رغم هذا لم يحمل الوجه المميزة للزنوج.. كان بلا لحية أو شعر على الإطلاق، وكان يرتدي عباءة لا شكل لها من نسيج أسود سميك.. لم تكن قدميه ظاهرة خلف المنضدة والمقعد.. لكن (جيلمان) خمن من صوت الطرقات على الأرض التي كان يسمعها كلما غير الرجل موضعه؛ أنه ينتعل حذاءً..

لم يتحدث الرجل، كما خلا وجهه النحيف من أي تعبير.. فقط؛ اكتفى بالإشارة لكتاب ضخم الحجم.. كان مفتوحًا أمامه على المنضدة.. بينما دفعت العجوز الشمطاء بريشة رمادية كبيرة إلى يد (جيلمان) اليمنى.. كان كل شيء في تلك اللحظة محملاً بالفزع المميت، وبلغ الفزع ذروته حين تسلق المخلوق الضئيل ملابس الحالم حتى بلغ كتفه، ثم هبط نحو يده اليسرى.. قبل أن يعض كفه بشراسة، وبينما تدفق الدم من كفه هوى (جيلمان) في غيبوبة..

استيقظ في صباح يوم الثاني والعشرين؛ شاعرًا بالألم في كفه الأيسر، ولدهشته؛ وجد الكف غارقة في الدم المتجلط.. لم يستوعب أي شيء في البداية.. كان مضطربًا للغاية.. لكن مشهد الرجل الأسود في ذلك الفضاء المجهول؛ طفا على سطح عقله بجلاء، وحين نظر لكفه ثانية؛ خمن

أن فأرًا ما قد قضمه أثناء نومه، وربما اختلط هذا على عقله، فسبب له تلك الرؤية المريعة..

فتح باب حجرته، فرأى أن الدقيق لم يمس؛ إلا قطعة كبيرة كانت أمام حجرة جاره الذي يسكن في الناحية الأخرى من الطابق.. إذًا؛ فهو لم يمش أثناء النوم.. لكنه عاد، وفكر في القيام بشيء ما؛ للتخلص من تلك الفئران..

ربما كان عليه؛ أن يحدث صاحب البيت عنه، ومرة أخرى عاود المحاولة لإغلاق جحر الفئران الموجود أسفل الحائط المائل، ووضع بداخله شمعدانًا أغلق الفتحة تمامًا بإحكام.. كانت أذنه تطن بقوة في تلك اللحظة، وكأنها مازالت محمله بالصدى المريع الذي صاحب أحلامه..

اغتسل وبدل ملابسه، ثم راح يستعيد ما رآه في أحلامه.. لكن عقله لم يتذكر أي شيء.. هل يتعلق ما رآه في الحلم بتلك الغرفة العلوية المغلقة التي كانت تشغل باله بشراسة؟..

راح يفكر في ذلك الغسق البنفسجي الذي يضيء الهاوية في أحلامه، وذلك الظلام السرمدي خلف الهاوية.. لكنه لم يصل لأي تخمين معقول عما تعنيه تلك الأحلام.. تذكر تلك الكائنات العضوية، وغير العضوية التي كانت تحوم حوله وتتبعه، وتذكر الأشكال الهندسية، والخطوط والزوايا الغريبة التي كانت في الحلم.. كان كل شيء هناك يخضع لقوانين فيزيائية،

ورياضية لا تنتمي لعلوم الأرض.. قبل أن يتجه تفكيره نحو كتاب (النيكرونوميكون) وما ذكره عن (أزازوث) الذي يتحكم في الفضاء والزمن، من فوق عرشه المظلم في قلب الكون..

عندما غسل (جيلمان) كفه الأيسر؛ رأى الثقبان الدقيقان عليه؛ تحسسهما بكفه في حيرة.. لاحظ أنه لا دماء هناك على الفراش حيث رقد، وهو الأمر الذي كان عجيبًا نظرًا لحجم الجرح المثقوب في ذراعه.. هل سار أثناء نومه في الحجرة؟.. وهل قام الجرذ بعضه؛ بينما كان متوقفًا في موضع غريب؟.. بحث في كل مكان حوله عن بقعة ما من الدماء المتجمد.. لكنه لم يعثر على أي شيء.. ألم يكن من الأفضل له؛ أن ينثر الدقيق داخل الغرفة كما فعل خارجها؟.. لكنه في النهاية؛ لم يكن بحاجة لبرهان على سيره أثناء نومه.. كان يعلم أنه بالفعل يسير أثناء نومه، وأن ما عليه القيام به هو وقف هذا الأمر.. عليه أن يسأل المساعدة من (فرانك ألوود)..

شعر كذلك؛ أن القوى السماوية الغامضة التي تشده للشمال صارت أضعف هذا اليوم، وأن هناك شعورًا مبهمًا بداخله قد حل محلها؛ إن هناك دافعًا غامضًا غير مفهوم ومتواصل.. يحثه على التحليق عاليًا من مكانه هذا في اتجاه معين نحو الفضاء..

قبض على التمثال الغريب الذي وجده بالأمس على منضدته، والذي كان قد جلبه معه من أحلامه، وهبط إلى (فرانك ألوود). كان زميله هناك.. وكان هناك من الوقت ما يسمح بمحادثة قصيرة قبل الإفطار، والذهاب للجامعة؛ ولذا وبسرعة راح (جيلمان) يخبره بكل شيء عن أحلامه، وما يحدث له.. تعاطف معه مضيفه كثيرًا، ووافقه على أن عليهم عمل شيء ما.. صدمه سمت (جيلمان) المنهك الشاحب، ولاحظ حروق الشمس التي أصابت بشرته في الأسبوع الأخير..

لم يكن هناك الكثير مما يمكن أن يقوله (ألوود)، فهو في النهاية؛ لم ير بعينه (جيلمان) وهو يسير خلال نومه، ولا يملك أي فكرة عما قد تعنيه تلك التخيلات، والأحلام.. فقط؛ كان قد سمع محادثة تدور بين أحد سكان المنزل، وكان كنديًا من أصول فرنسية، وبين (مازورويكز) في مساء يوم ما..

كان كل منهما يحدث الآخر؛ كم يخشى قدوم ليلة (عيد كل القديسين) بعد أيام معدودة، وراحا يتبادلان التعليقات المخيفة المتعلقة بالسيد (جيلمان) البائس.. تحدث الرجل الكندي الفرنسي، والذي كان يسكن في تلك الغرفة التي تقع أسفل غرفة (جيلمان) مباشرة؛ عن الخطوات الليلية التي كان يسمعها، وعن الضوء البنفسجي الذي رآه في غرفة (جيلمان) حين صعد خلسة ذات ليلة، ونظر إلى غرفة (جيلمان) من

خلال ثقب مفتاح الباب.. أخبر (مازورويكز) أنه سمع كذلك صوتًا خافتًا غامضًا؛ يتحدث داخل الحجرة..

لم يستطع (ألوود) تخمين ذلك الدافع الذي دفع هذين الشخصين المؤمنين بالخرافات؛ لتبادل تلك الإشاعات.. لكنه افترض أن تهيؤاتهم؛ قد هيجها سير (جيلمان) وتحدثه أثناء نومه في أوقات متأخرة من الليل من ناحية، واقتراب ليلة (سأباث السحرة) من ناحية أخرى.. كان واضحًا من حديث الجار الكندي الفرنسي؛ أنه سمع تحدث (جيلمان) أثناء نومه، وأن الضوء البنفسجي لأحلام (جيلمان) قد انتقل إلى عالمنا..

ومن أجل سلامته، فقد اقترح (ألوود) على (جيلمان) أن يترك حجرته، وأن ينتقل للعيش معه في حجرته، وأن يتجنب النوم بمفرده.. هنا يمكن لـ (ألوود) أن ينتبه له، ويوقظه؛ لو بدأ في التكلم، أو السير أثناء نومه. كما أن عليه أن يزور الطبيب النفسي في أقرب وقت ممكن.. اقترح (ألوود) كذلك؛ أن يأخذوا التمثال الغريب، وأن يقوموا بعرضه على خبراء المتاحف المختلفة؛ لمعرفة كل شيء ممكن عنه مدعين أنهم قد وجدوه في القمامة.. كما أن على صاحب البيت أن يهتم بشأن الفئران، وأن يقوم بتسميمهم مثلاً..

عاد (جيلمان) للدراسة في ذلك اليوم ثانية، وخلال أوقات الراحة؛ عرض على العديد من أساتذته؛ التمثال الغريب.. أبدى جميعهم الدهشة

والإثارة مما عرضه، لكن لم يلق أيهم الظل على طبيعة هذا التمثال، أو أصله..

وفي ذلك المساء؛ نام (جيلمان) على أريكة كان (ألوود) قد سأل صاحب البيت أن يحضرها لحجرته، وللمرة الأولى منذ أسابيع عدة؛ كان نومه خاليًا من الأحلام تمامًا.. لكنه مع ذلك ظل يشعر بالحمى..

وخلال الأيام القليلة التالية؛ استمتع (جيلمان) بحياته الخالية من أي شيء شرير.. أكد (ألوود) أنه لم يظهر أي ميل للسير، أو التحدث أثناء نومه.. كما قام صاحب البيت كذلك؛ بوضع سم الفئران في كل شق بالبيت.. فقط.. كان الشيء المزعج؛ هو حديث هذين الشخصين المؤمنين بالخرافات.. ظل (مازورويكز) يلح عليه في جلب صليب ما، وفي النهاية؛ وضعه أمام الأمر الواقع، وجلب له واحدًا، وأخبره أن الأب (لوينسكي) قد باركه..

أما الجار الكندي، فقد كان لديه ما يضيفه هو الآخر، فقد أصر على أنه أصبح يسمع أصوات أقدام؛ تأتي من حجرة (جيلمان) الفارغة التي تعلو حجرته في الليلتين الأولى، والثانية من ترك (جيلمان) لها.. بينما قال صاحب البيت؛ أنه يعتقد سماع وقع أقدام في الردهة، والدرج في ذلك المساء.. بل وادعى أن هناك من حاول اقتحام باب حجرته.. بينما أقسمت زوجته؛ أنها رأت (براون جنكن) للمرة الأولى في ليلة كل

القديسين. لكن مثل هذه التقارير الساذجة لا تعني شيئًا في الواقع.. بينما ترك (جيلمان) الصليب معلقًا على مقبض خزانة مضيفه..

ولأيام ثلاث؛ تردد (جيلمان) و(ألوود) على المتاحف المحلية؛ محاولين معرفة كنه ذلك التمثال الغريب.. لكن كل هذا لم يفلح، ففي كل مرة كان هناك الكثير من الإثارة أمام الغرابة المطلقة للتمثال، والتي شكلت تحديًا كبيرًا للفضول العلمي؛ ولهذا فقد نزع خبراء المتاحف واحدًا من الأذرع الملتوية، وعرضوه للتحليل الكيميائي.. وجد البروفيسور (أليري) أنه يتكون من (البلاتينيوم، والحديد، والتريليوم) مع ثلاثة عناصر أخرى مجهولة تمامًا.. ولهذا ظل اللغز بلا حل حتى هذا اليوم.. رغم أن التمثال ظل معروضًا في متحف جامعة (ميسكاتونك)..

وفي صباح السابع والعشرين من إبريل؛ ظهر جحر فأر في حجرة (ألوود).. وعلى الفور أغلقه صاحب البيت في اليوم نفسه.. بدا أن السم بلا تأثير كبير، وأصوات الخدوش والقضم؛ تنبعث من جدران المنزل بلا انقطاع..

في تلك الليلة؛ عاد (ألوود) متأخرًا، وظل (جيلمان) في انتظاره.. لم يرغب في أن يذهب إلى الحجرة للنوم بمفردة.. خاصة، وهو يعتقد؛ أنه قد رأى في هذا المساء خيال تلك المرأة العجوز البغيضة التي روعت أحلامه.. كان يتساءل؛ من تكون تلك المرأة يا ترى؟.. كانت تسير

بالقرب من المرفأ، وهي تحمل علبة صفيح تصدر خشخشةً غريبة.. بدا، وكأن العجوز الشمطاء تتجسس عليه بشبق شرير.. رغم أن كل هذا ربما كان مجرد أوهام في عقله..

وفي اليوم التالي؛ شعر كلا الشابين بإرهاق لاحد له.. علما أنهما سيناماان كالصخر بمجرد أن يهبط الظلام، وفي المساء تناقشا بغير تركيز في بعض المسائل الرياضية التي ربما سببت الضرر لعقل (جيلمان) وتجادلا حول الترابط المخيف بين السحر القديم، والفولكلور.. بعد ذلك؛ تحدثا عن (كيزياه مايسون) وعن خبرات (جيلمان) العميقة بالطوائف الخفية للسحرة، والقواعد التي تحكمهم، وكيف كانت الأسرار المذهلة تنتقل عادة من ساحر لآخر بالتلقين المباشر؟!.. وأن الكثير من تلك الأسرار فقدت مع الزمن، وأنه ليس من المستبعد تمامًا؛ أن تكون (كيزياه) كانت تتقن بالفعل فن عبور الحواجز الفاصلة بين الأبعاد..

كان معلومًا من التراث الشعبي كذلك؛ أن الموانع المادية لا تقف أمام قوى السحرة، وإلا فما القول في الحكايات القديمة التي تخبرنا بالجولات الليلية للسحرة فوق يد المقشات..

أما التساؤل عن إمكانية العلوم الحديثة في اكتساب نفس تلك القوى بواسطة المعادلات الرياضية وحده، فهذا ما لم تتضح نتائجه بعد.. كان (جيلمان) يؤمن أن النجاح في تحقيق هذا؛ ربما أدى لنتائج خطيرة لا تخطر

بالنا، وفي الناحية الأخرى، فإن تحقيق مثل هذا الإنجاز سيعني توافر إمكانات هائلة للإنسان، فالزمن في بعض أبعاد الفضاء غير موجود، ونجاح المرء في الوصول لمثل تلك الأبعاد؛ يعني الخلود، والحياة للأبد بلا مشاكل عضوية أو أمراض.. غير بعض التدهور العضوي البسيط الذي قد يحدث؛ حين يغادر الشخص مكانه، ويذهب إلى بعده الأصلي مثلاً، فالمرء مثلاً يمكنه الذهاب إلى أحد تلك الأبعاد غير الزمنية، ومنها يمكنه الانتقال إلى حقب بعيدة من التاريخ دون أن يتغير عمره..

تميزت الأساطير القديمة بالضبابية والغموض، وفي التاريخ القديم كانت المحاولات الدؤوبة لاجتياز الفجوات المحرمة؛ مرتبطة بالتحالفات الغريبة المريعة مع كائنات، ورسل من خارج الأرض.. كان هناك دوماً ذلك الكيان الغامض الذي يعمل كرسول لقوى مخيفة شريرة؛ مثل الرجل الأسود في حشد السحرة و(النيارلاثوتب في النيكرونوميكون) كان هناك كذلك الرسل الأدنى المحيرون؛ مثل الحيوانات الشاذة الهجينة، والتي تعدهم الأساطير سحرة متحولين..

شعر (جيلمان) و(ألوود) بالتعب، وداهمتهما رغبة ملحة في النوم.. سمعا خطوات (جو مازورويكز) المترنحة، وهو يدخل البيت ثملاً، وارتجفا حين عاد يردد صلواته المنتحبة في نزق غريب..

وفي ذلك المساء؛ شاهد (جيلمان) الضوء البنفسجي مرة أخرى، وفي حلمه كان يسمع صوت الخدوش، والقرض في الحواجز، كما شعر بأن هناك شخصًا ما يتحسس المزلاج بخرق.. بعدها شاهد الساحرة العجوز، وتابعها الضئيل، وهم يحبون نحوه فوق السجاد.. كان وجه العجوز الشمطاء مشتعلاً بالسخرية غير الآدمية، كما راح كائنها البغيض يضحك هازئًا مبرزًا أسنانه الصفراء القميئة؛ حين أشارت إلى الجسد النائم بعمق لـ (ألوود) والراقد على الأريكة في الناحية الأخرى من الغرفة..

شل الرعب كل محاولاته للصراخ، وكما حدث من قبل؛ قبضت العجوز الشمطاء على كتف (جيلمان) وجرته بعيدًا عن الفراش، ودفعته نحو فضاءٍ خاوٍ.. أومضت أمامه ثانية تلك الهاوية الصارخة اللامتناهية، لكنه وبعد ثانية؛ وجد نفسه في ممر موحل مظلم يعبق بالروائح الكريهة للحوائط المتهالكة لمنازل قديمة شاهقة الارتفاع..

وأمامه كان الرجل الأسود المتشح بالسواد، والذي رآه في حلم سابق.. بينما راحت المرأة العجوز تشير إليه في عبوس صارم، بينما راح (براون جنكن) يحك فراءه بمرح في أقدام الرجل التي أخفاها الوحل بصورة كبيرة.. كان هناك مدخل مضيء على اليمين.. أشار إليه الرجل الأسود بلا صوت.. هنا راحت العجوز الشمطاء المتجهمة تسحب (جيلمان) نحوه من أكمام (بيجامته) كانت هناك رائحة شريرة على الدرج الذي كان

يصر بشكل مشئوم، والتي بدا أن المرأة العجوز؛ راحت تشع فيه بضوء بنفسجي خافت..

وصلوا لنهاية الدرج؛ حيث كان هناك بابًا دفعته العجوز، ففتح.. أشارت لـ (جيلمان) أن ينتظر، ثم توارت خلف المدخل المظلم..

التقطت أذنا (جيلمان) الحساستان للغاية؛ صوت بكاءٍ مكتوم، وبعدها برزت العجوز الشمطاء من الداخل، وهي تحمل شيئًا صغيرًا دفعته نحوه كما لو أنها تأمره أن يحمله، وما إن رأى وجه ذلك الشيء، والتعبيرات على وجهه حتى زال جموده.. لكنه ظل مذهولاً؛ ليصرخ.. هنا راح يركض بجنون هابطًا الدرج، وراح يعدو على الوحل نحو الخارج.. لم يوقفه إلا الرجل الأسود الذي كان ينتظر بالخارج.. أمسكه، وراح يخنقه بقسوة، وكان آخر ما سمعه قبل أن يفارق وعيه؛ هي تلك الضحكة الساخرة التي أطلقها التابع الضئيل الشرير للساحرة العجوز..

وفي صباح يوم التاسع والعشرين؛ استيقظ (جيلمان) على عاصفة من الرعب، ففي اللحظة التي فتح فيها عينيه؛ أدرك أن هناك خطئًا ما مريعًا.. لقد كان مرةً أخرى نائمًا في حجرته القديمة بحائطها المائل، وسقفها المنخفض المائل.. متمددًا على فراشه غير المرتب.. كان حلقه يؤلمه بشدة، وبينما كافح لينهض.. رأى بخوف يتنامى؛ أن (بيجامته) وأقدامه

كانوا ملطخين بالوحل.. لوهلة لم يستوعب عقله ما يحدث.. لكنه أدرك أنه لابد قد عاد للسير أثناء نومه..

حتمًا؛ كان (ألوود) غارقًا في النوم العميق؛ ليشعر به ويوقفه.. شاهد على أرضية الحجرة آثارًا موحلة مربكة، وكان الأمر المريع؛ أنها لم تصل للباب على الإطلاق، وكلما دقق (جيلمان) النظر إليها؛ شعر بمدى غرابتها، فبالإضافة لخطواته هو؛ كانت هناك آثارًا صغيرة دائرية بجوار آثار قدمية.. كانت تشبه أقدام منضدة، أو مقعد خشبي ضخم.. لكنها كانت تختلف في أنها كانت مقسومة من المنتصف..

رأى كذلك آثار أقدام جرذٍ؛ قادمة من جحر فأرٍ حديثٍ نحوه، وآثارًا أخرى تتجه للجحر ثانية.. هنا راح يتذكر حلمه المفزع، وتواثب الخوف في قلبه، وزاد من الجو المتوتر؛ سماعه لصراخ (جو مازورويكز) أسفل طابقين منه..

هبط إلى غرفة (ألوود) وراح يوقظه، ثم أخبره بما حدث له، لكن (ألوود) لم يكن لديه أي فكرة؛ كيف يمكن أن يكون هذا قد حدث؟.. أين يا ترى ذهب (جيلمان)؟.. وكيف ذهب إلى حجرته دون أن يخلف أي أثر على الردهة؟!.. ومن أين أتت تلك الطبعات الموحلة على أرضية حجرته؟!..

أسئلة كثيرة محيرة، ولا مجال لتخمينٍ صائب يبدد ظلامها..

كانت هناك كذلك؛ تلك العلامات السوداء على رقبة (جيلمان) والتي بدت، وكأنه كان يحاول خنق نفسه.. لكنه، وحين وضع أصابعه عليها؛ وجد أنها لا تلائم أصابعه..

وبينما كانا يتحدثان؛ دخل عليهما صاحب البيت؛ ليخبرهما أنه قد سمع جلبة مريعة قادمة من السلم في ساعات الفجر المظلمة هذا اليوم.. أضاف كذلك؛ أنه لم يكن هناك أحد على الدرج بعد منتصف الليل، وفي نفس الوقت؛ تناهى لأذنه صوت خطوات في الغرفة العليا.. قبل أن يسمع تلك الخطوات، وهي تهبط السلم بحذر لم يحبه..

قال كذلك؛ أن هذا الوقت من العام هو وقت سيء للغاية في (آرخام) وأنه ربما على (جيلمان) أن يرتدي الصليب الذي منحه إياه (مازورويكز) طوال الوقت، فحتى في ضوء الشمس لم يكن الأمر آمنًا.. كما أن أصواتًا غامضةً راحت تسمع في البيت بعد الفجر كل يوم، وبخاصة صوت عويل طفولي رفيع مكتوم..

ذهب (جيلمان) لجامعته ذلك الصباح بشكل آلي.. لكن عقله كان غير قادرٍ كلية على تحصيل أي شيء.. كان مذعورًا، وعقله ينتظر وقوع أشنع الشرور.. في الظهيرة؛ تناول غذاءه في الجامعة، وبينما كان في انتظار الحلوى؛ التقط إحدى الجرائد من المقعد المجاور، وحين طالع خبرًا في

الصفحة الأولى؛ اتسعت عيناه ذهولاً، وذهب عقله.. بالطبع لم يتناول الحلوى حينها، واندفع مترنحًا؛ ليعود لغرفة (ألوود)..

كانت هناك حادثة اختطاف غريبة؛ حدثت في تلك الليلة التي وجد نفسه فيها نائمًا في حجرته ثانية.. لقد اختفى تمامًا طفل صغير في الثانية من عمره لعاملة تعمل في إحدى مغاسل تنظيف الملابس.. قالت الأم؛ أنها ظلت تخشى وقوع هذا الحادث لوقت طويل، لكن السبب الذي ذكرته لتبرير هذا الإحساس الغريب، كان شاذًا للغاية، فلم يحمل أحد حديثها محمل الجد..

كانت كما قالت؛ قد رأت (براون جنكن) يحوم حول المغسلة منذ وقت مبكر من شهر مارس، ومن مراقبته وتحديقه في طفلها الصغير؛ شعرت أن طفلها قد يستخدم في أعمال السحر الفظيعة في (سابات السحرة) في (ليلة كل القديسين).. أضافت بأنها طلبت من إحدى جاراتها؛ أن تنام في حجرتها مع الطفل؛ لتحميه وتراقبه.. لكن الجارة تراجعت، وخافت.. كذلك كان من العسير؛ أن تخبر الشرطة بظنونها، حتى لا تصير مثار السخرية، فمنذ متى تفكر الشرطة في تلك الأشياء، وهي تحقق في حوادث اختطاف الأطفال الغامضة؟!.. كما أن صديقها رفض تقديم المساعدة، وهو الذي رفض في البداية وجود الطفل معها، وتمنى إبعاده عن طريقه..

لكن ما جعل العرق البارد يتصبب من (جيلمان) كان التقرير الذي يتكلم عن اثنين من المحتفلين؛ شاهدا شيئًا ما في مدخل الشارع في تلك الليلة.. قال الشهود؛ بأنهم كانوا سكارى، لكنهم رغم هذا أقسموا بأنهم قد رأوا ثلاثة أشخاص؛ يرتدون ملابس غريبة، ويدلفون الشارع تلك الليلة.. كان أحدهما زنجيًا تصحبه عجوز شمطاء، أما الثاني، فقد كان شابًا أبيض البشرة؛ يرتدى ملابس النوم..

كانت المرأة العجوز تجر الشاب الصغير.. بينما راح يمرح جرذ صغير أسفل أقدام الرجل الأسود في الوحل..

جلس (جيلمان) في ذهول طوال فترة عصر اليوم، ووجده (ألوود) على هذا الحال حين عاد للحجرة.. كان (ألوود) قد قرأ بالفعل ذلك الخبر في الجريمة قبل ذلك، وراح عقله منذ تلك اللحظة يفكر في الأمر المريع.. في هذا الوقت لم يكن هناك أي شك في نفسيهما؛ أن أمرًا خطيرًا فظيعًا يحاك بالقرب منهما.. كان هناك شيئًا غامضًا لا يصدق؛ يتشكل في المنطقة الوسطى بين الأحلام والعالم الحقيقي، وأنه لا سبيل لمنع حدوث هذا الأمر السيء إلا اليقظة التامة.. كان على (جيلمان) أن يعود طبيبًا متخصصًا، لكن حتمًا ليس في هذا الوقت، والحادث المريع يملأ صفحات الصحف..

ما حدث بالفعل؛ كان أمرًا غامضًا يثير الجنون، وراح كل من (جيلمان) و(ألوود) يتبادلان بهمس؛ اقتراح مختلف النظريات مهما كانت غريبة..

هل نجح عقل (جيلمان) الباطن في الوصول للمعادلات الصحيحة لنظرياته، والتي فشل عقله الواعي في تحقيق هذا الإنجاز؟.. وهل راح بالفعل ينزلق إلى عوالم أخرى؛ لا ندركها أو نتخيلها خارج محيط عالمنا؟.. أين كان يذهب ـ لو صدقنا حدوث هذا الشيء ـ في تلك الليالي الشيطانية الغريبة؟.. وما تلك الهاوية الصارخة الغارقة في ضوء الشفق؟!.. من الرجل الأسود؟.. وأين هو الممر الموحل والدرجات؟.. ومن هي تلك الساحرة العجوز، ومخلوقها البغيض؟!.. ماذا تكون تلك الأشياء العضوية، والغير عضوية التي كان يراها؟!.. وماذا عن حروق الشمس التي أصابت بشرته، أو جرح كفه؟!.. كيف حدثت علامات الخنق على رقبته؟!.. ولماذا هاجت مشاعر الجيران المؤمنين بالخرافات في هذا الوقت بالذات؟!..

تساؤلات لا أجوبة لها!!.. لكن؛ هل يمكن للعقل المادي أن يقدم تفسيراً لها؟..

كان النوم مستحيلاً لأي منهما في تلك الليلة.. لكن، وفي الصباح التالي تخلفا عن الدراسة؛ لينالا قسطا من الراحة.. كان هذا هو الثلاثين من إبريل، ومع حلول الغسق؛ سوف يحين وقت (السَابات) الذي يخشاه كل غريبوا الأطوار، والعجائز، والمؤمنون بالخرافات..

عـاد (مـازورويكز) للمنـزل في السادسـة مسـاءً، وقـال؛ أن النـاس في الطاحونة يتهامسون؛ أن أفراح الشياطين سوف تقام في الوادي المظلم خلف التل حيث ينتصب الحجر الأبيض في مكانٍ يخلو بشكل غريب من النباتات والحشائش.. بل، واقترح بعض هؤلاء على البوليس؛ الذهاب إلى المكان، والبحث عن الطفل المفقود هناك..

ألح (مـازورويكز) علـى (جيلمـان) في ارتـداء الصـليب المصـنوع مـن النيكل، فارتداه (جيلمان) وأخفاه خلف قميصه؛ ليريح جاره..

وفي وقت متأخر من الليل؛ جلس الشابان الصغيران على مقعديهما شاعرين بالنعاس، ومن أسفل حجرتيهما؛ سمعا الصلوات المتهدجة لجارهما المصدق بالخرافات.. سمعه (جيلمان) في الوقت نفسه الذي التقطت أذناه الحساستان بصورة خارقة للطبيعة.. بعض الدندنة المخيفة الغير ملحوظة في تلك الضوضاء التي تغمر البيت العتيق.. راح يتذكر كل تلك الأمور المريعة المذكورة في كتاب (النيكرونوميكون) والكتاب الأسود، ووجد نفسه بصورة خارقة للطبيعة؛ يستمع بل، ويتمايل مع التراتيل المخيفة التي تتردد في الاحتفالات السوداء لـ (سابات السحرة)..

في تلـك اللحظـة؛ أدرك مـا يسـتمع إليـه.. إنهـا الأناشـيد الشـيطانية للمحتفلين في الـوادي المظلـم البعيـد.. لكـن العجيب هـو؛ كيف عـرف الكثير مما سوف يحدث؟.. وكيف علم بالوقت الذي ستقوم فيه السـاحرة

الكبرى، وتابعها بحمل طاسة الامتلاء، واللحاق بالديك الأسود، والجدي الأسود؟!..

رأى أن (ألوود) قد نام، فحاول مناداته، وإيقاظه.. لكن شيئًا ما سد حنجرته في تلك اللحظة.. لم يعد في تلك اللحظة يملك نفسه؛ هل تراه قد وقع كتاب الرجل الأسود رغم كل شيء؟..

التقطت أذنه المحمومة الغير طبيعية؛ الهمسات البعيدة التي تحملها الرياح، وعبر أميال من التل، والحقول والممرات جاءوا.. لابد أن النيران تضطرم الآن، وحتمًا انهمك المحتفلون في الرقص.. كيف أمكنه منع نفسه من الذهاب إلى هناك؟.. وأي لجة تلك التي ألقى بنفسه في عبها؟..

الرياضيات.. التراث.. المنزل القديم.. كيزياه العجوز.. براون جنكن..

والآن؛ رأى أن هناك جحر فأرٍ جديد في الجدار بالقرب من أريكته، ومع الأناشيد البعيدة التي تصل لأذنه، وصلوات (مازورويكز) المتهدجة سمع صوتًا آخر؛ صوت خدوش، وقرض داخل الحائط.. تمنى ألا ينقطع النور، وبعدها رأى الوجه الضئيل ذو الأنياب، واللحية داخل جحر الفأر.. الوجه الضئيل الملعون، والذي أدرك في تلك اللحظة بهلعٍ مميت؛ أنه يحمل وجه (كيزياه) العجوز، وفي نفس اللحظة؛ كان هناك من يحاول فتح الباب..

أشرقت في وجهه الهاوية الصارخة الغارقة في ضوء الشفق، ووجد نفسه عاجزًا تمامًا وسط كل الأشكال الغريبة لأشكالها العضوية، والغير عضوية وأشكالها، وزواياها العجيبة التكوين، وما تقود إليه من أبعاد وأكوان غير منظورة مخيفة..

لكن كل هذا اختفى في لحظة واحدة، ووجد نفسه مرة أخرى في تلك القمم الفضائية الغارقة في الضوء البنفسجي الكثيف.. بأرضيتها المائلة، والحقائب الممتلئة بكتب القدماء، المنضدة والمقعد، الأغراض الغريبة، والخليج المثلث على أحد جانبيها.. على المنضدة؛ كان هناك مخلوقًا صغيرًا أبيض البشرة.. طفلاً صغيرًا؛ عاري الجسد فاقد الوعي.. بينما في الناحية الأخرى؛ وقفت العجوز الشمطاء البشعة، وفي كفها الأيمن؛ راح سكين غريب الشكل يلمع.. بينما استقرت في كفها الأيسر طاسة معدنية بها العديد من الأذرع الجانبية، وقد نقشت على سطحها رسومًا، وطلاسمًا مربعة غريبة.. كانت تنعق بتراتيل طقسية بلغة لم يعرفها (جيلمان) لكنها بدت، وكأنها تعاويذ اقتبست من كتاب (النيكرونوميكون)..

وبينما صار المشهد أكثر جلاءً؛ رأى العجوز الشمطاء تنحني للأمام، وتمد الطاسة الفارغة عبر الطاولة، ورأى وهو غير قادر على كبح إثارته أنه قد اقترب من الطاولة، ومد ذراعيه والتقط الطاسة بكفية.. لاحظ، وهو يقبض عليها خفتها العجيبة، وفي نفس اللحظة زحف (براون جنكن) البشع متسلقًا حافة الخليج الأسود على يساره.. عدلت العجوز الشمطاء

من وضع الطاسة في يده في وضع معين.. بينما رفعت السكين العجيب بذراعها عاليًا إلى أقصى ارتفاعه فوق الطفل الصغير الساكن. انهمك المخلوق البشع الضئيل في ترديد أنشودة ملعونة، وردت عليها العجوز اللعين بتعاويذ ممقوتة، ورغم الشلل العضوي والعقلي الذي أصابه؛ إلا أن (جيلمان) شعر بكراهية وفزع لا حد له، وارتجفت الطاسة المعدنية في يده. وفي الثانية التالية؛ هوت السكين لتكتمل التعويذة.. هنا ألقى الطاسة، فهوت محدثة رنينًا معدنيًا مزعجًا، واندفعت ذراعيه بشكل مسعور؛ لإيقاف العمل البشع، لتقبض على يد الساحرة بقوة..

وفي لحظة؛ كان قد اجتاز الأرضية المائلة، ووصل لنهاية المنضدة.. سحب السكين من بين مخالب العجوز، وألقاه بعيدًا نحو الخليج الأسود الضيق، وفي اللحظة التالية انعكس الأمر، فقد قبضت مخالب قاتلة على حنجرته، وراحت تخنقها.. بينما تغضن الوجه المسن في غضب مجنون.. شعر بالصليب الرخيص، وهو يمزق لحم عنقه.. كانت قوة الساحرة في تلك اللحظة فوق طاقة كل البشر، وبينما راحت تعتصر رقبته؛ وصلت ذراعه بضعف إلى قميصه، وأمسك بالرمز المعدني.. هنا جذب السلسة التي تربطه بقوة، ثم رفع الصليب أمام الساحرة..

أصيبت الساحرة بالرعب فور أن رأت الصليب، وارتخت قبضتها حول عنقه لوقت سمح له بسحب عنقه من بين أناملها.. كان ليلقي العجوز الشمطاء في الخليج حينها.. لولا أن واتتها بعض القوة الجديدة، فعادت

لتقبض على عنقه بقوة ثانية.. هنا راح يقاتل بكل قواه، وأمسكت كفه بعنق الساحرة، وقبل أن تدرك ما يقوم به؛ كان قد لف سلسلة الصليب المعدنية حول رقبتها، وراح يضغطها بقوة حول عنقها لتموت، وفي لحظة كفاحها الأخيرة؛ شعر بمن يعض كاحله، وحين خفض بصره رأى (جنكن براون) وقد هرع لنجدتها.. ركله بقدمه بقوة، فاندفع المخلوق الضئيل في الهواء، وهوى وهو يصرخ داخل الخليج المظلم..

لم يعرف؛ هل قتل العجوز بالفعل أم لا؟.. لكنه ترك الجسد الهامد ليتهاوى على الأرضية.. بعدها استدار؛ ليرى فوق المنضدة العمل البشع المريع، فبينما كان منهمكًا في قتال الساحرة العجوز؛ ليمنعها من قتل الطفل بسكينها؛ اندفع (براون جنكن) نحو الصغير مستعينًا بمخالبه الشيطانية الحادة، وقام بقطع رسغ الطفل، فامتلأت الطاسة الموضوعة أسفل جسد الطفل ـ الخالي من الحياة ـ بالدماء..

هنا راح يسمع التراتيل الشيطانية لـ (السابات) قادمًا من بعيد.. علم أن الرجل الأسود لابد أن يكون بالجوار.. كان عقله مشوشًا تمامًا، وتمنى لو يسعفه عقله الباطن بالمعادلات الرياضية السليمة؛ ليخرج من هذا العالم المريع.. كان متأكدًا في تلك اللحظة؛ أنه داخل الغرفة العلوية المهجورة المحكمة الغلق الواقعة فوق حجرته تمامًا.. لكنه شك كثيرًا في إمكانية الهرب عبر السقف المائل، وحتى لو هرب من تلك الغرفة، فهل يجد نفسه في بيته أم يجد نفسه في قلب حلم جديد؟..

كان عقله عاجزًا تمامًا في ذلك الوقت عن تمييز ما هو حقيقي، وما هو غير حقيقي مما يحدث له.. ظلت الأصوات البعيدة للتراتيل الوحشية لاحتفالات (السأبات) تتردد في أذنه، وتذكر أن هذا هو الوقت المناسب لاستحضار كل الأشياء الملعونة التي لا إسم لها إلى عالمنا..

خشي في تلك اللحظة؛ أن يعود ثانية إلى الهاوية، وما بها من أشياء مخيفة، كما فكر؛ هل عليه أن يثق في غريزته؛ لتعيده لعالمنا الحقيقي ثانية؟.. كيف يتأكد أنه لن يجد نفسه لو استعمل معادلاته الرياضية فوق مكان آخر من الكون، أو يهوي في قلب الدوامة العظيمة من الفضاء اللانهائي؛ حيث يوجد (أزازوث)؟..

وقبل أن يفعل أي شيء؛ ذهب الضوء البنفسجي تاركًا إياه في ظلام معتم.. فكر برعب في الساحرة العجوز الميتة.. في كبيرة السحرة في الغابة التي لابد، وأنها قد شعرت بموت (كيزياه).. في الأناشيد المرعبة لليل (السأبات).. والنشيج المكتوم لـ (براون جنكن) في قلب الخليج، وفي نفس اللحظة وقبل أن يفارق الوعي؛ سمع أنينًا أخيرًا؛ أكثر وحشية ينبعث من أعماقٍ سحيقة.. راح النداء المريع يتردد بصورة تخطف القلوب:

(سوب نيجاراس .. الجدي ذو الألف ابن).

وجدوا (جيلمان) ملقى على أرضية حجرته قبل الفجر؛ حين راح يصرخ بجنون صرخات جذبت انتباه صاحب البيت، والرجل الكندي الفرنسي

و(مازورويكز) في وقت واحد.. بل وأيقظت الصرخة صديقه (ألوود)..
كان حيًّا بعيون مفتوحه تحدق في الفراغ.. لكنه لم يكن في وعيه.. كانت علامات الخنق المميتة مطبوعة على عنقه، وعلى كاحله الأيسر؛ كان هناك أثر عضة فأرٍ مربعة.. كانت ملابسه مجعدة بشكلٍ سيء.. بينما كان صليبه مفقودًا.. ارتعد (ألوود) وهو يخشى أن يفكر في ما قد يكون صديقه قد أقدم عليه أثناء سيره خلال نومه..

أرقدوا (جيلمان) النائم على الأريكة في حجرة (ألوود)، ثم أرسلوا في طلب الطبيب المحلي الذي حذروه من التفوه بأي شيء قد يسبب الإحراج لهم.. حقنه الطبيب بحقنتين أسفل الجلد؛ جعلت خلجاته ترتاح، وكأنما هو في نوم طبيعي..

خلال ذلك اليوم؛ راح المريض يفيق من وقت لآخر، وهو يهمهم بأحداث حلمه بصورة متقطعة لـ (ألوود).. كانت عملية مؤلمة، وكان ما حكاه (جيلمان) منذ البداية مربكًا، وغريبًا..

كانت أذنا (جيلمان) واللتان اكتسبتا في الفترة الأخيرة حدة سمع كبيرة؛ قد أصبحتا الآن صماءَ تمامًا، استدعى الطبيب على عجلة مرة أخرى، وحين فحصه قال؛ إن طبلتي أذني (جيلمان) قد تمزقتا بشدة، وكأنما قد تعرضتا لصوتٍ قوي خارج مقدرة البشر على الاحتمال.. لكن؛ كيف

يمكن أن يوجد مثل هذا الصوت دون أن تهتز جنبات البلدة كلها، حتى الوادي؟!.. هذا ما لا يعرفه الطبيب الأمين..

كتب (ألوود) الجزء الخاص به من القصة على الورق؛ كي يمكنه استعادته بسهولة كلما شاء.. أدرك كلا الشابين؛ أنه كان من الحماقة التورط في مثل هذا الأمر، واتفق كلاهما على مغادرة هذا المنزل القديم الملعون في أقرب فرصة.. تحدثت الصحف المسائية عن مهاجمة الشرطة قبل الفجر لبعض المحتفلين المشبوهين في الوادع الذي يقع خلف التل مباشرة، كما ذكرت؛ أن الحجر الأبيض هناك.. كان دومًا هدفًا للخرافات القديمة عبر العصور.. لم يقبض على أي احد، لكن بين الحشد الهارب؛ لمح بعضهم شخصًا زنجيًا مخيفًا. وفي عامود آخر ذكر التقرير؛ أنهم لم يعثروا على أي أثر للطفل المفقود هناك..

لكن تلك الليلة جاءت بالهول نفسه.. لن ينسى (ألوود) تلك الليلة ما عاش، واضطر إلى عدم الذهاب لجامعته طوال هذا الترم الدراسي نظرًا لإصابته بانهيار عصبي..

يومها؛ اعتقد أنه يسمع صوت قرض فئران في الجدران طوال الليل، لكنه لم يعر الأمر انتباهًا.. بعدها، وبعد أن شعر بالإنهاك الكامل هو و(جيلمان) واستسلما للنوم، بدأ الصراخ الرهيب.. قفز (ألوود) من مقعده كالمسلوع، وأضاء النور، ثم اندفع نحو أريكة (جيلمان).. كان

(جيلمان) يصدر من حنجرته أصواتًا غير آدمية، كما لو أنه يعاني ألمًا، وعذابًا لا يوصف.. كان يتلوى أسفل غطاء الفراش، وبدأت بقعة كبيرة من الدماء في الظهور على الغطاء..

تجاسر (ألوود) على لمسه؛ حين بدأ الصراخ، والتلوي في الانحسار تدريجيًا.. في نفس الوقت احتشد كل سكان البيت في مدخل الحجرة، بينما بعث صاحب البيت؛ زوجته لمهاتفة الطبيب.. صرخ كل شخصٍ في الحجرة؛ حين قفز أمامهم بغتة من أسفل الأغطية المضرجة بالدماء؛ مخلوق بدا كجرذ ضخم، وهرول عبر الحجرة صوب جحر الفأر الجديد..

وعندما وصل الطبيب، وبدأ في إزالة الأغطية المريعة.. كان (والتر جيلمان) ميتًا!..

كان من السهل تخمين؛ من قتل (جيلمان)؟.. كان هناك نفقًا شقه شيء ما في جسده حتى وصل إلى قلبه، والتهمه..

بعدها؛ كره صاحب البيت منزله، وأرقه فشله في تسميم الجرذان بالمنزل، وفي خلال أسبوع واحد؛ كان قد انتقل مع بعض سكان البيت القدامى إلى بيت قذر آخر، لكنه أحدث عمرًا من البيت القديم.. كان الشيء الأسوأ أثناء هذا؛ هو الجمود الذي أصاب (مازورويكز) والذي كان يئن في شبه غيبوبة، وهو يتمتم عن الشياطين الطيفية المريعة..

علموا بعد ذلك؛ أن (جو) في تلك الليلة اللعينة.. قد رقد لأسفل، وراح ينظر إلى جحر الفئران القرمزي الجديد الذي اتخذ مسارًا من الحائط القريب إلى أريكة (جيلمان)، وحتى من فوق الأريكة.. كان المسار واضحًا للأعين تمامًا.. كما كان هناك حفرة في الأرضية بين حافة السجادة وأحد الأعمدة.. هناك أكتشف (مازوروويكز) شيئًا بشعًا، أو لنقل أن هذا ما تصوره؛ لأنه لا أحد آخر قد يصدق ما رآه رغم شدة غرابة تلك الآثار.. كانت الآثار التي اقتفاها على الأرضية لا تشبه على الإطلاق آثار قوائم جرذٍ ما.. بل كانت آثار أربعة أيدٍ بشرية ضئيلة للغاية..

لم يؤجر البيت ثانية، وما أن تركه مالكه الأخير حتى صار خرابة آيلة للسقوط.. تجنبه الناس جميعًا؛ لسمعته القديمة المخيفة، وتلك الرائحة العفنة الجديدة التي راحت تنبعث من جدرانه، وقد خمن البعض؛ أنه ربما نشأت تلك الرائحة بسبب سم الفئران القوي الذي استعمله صاحب البيت في إبادة فئرانه.. صار البيت مصدر إزعاج حي لكل من حوله، وتتبع مسؤولو الصحة مصدر الرائحة في الجحور والثقوب، والجدران.. حتى وصلوا للغرفة العلوية المغلقة.. خمنوا؛ أنه لابد، وأن أعدادًا ضخمة من الفئران قد نفقت هناك.. لكنهم لم يحبذوا فكرة هدم الجدران للوصول لتلك الفئران، فقد اعتقدوا؛ أن الرائحة بلا شك سوف تزول مع الوقت..

في الواقع؛ ظلت الشائعات المحلية تتردد حول الحجرة العلوية، وما يدور فيها من أمور كريهة، وما ينبعث منها من روائح بشعة، وخاصة في يوم (السبات) في ليلة الأول من مايو، وفي النهاية؛ وُصم كبيت مسكون بالأشباح من قبل مفتش البنايات..

أما (ألوود) الذي كانت كل أفكاره حول ما حدث نوعًا من الخبال، فقد عاد لجامعته ثانية في الخريف التالي، ثم تخرج من الجامعة في شهر يونيو الذي تلاه، وحين عاد للمدينة كانت الثرثرة حول الأمر قد خفتت.. رغم كل التقارير التي راحت تتوالى عن رؤية أشباحٍ صاخبةٍ في ردهات البيت القديم، والتي كان واضحًا؛ أنها ستظل تحدث طالما ظل البيت قائمًا..

لم تظهر الساحرة القديمة (كيزياه) أو جرذها المدعو (براون جنكن) مرة أخرى بعد مقتل (جيلمان).

كان (ألوود) محظوظًا إلى حدٍّ ما؛ لأنه لم يكن هناك في (آرخام) في العام الأخير؛ لأن أحداثًا معينة حدثت، فتجددت الهمسات المتعلقة بالبيت القديم ثانية.. بالطبع سمع عن تلك الأحداث بعد ذلك، وراح يعاني من الأفكار السوداء، والهواجس القديمة.. لكن هذا ظل أفضل بكثير من أن يكون قريبًا في ذلك الوقت من تلك الأحداث؛ ليعايشها ثانيةً..

ففي مارس من عام **1931** حطمت عاصفة عنيفة؛ السقف المائل، والمدخنة الضخمة في منزل الساحرة القديم؛ ولهذا انهار الطابق العلوى في

فوضى من الألواح السوداء المغطاة بالطحالب، و الخشب النتن، ثم تهاوت الأرضية في دمار كامل.. لكن لم يهتم أحد بما حدث حتى انهار البيت بالكامل. حدث هذا في ديسمبر التالي؛ حينما بدأ بعض عمال القمامة في تنظيف غرفة (جيلمان) العلوية من الأنقاض التي تخلفت فيها..

وجدوا بين المخلفات والأنقاض؛ بعض الأمور الشنيعة التي دفعتهم لطلب الشرطة.. بعدها استدعت الشرطة القاضي، وبعض أساتذة الجامعات.. كان هناك بين الأنقاض عظامًا مسحوقة، ومتكسرة بشكل مريع، لكنه كان واضحًا؛ أنها عظامًا بشرية، وإن اختلف العلماء في تحديد عمرها الحقيقي.. كان واضحًا كذلك؛ أن تلك الغرفة العليا أعلى السقف المائل.. كانت محكمة الإغلاق كي لا يصل أي أحد إليها..

قرر الطبيب الشرعي؛ أن بعض العظام تخص أطفالاً صغارًا، كما كان هناك عظامًا بشرية حديثة لبعض المجهولين، بينما وجدوا كذلك عظامًا أخرى مكسوة بالملابس المتاكلة المتعفنة تعود لامرأة عجوز مقوسة الظهر.. كان هناك أيضًا بين الغبار؛ الكثير من العظام الصغيرة للغاية، والتي خمنوا أنها تعود لبعض الفئران..

وجدوا أيضًا بين الأنقاض؛ بعض القصاصات المهترئة لبعض الصحف القديمة والكتب.. مختلطة بغبارٍ أصفر لبعض الكتب العتيقة التي تحللت

تمامًا.. كانت كل الكتب، والصحف بلا استثناء متعلقة بشؤون السحر في أبشع صوره..

كان اللغز الأكبر هنا؛ هو لغز الكتابة القديمة المعقدة، والتي وجدت فوق مجموعة كبيرة من الأوراق، والتي كانت حالتها، والعلامات المائية على سطحها تشي بأن عمرها يتجاوز القرن، والنصف أو القرنين من الأعوام، وكان هناك تلك الأشكال غريبة الشكل والتكوين، والتي حيرت العلماء تمامًا، وقد فشلوا في إدراك أي شيء عنها.. كان من بينها تمثال غريب مصنوع من حجارة زرقاء اللون بدلاً من المعدن، وعلى سطحه الكثير من الكتابات الهيروغليفية الغامضة، والذي كان يشبه إلى حد ما ذلك التمثال الذي أهداه (جيلمان) لمتحف الجامعة..

ومازال كل من علماء الآثار، وعلماء الإنسانيات في عمل دؤوب لحل سر تلك الأشكال الغريبة، وتلك الطاسة المعدنية المحطمة خفيفة الوزن، والتي وجد بداخلها صبغة داكنة مريعة..

تحدثت الجدات المسنات، وبعض غريبوا الأطوار على حد سواء، عن سر ذلك الصليب المعدني الحديث؛ المصنوع من النيكل، والذي وجد بين الأطلال المتهدمة، وارتعد (مازورويكز) حين شاهده، وهو يتذكر أنه هو نفسه الصليب الذي أعطاه لـ (جيلمان) قبل أعوام.. لكنه حاول أن يطمئن نفسه بأن خمن؛ أنه لابد قد سحب لأعلى بواسطة الفئران، لكنه

بداخله –وكما آمن آخرون– كان يؤمن أن ذلك الصليب كان في تلك الغرفة اللعينة بوسيلة أخرى شريرة..

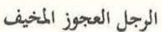
وعندما هوى الحائط المائل، وتقوض.. كان الكل بانتظار أبشع شيء ممكن.. كانت المساحة خلف الحائط؛ تعج بالكثير من عظام الأطفال المقتولة.. بعضها كان قديمًا للغاية، وبعضها حديثًا بصورة تثير الرجفة في الأفئدة، وحين حدث انهيار آخر؛ عثروا على سكين كبير عجيب التكوين بين الأنقاض.. كان واضحًا أنه ينتمي لعصورٍ سحيقة قديمة، وكانت تغمره نقوش، ورسوم غامضة غريبة..

ووسط كل تلك الأنقاض.. كان هناك شيئًا مخبأ؛ وجد بين الألواح المتهاوية، والكتل الحجرية للمدفأة المخربة.. أتى هذا الشيء بالحيرة والخوف والرهبة، وثرثرة المؤمنين بالخرافات بصورة واسعة في جنبات (آرخام) أكثر من أي شيء آخر وجد بين الأنقاض الملعونة المسكونة..

كان هذا الشيء؛ هو هيكل عظمي مسحوق لجرذ ضخم مريض، والذي ظل الأمر العجيب فيه مصدر جدال، وتكتم بين أعضاء قسم التشريح المقارن في جامعة (ميسكاتونك)، وما تسرب للعامة بشأن هذا الهيكل الغامض من تفاصيل كان أقل القليل.. لكن العامل الذي وجده؛ راح يتكلم بصوتٍ مخنوق من الصدمة عن الشعر الأسود الطويل الذي كان عليه..

كانت عظام الكف الضئيلة للهيكل العظمي؛ تشبه إلى حد كبير عظام قرد ضئيل أكثر منها لجرذ.. بينما حملت الجمجمة الصغيرة بأنيابها الصفراء الوحشية الغرابة كلها.. كانت تبدو من ناحية معينة كمحاكاة مصغرة، وبشعة لجمجمة إنسان..

قال العمال؛ أنهم شعروا بالفزع الرهيب فور أن ظهر الهيكل أمام أعينهم، ولاحقًا ذهبوا إلى الكنيسة وأشعلوا الشموع امتنانًا؛ لأن تلك الضحكات الشبحية الساخرة لن تتردد بعد الآن في البيت الذي تهدم..


الرجل العجوز المخيف

خطط (أنجلو ريكسي) و(جو كازنيك) و(مانويل سيلفيا)–وبعد قليل من التردد– لزيارة ذلك الرجل العجوز المخيف..

عاش ذلك الرجل العجوز طوال الوقت؛ وحيدًا في منزل قديم للغاية في شارع (ووتر ستريت) بالقرب من البحر، وكان كل من في البلدة يعرف أن هذا العجوز الواهن كان شديد الثراء.. مما خلق موقفًا جذابًا جدًّا لرجال ذوي مهن خاصة مثل (ريكسي، كازنيك وسليفا) والتي لا مهنة في رأيهم جليلة قدر السرقة ! ..

ردد أهالي (كنجز بورت) الكثير من الخرافات المتعلقة بالرجل العجوز، وتحاشاه الجميع في رهبة مما جعله في مأمن من انتباه رجال كالسادة ريكسي ورفاقه.. رغم أن الحقيقة المؤكدة للجميع؛ أنه كان يخفي ثروةً هائلةً في مكان ما من مسكنه القذر المهيب..

في الحقيقة؛ كان الرجل شخصًا غريبًا جدًّا، واعتقد البعض أنه كان ربان إحدى السفن الشراعية المملوكة لشركة الهند الشرقية في شبابه. كانت تلك الذكرى قديمة للغاية؛ ليتذكرها أي امرئ عاصر ذلك العجوز في شبابه. وكان الرجل العجوز كذلك انطوائيًا قليل الحديث، حتى أنه لم يعرف اسمه الحقيقي إلا قلة من الأهالي..

احتفظ العجوز بين أجمة الأشجار الامتشابكة القبيحة، الموجودة في الباحة الأمامية لمسكنه القديم المهمل، بمجموعة غريبة من الأحجار

الضخمة.. نسقها بغرابة وطلاها حتى بدت، وكأنها أصنام معبد شرقي غامض.. هذه الأحجار المخيفة كانت من أبقاه بعيدًا عن متناول الأطفال الذين كان يحلو لهم التهكم على الشعر الأبيض الطويل للرجل العجوز، ولحيته الشعثاء.. كما أن الخوف من شكلها؛ منعهم من تكسير نوافذه المحرمة عليهم بقذائفهم الشريرة..

لكن أمورًا أخرى غير تلك التماثيل؛ هي ما أرهبت من هم أكبر سنًّا، والفضوليين من العامة الذين كانوا يختلسون النظر للمنزل عبر النوافذ المتربة.. تحدث هؤلاء الفضوليون عن تلك الزجاجات الغريبة، والموضوعة على الطاولة في الغرفة الخاوية في الطابق الأرضي.. قرر الجميع؛ أنهم رأوا في فوهة كل زجاجة من تلك الزجاجات؛ قطعةً صغيرة من الرصاص معلقة بالخيط مثل البندول، وراحوا يتهامسون عن الرجل العجوز الذي اعتاد الحديث إلى تلك الزجاجات، وكيف كان يدعوهم بأسمائهم مثل (جاك، وسكار فيس، وطوم الطويل، وجو الإسباني، وبيتر، ومات إليس) ! .. وكيف أن البندول الرصاصي المعلق بالزجاجات كان يصدر اهتزازات معينة؛ حين كان يتحدث إلى الزجاجات، كما لو أنه يجيب عليه ! ..

هؤلاء الذين شاهدوا الرجل العجوز المخيف، وهو يقوم بتلك المحادثات الغريبة.. لم يفكروا في تكرار محاولة التلصص عليه ثانية.. لكن (أنجلو ريكسي، وجو كازنيك، ومانويل سيلفيا) لم يمتلكوا دماء أهالي (كنجز بورت)، ولهذا، فقد رأوا في الرجل العجوز؛ مجرد مسن واهن بلحية

شهباء، لا يمكنه المشي دون مساعدة عصاه المعقودة، كما ترتعش كفه النحيلة الضعيفة بوهن طوال الوقت..

لكنهم رغم هذا؛ شعروا ببعض التوتر، وهم في طريقهم نحو العجوز الانطوائي الغير محبوب، الذي يتجنبه الجميع وتنبح الكلاب طويلاً أمام بيته أو حين تراه..

لكن العمل هو العمل رغم كل شيء !!!

كان هناك سحرًا ما، وتحديًا أمام هؤلاء اللصوص نحو الرجل العجوز الضعيف الذي لا يمتلك حسابًا مصرفيًا في البنك، والذي كان يدفع مقابل أغراضه القليلة التي يشتريها من متجر القرية؛ عملات إسبانية ذهبية وفضية؛ صكت قبل قرنين من الزمن..

ضرب السادة (ريتشي، وكازنيك، وسيلفيا) ليلة الحادي عشر من إبريل موعدًا للقيام بعمليتهم.. سوف يذهب السيد (ريكسي)، والسيد (سيلفا) إلى السيد العجوز المحترم؛ ليتحدثا إليه.. بينما سوف ينتظرهم السيد (كازنيك) مع أغراضهم داخل سيارة مغطاه في شارع (شيب ستريت) بالقرب من بوابة الحائط الطويل لمنزل مضيفهم؛ كي يتفادوا أي تساؤلات لا ضرورة لها، لو باغتهم أحد رجال الشرطة، واحتاج الأمر لانسحاب غير ملفت..

وكما رُتب سابقًا؛ تحرك المغامرون الثلاثة كل على حدة؛ كي يتفادوا إثارة الشكوك الشريرة نحوهم، ثم تقابلوا في شارع (ووتر ستريت) أمام بوابة الرجل العجوز الأمامية.. لم يحبوا الطريقة التي أشرق بها القمر على الأحجار الملونة من خلال أغصان الشجرة الشائكة، لكن كان لديهم أمورًا أكثر أهمية من مجرد التفكير في خرافات معطِلة..

فكروا أن إرغام العجوز على الثرثرة بشأن كنوزه الفضية، والذهبية.. لن يكون عملاً ممتعًا.. خاصة، وأن البحارة يمتازون عادة بالتحفظ والعناد.. لكنه رغم هذا مجرد عجوز مسن ضعيف لأقصى حد، كما أن السيد (ريتشي) والسيد (سيلفا) كانا خبيرين في كيفية إطلاق ألسنة الأشخاص الغير متعاونين، كما كان بإمكانهما بسهولة؛ إخفاء الصرخات الضعيفة المتوقعة للرجل المهيب..

لهذا، فقد انطلقا بحسم نحو النافذة المضيئة، وسمعا العجوز يتحدث بطريقة طفولية لزجاجاته ذات البندول.. بعدها ارتديا قناعيهما، ثم طرقا بلطف الباب البلوطي العتيق..

طال انتظار السيد (كازنيك) حتى بدأ يتململ بقلق داخل السيارة المغطاة المنتظرة بجوار البوابة الخلفية للرجل العجوز في شارع (سيب ستريت) كان متوترًا بصورة أكثر من المعتاد، ولم يحب أبدًا تلك الصيحة القبيحة التي انطلقت داخل بيت العجوز، بعد ساعة من بداية العمل..

ألم يطالب زملاءه؛ أن يكونوا أكثر لطفًا مع رجل البحر العجوز البائس؟! وبعصبية راح يتطلع إلى الباب البلوطي الضيق في الحائط الحجري المغطى بأجمة اللبلاب، ومن حين لآخر يتفقد ساعته، وهو يتعجب من كل هذا التأخير..

هل مات العجوز قبل أن يفصح؛ أين خبأ كنزه؟.. وهل كان البحث في كل أنحاء البيت ضروريًا؟..

في الحقيقة، لم يحب السيد (كازنيك) الانتظار بمفرده في الظلام في مثل هذا المكان المنذر..

بعدها شعر بخطوة أو طرقه خفيفة في الممشى داخل الباب، ثم سمع صوت كف يتحسس المزلاج الصدئ ويزيحه.. هنا رأى الباب الضيق الثقيل ينفرج للداخل، وعلى الضوء الشاحب للمصباح الضعيف الوحيد في الشارع.. ضيق من مقلتيه ليرى؛ ما الذي سوف يخرج به زملاؤه من البيت الشرير؟. .

لكنه عندما دقق النظر؛ لم ير ما توقعه.. لم يكن أي من رفاقه هناك على الإطلاق.. فقط؛ برز الرجل العجوز المخيف من البيت، وهو يتكئ على عكازه المعقود، وعلى وجهه تتراقص ابتسامة مخيفة.. لم يلاحظ السيد (كازنيك) من قبل عينا الرجل العجوز، لكنهما كانتا في تلك اللحظة صفراء..

في المدن الصغيرة؛ تصنع الأحداث الصغيرة جلبةً عظيمة، وكان هذا السبب في أن أهالي (كنجز بورت) ظلوا يتحدثون طوال فصلي الربيع والصيف عن الجثث الثلاث المجهولة، والتي مُزقت بشكل مريع بواسطة سيوف بحرية كثيرة.. رددوا بعجب كيف شُوهت معالمها بوحشية كما لو كانت قد دهست بكعوب أحذية قاسية غسلها المد..

تحدث البعض عن أشياء غامضة أخرى، مثل السيارة المهجورة التي وجدت في (شيب ستريت)، والصرخات الغير آدمية التي ربما أطلقتها الطيور المهاجرة أو الحيوانات الضالة في تلك الليلة، والتي سمعها المواطنون الذين كانوا مستيقظين حينها..

لكن الرجل العجوز المخيف.. لم يطاله شيئًا من ثرثرة تلك القرية العاطلة، فبالطبيعة كان متحفظًا، والمرء حينما يصير مسنًّا ضعيفًا؛ يتضاعف تحفظه ويصير أكثر صلابة.. أضف إلى هذا؛ أن قبطان البحر العجوز للغاية لابد، وأنه قد شهد الكثير من الأشياء الأكثر إثارة في أيام شبابه الغارب البعيد..

القطط في ألزار

يقال؛ أنه في بلدة (ألزار) والتي تقع وراء نهر سكاي.. لا يمكن للمرء أن يقتل قطًا..

كنت أفكر في هذا، وأنا أحدق في ذلك القط الجالس أمامي، وهو يخرخر أمام النار.. كنت أفكر في ما تحمله القطط من قوى غامضة، وأسرار مثيرة.. لقد شهدت القطط أسرار الفراعنة القدماء، وعرفت حكايات المدن المنسية.. إنها سليلة سادة الغابات، وحاملة أسرار الأدغال الإفريقية القديمة الشريرة.. إن أبا الهول هو ابن عمها، لكنها كانت أكثر قدمًا من أبي الهول، وما زالت تذكر ما قد نساه..

وفي بلدة (ألزار) وقبل أن يحرم المواطنين قتل القطط؛ عاش العجوز (كوتر) وزوجته.. كان الزوجان مغرمين باصطياد قطط الجيران وسلخها.. لكن؛ لماذا كانا يفعلان هذا؟.. فهذا ما لا أعرفه !..

هل كانا من هؤلاء البشر الذين يكرهون سماع أنين القطط في جوف الليل؟! أم كان يسوءهم تسلل القطط خلسة في الأفنية، والحدائق حين الغسق ؟!

لكن، ومهما كان السبب، فقد كان يبهجهما اصطياد كل قطة تدنو من كوخهما قبل ذبحها وسلخها، ورغم الأصوات الشنيعة التي كانت تنبعث في الظلام القادمة من الكوخ القديم، ورغم كل حوادث القتل الغريبة؛ إلا أن أحدًا من الأهالي؛ لم يفكر في مراجعة هذا الأمر مع الرجل العجوز أو زوجته.. ربما كان سبب هذا؛ ذلك التعبير الجامد المخيف الملتصق دومًا بوجهيهما المسن العابس..

كان منزل العجوزين مجرد كوخٍ قذر صغير؛ يقبع في الظلام المعتم لأيكة من أشجار البلوط المتشابكة بالقرب من الغابة المهجورة..

في الواقع؛ خشي أغلب أصحاب القطط؛ هذين الزوجين المخيفين.. أكثر من كراهيتهم لهم، واتخذ الأهالي كل الحيطة؛ كي لا يدنو أي من حيواناتهم الداجنة الأليفة.. من كوخ العجوزين القابع أسفل الأيكة المظلمة..

وعندما كان أحدهم يفقد أحد قططه، ثم تنبعث الصرخات المريعة بعدها من الكوخ في الظلام، هنا لا يكون أمام هذا الخاسر؛ إلا أن يلوم نفسه بصورة عقيمة، أو يواسي نفسه بأن يشكر الله أن أحداً من أبنائه؛ لم يكن من اختفى..

لقد امتاز أهل البلدة القرويون بالسذاجة والبساطة؛ ولهذا لم يتوقفوا طويلاً أمام ما يحدث !!!

وفي أحد الأيام؛ هبطت بالبلدة قافلة من الغجر الرحل القادمين من الجنوب.. إمتاز هؤلاء الرحل الغرباء بممارسة فنون السحر، والشعوذة بخلاف رجال السيرك المتجولين الذين يمرون بالقرية مرتين في كل عام.. هبطوا إلى السوق، وهناك راحوا يقرءون الطالع مقابل الفضة؛ قبل أن يبتاعوا الخرز الملون من تجار البلدة بتلك الفضة..

ما هو موطن هؤلاء الغجر؟.. لا أحد يعرف.. لكنهم كانوا يقومون، كما شهد الجميع؛ بصلوات غريبة مريبة، كما أنهم رسموا على جوانب عرباتهم صورًا مخيفة لأجسادٍ آدمية تحمل رؤوس قطط، وصقور وأكباش وأسود.. بينما ارتدى زعيمهم قبعة رأس بقرنين، وقرصًا عجيبًا يتوسط القرنين..

وفي تلك القافلة الغريبة؛ كان هناك ولدًا ضئيلاً يتيمًا.. وكان ذلك الولد يملك هرةً صغيرة سوداء.. كان الطاعون قاسيًا للغاية معه، فذهب بكل عائلته، ولم يترك له إلا ذلك الحيوان الضئيل ليخفف من حزنه.. كان ذلك الولد صغيرًا للغاية حينها، ولهذا وجد السلوى في المرح، واللعب مع قطه الصغير هذا..

أطلق هؤلاء الغجر الغرباء على الطفل اسم (مينيس) واعتاد أهالي البلدة على رؤية الطفل مبتسمًا، وهو يمرح مع هرته الرشيقة على درجات سلم العربة الخشبية الملونة بغرابة..

وفي اليوم الثالث من مجيء هؤلاء الرحل إلى (ألزار) فقد (مينيس) هرته، وعندما ارتفع نشيجه وبكاؤه في السوق؛ أخبره بعض القرويين بأمر الرجل العجوز وزوجته، وحدثوه عن الأصوات الغريبة التي تنبعث في الليالي التي لا قمر لها من كوخ العجوزين، وعندما سمع الطفل هذا؛ توقف نشيجه على الفور، وبرقت عيناه في غضب، وتصميم.. قبل أن يرفع ذراعيه نحو الشمس، ويصلي بلغة لم يفهمها أي قروي..

لم يهتم أحد من الأهالي بما يردده الفتى من تراتيل غامضة، فقد شغلهم في تلك اللحظة ما حدث في السماء فوق رؤوسهم.. راحت السحب تحتشد، وهي تتخذ أشكال وحوشٍ مخيفة غاضبة.. بدا، وكأنها كانت تحتشد في الفضاء كاستجابةٍ لتضرعات، وصلوات الفتى الحزين اليتيم..

وفي تلك الليلة؛ غادر الغجر البلدة، ولم يرهم أحد في البلدة ثانية، وفي نفس الليلة؛ أزعج الأهالي اختفاء كل القطط في البلدة.. فارقت كل القطط أماكنها حول المواقد المشتعلة.. غابت كل القطط عن الأعين؛ الكبيرة والصغيرة، السوداء والرمادية، الصفراء والبيضاء..

أقسم العجوز (كرانون) - رئيس البلدة - أن هؤلاء الرحل الغامضين؛ قد أخذوا كل قطة معهم كانتقام لمقتل هرة (مينيس)، قبل أن يلعن القافلة المخيفة، ثم لعن الولد الصغير..

لكن (نث) كاتب العدل؛ أكد أن (كوتر) العجوز وزوجته؛ هما على الأرجح المشتبه الأول في تلك الواقعة، فمن ينسى سمعتيهما السيئة جدًّا في كراهية القطط، واصطيادها..

ورغم هذا؛ لم يشكُ أحدًا هذا الزوج الشرير.. حتى عندما أقسم (آتال) الصغير - ابن صاحب الحانة - أنه شاهد وقت الغسق؛ كل قطط (ألزار) وهي تتحرك ببطء شديد، وتحوم في دوائر حول كوخ العجوزين المظلم.. رأي يردد أن القطط كانت تسير في أزواج.. كل قطين معًا، كما لو كانوا يؤدون طقوسًا للوحوش؛ لم يسمع بها أحد من قبل..

ارتاب الأهالي في كلمات هذا الطفل الصغير للغاية، رغم أنهم شكوا في أن يكون هذا الزوج الشرير؛ قد سحرا كل القطط؛ ليقودوها لهلاكها، حتى أن بعضهم فكر في استجواب (كوتر) العجوز؛ حين يكون بعيدًا عن كوخه المظلم البغيض..

خلدت البلدة يومها للنوم في غضبٍ مكتوم، وعندما استيقظ الناس في الفجر؛ كانت كل قطة قد عادت إلى مكانها المعتاد حول المواقد.. القطط الكبيرة والصغيرة، السوداء الرمادية، الصفراء والبيضاء.. لا واحدة كانت مفقودة.. ظهرت كل القطط ناعمةً جدًّا، وسمينةً جدًّا، وهي تخرخر بصوتٍ رنان..

تحدث كل شخصٍ مع الآخر عن الأمر بدهشةٍ كبيرة، وأصر (كرانون) العجوز ثانية؛ أن الغجر الأشرار هم من أخذهم؛ لأنه لم تعد قطة من كوخ الرجل العجوز وزوجته حية..

كان الغريب في الأمر؛ أن كل القطط حين عادت رفضت تناول نصيبها من اللحم أو اللبن، وليومين كاملين لم تقرب قطط (ألزار) الطعام، واكتفت بالغفوة بجوار النار أو في دفء الشمس..

بعدها احتاج الأمر لأسبوعٍ كامل؛ كي يدرك القرويون؛ أنه لا ضوء ينبعث من نوافذ الكوخ أسفل الشجرة، وأشار (نيث) أنه لا أحد قد رأى الرجل العجوز أو زوجته منذ الليلة التي اختفت فيها القطط، وفي الأسبوع التالي؛ قرر رئيس البلدة أن يقهر مخاوفه، وأن يقوم بواجبه، وأن يزور الكوخ بنفسه؛ ليطمئن على العجوزين..

لكنه تمسك بالحذر رغم هذا، واصطحب معه (شونج) الحداد، و(سول) قاطع الأحجار؛ ليتخذهما كشاهدين، وعندما هشما الباب المتداعي؛ وجدوا هيكلين عظميين ممددين على الأرض، وقد تم تنظيف عظامهما البيضاء من اللحم تمامًا، كما شاهدوا بجوار الهيكلين؛ بعض الخنافس السوداء التي سرعان ما توارت في زاوية مظلمة؛ حين سقط عليها الضوء..

بعدها؛ كان هناك الكثير من الثرثرة عن حقيقة ما حدث بين مواطني (ألزار).. تجادل القاضي (زاث) طويلاً مع كاتب العدل (نيث)، وغمر الأهالي (شونج)، و(سول) بالأسئلة. وحتى (آتال) الصغير ابن صاحب الحانة أُستجوب بالتفصيل، ثم منح الحلوى كمكافأة..

تحدثوا عن (كوتر) العجوز وزوجته، وعن الغجر الرحل المخيفين، وعن (مينيس) الصغير وهرته السوداء، وتجادلوا كثيرًا في صلاة (مينيس) وما كانت عليه السماء أثناء الصلاة، وعن اختفاء القطط في الليلة التي غادر فيها الغجر البلدة، وما وجد لاحقًا في الكوخ أسفل الشجرة المظلمة في الساحة البغيضة..

وفي النهاية؛ أقر المواطنون هذا القانون الرائع، والذي نقل خبره تجار بلدة (هالزج) وتحدث به المسافرون في بلدة (نير)..

القانون القائل:

" لا يمكن للمرء أن يقتل قطًّا في ألزار"

المدينة التي لا إسم لها

حين دنوت من المدينة التي لا إسم لها، كنت أعرف أنها بالفعل ملعونة.. كنت أجتاز حينها واديًا مقفرًا تحت ظل القمر؛ حين لاحت المدينة من بعيد بشكل مريب فوق الرمال كأشلاء جثة برزت من قلب مقبرة متهدمة.. همس الخوف الرابض في قلب الأحجار التي أبلاها الدهر - والتي كانت الناجي الوحيد من زمن الطوفان - في أذني لتنذرني، وراحت أشباح غير مرئية تصدني، وتدفعني؛ للتراجع مبتعدًا عن تلك الأسرار القديمة الشريرة التي لا يجب أن يراها أي بشري، أو حتى يفكر في التفتيش عنها..

وهناك، وبعيدًا جدًّا في قلب الصحراء العربية الموحشة؛ كانت المدينة التي لا إسم لها تقبع منهارة متهالكة، وقد وارت رمال القرون التي لا حصر لها جدرانها المنخفضة.. كانت المدينة هناك في مكانها قبل وضع أول حجر في (ممفيس) وقبل أن تحرق أول لبنة في (بابل) وقبل أن يشيد سور الصين العظيم..

لم تكن هناك أي أسطورة أقدم من أسطورة تلك المدينة، ولا يتذكر أحد؛ متى كانت تلك المدينة حية آخر مرة؟.. لكن الهمسات المرتجفة ظلت تتردد عنها حول النيران من أفواه الجدات أمام خيام الشيوخ في قلب الصحاري.. كانت الحكايات عنها منذرة وغامضة ومخيفة، وكان

الاقتراب منها مقترنًا بالموت في كل مرة؛ ولهذا ظلت القوافل تتجنبها من غير أن يعرف أحدهم سبب هذا..

كانت تلك المدينة؛ هي المكان الذي حلم به ذلك الشاعر العربي القديم المجنون (عبدالله الحظرد) في تلك الليلة التي سبقت إنشاده أبيات شعره الغير مفهوم..

إنه ليس ميتًا ذلك الراقد في الأبد السرمدي..

وبفناء الدهر الغريب يطوله الموت الأبدي..

كان علي أن أفهم؛ أن للعرب أسبابهم القوية؛ لتجنب تلك المدينة التي لا إسم لها.. تلك المدينة التي تحكي عنها الخرافات، ولم يرها أي إنسان حي، ورغم كل هذا تحديت تلك الخرافات، وانطلقت فوق أحد الجمال في الصحراء، متتبعًا أثر تلك المدينة التي لم تطأها قدم منذ قرون كثيرة.. كنت بمفردي حين رأيتها تقترب، وكنت هناك بمفردي حين واجهت الذعر في جنباتها وأسفل سطحها..

كانت غارقة في السكون المميت لنومها الأبدي حين بلغتها، وبدا وكأنها تنظر نحوي ببرودٍ في قلب الصحراء الملتهبة؛ الرابضة بصمت أسفل آشعة القمر الباردة، وحين بادلتها النظر؛ ذهبت نشوتي بالعثور عليها، وحل في

صدري خوف مبهم، فظللت في مكاني خارجها برفقة بعيري؛ في انتظار بزوغ الفجر..

انتظرت لساعاتٍ طوال.. حتى صار الأفق رماديًا، وذهبت النجوم، ثم مكثت بعدها حتى صار اللون الرمادي ضوءً ورديًا مصبوغًا بالذهب.. سمعت حينها صراخًا مكتومًا كالأنين يشق العدم، ثم رأيت عاصفةً رملية تثور بين الأحجار العتيقة؛ رغم أن السماء كانت صافية.. بعدها ومن فوق الحافة البعيدة للصحراء؛ برز القرص المشتعل للشمس.. هنا بدأت العاصفة الصغيرة في الخمود.. كان مشهدًا أخاذًا، وفي تلك الحالة من النشوة التي غمرتني؛ تخيلت وكأنني أستمع لموسيقى كونية غامضة تُعزف؛ للترحيب بالقرص الناري للشمس التي ترسل تحيتها لتمثال ممنون على حافة النيل كل صباح..

أرهفت السمع، وشحذت خيالي.. بينما رحت أقود البعير ببطء فوق الرمال نحو ذلك المكان الساكن.. ذلك المكان الذي لم يره امرؤ حي غيري..

رحت أتجول بين الأطلال الغريبة، والدروب المغمورة بالرمال جيئةً وذهابًا؛ دون أن أعثر على نقشٍ أو أثرٍ يحدثني عن مجدها التليد، وبشرها الذين عمروها في يوم ما.. هذا بالطبع لو كان الذين شيدوا تلك المدينة، وسكنوها منذ عهد سحيق من البشر.. رحت أتجول فيها لوقت طويل؛

عسى أن أجد أي دليل على أنه؛ كان هناك من سكن تلك الخرائب يومًا في قديم الزمن..

في الواقع؛ لم أحب شكل أو أبعاد تلك الأطلال المهجورة.. كان هناك خطئًا ما في تصميمها الذي أراه.. خطئًا لم أتبينه في البداية..

كنت قد أحضرت معي بعض أدوات الحفر.. فرحت أنقب بها في جدران البيوت المتهدمة لوقتٍ طويل.. لكني رغم هذا؛ لم أعثر على أي شيء ذا بال، وعندما هبط الليل والقمر؛ شعرت بهبة من رياح باردة أصابت قلبي بالخوف من جديد.. كان من المستحيل؛ أن أمكث في تلك المدينة بمفردي في هذا الظلام، وقد تملكني الخوف هكذا، فقررت التوقف عن العمل، ومغادرتها حتى الصباح في الحال..

وبينما شرعت في مغادرة الأطلال القديمة؛ لأبحث عن مكان خارجها أنام فيه.. تكونت عاصفة رملية جديدة خلفي، وراحت تثور وتضرب الصخور الرمادية بعنف؛ رغم أن القمر كان ساطعًا، وكانت كل الصحراء من حولي ساكنةً تمامًا..

استيقظت في الفجر بعد ليلة سوداء من الأحلام المريعة، وفي أذني طنين حاد، كما لو أن ضجيجًا معدنيًا حادًا؛ ظل يضربهما طوال الليل، ومن مكاني رأيت الشمس، وهي تصبغ الأفق بحمرتها.. كما كانت هناك

عاصفةٍ رمليةٍ محدودة، كانت تثور حول المدينة التي لا إسم لها.. بينما رقد باقي المشهد كله في سكون كسول..

ومرة أخرى؛ غامرت بالدخول وسط الخرائب التي انتفخت أسفل الرمال مثل غولٍ قديم يرقد أسفل أغطية الفراش، ورحت أنقب ثانية عن ذلك الجنس المنسي. ومرة أخرى؛ انتهى البحث بلا نتيجة ملموسة..

في الظهيرة؛ خلدت للراحة، وقرب العصر، وبعد أن أصبت بعض الطعام؛ رحت أتجول في المكان كله، وأنا أتتبع الجدران والشوارع الغابرة، والحدود الخارجية للبنايات المغمورة بصورةٍ شبه كامله أسفل الرمال..

اكتشفت؛ أن المدينة كانت هائلة في الواقع، ورحت أتساءل عن سر عظمتها هذه.. رحت أتخيل تلك الروعة لعهد منسي موغل في القدم، وأنا أنشد تلك الآثار العتيقة التي وجدت قبل وجود البشر أنفسهم..

وفي النهاية؛ بلغت مكانًا ترتفع فيه قاعدة صخرية فوق الرمال، شكلت منحدرًا منخفضًا؛ حيث رأيت في فرحةٍ ما يبشرني بالمزيد من الآثار الأخرى لهذا الشعب العريق.

فهناك وفي واجهة هذا المنحدر؛ بدت واجهات العديد من المنازل، والمعابد الحجرية المنحوتة، والتي من المتحمل أن تكون قد احتفظت في

داخلها بالكثير من الأسرار المجهولة، وقد محت العواصف الرملية كل أثرٍ أو نقشٍ في تلك الأطلال من الخارج منذ وقت طويل..

كان مستوى كل الفتحات المظلمة بالقرب مني منخفضًا للغاية، كما كانت مختنقة بالرمال.. أزلت الرمال عن واحدة من تلك الفجوات، ورحت أزحف عبرها للداخل حاملاً مشعلاً ناريًا. وعندما صرت بالداخل؛ أدركت أن المكان كان في الحقيقة معبدًا.. حمل المكان بعض الدلالات البسيطة عن الجنس الذي عاش، وتعبد هنا في الصحراء قبل أن تصبح صحراء..

كان هناك مذابح بدائية، وأعمدة ومحاريب، وكلها كانت منخفضة السقف بشكلٍ غريب، ورغم أنني لم أجد أي نحت أو نماذج من الجص على الجدران؛ إلا أنه كان هناك، الكثير من الأحجار الغريبة تم نحتها على صورة تكويناتٍ غريبة بوسيلة صناعية.. كان المستوى المنخفض للحجرة المحفورة في الصخر غريبًا للغاية.. حتى أنني بصعوبةٍ رحت أتحرك، وأنا شبه راكع، لكن المكان كان واسعًا للغاية.. حتى أن ضوء المشعل لم يصل لنهايته..

ارتجفت بدهشة، وأنا أتفقد بعض الأركان البعيدة.. كانت المذابح، والأحجار هناك توحي بأن هذا المكان؛ شهد مناسك منسية ذات طبيعة

فظيعة، ومثيرة للغثيان.. مما جعلني أتساءل؛ أي نوع من الرجال هذا الذي شيد، وتردد على مثل هذا المعبد؟!..

وعندما رأيت كل شيء بالمكان؛ زحفت للخارج مرةً أخرى متعطشًا لارتياد مكانٍ آخر..

كان المساء يقترب في تلك اللحظة.. لكن الأشياء الملموسة التي رأيتها أججت فضولي، وذهبت بخوفي؛ ولهذا فلم أهرب هذه المرة من المدينة حين جن المساء، وعلى ضوء الغسق؛ نظفت فتحة أخرى؛ وباستخدام مشعلٍ آخر؛ زحفت نحو الفتحة الجديدة.. كان هناك المزيد من الأحجار، والرموز الغامضة.. لكن لا شيء هنا أضاف إلي المزيد عما رأيته في المعبد الآخر.. كانت الغرفة منخفضة كحجرة المعبد، لكنها أقل اتساعًا بكثير من الحجرة الأخرى، وكانت تنتهي بممر ضيق للغاية محتشد بالأضرحة الغامضة..

كنت أتأمل تلك الأضرحة؛ عندما وصلتني ضوضاء الرياح، وصوت الجمل المتوتر بالخارج.. كسرت تلك الضوضاء السكون السرمدي حولي، ودفعتني للصعود لأعلى؛ لأرى ما الذي أصاب الجمل بالذعر؟..

كان القمر مشرقًا فوق الخرائب البدائية، وعلى ضوءه ظهرت غيمةً كثيفةً من الرمال التي كانت الرياح القوية الباردة تحركها على طول المنحدر أمامي.. أدركت أن تلك العاصفة الرملية الباردة؛ هي ما أثارت

ذعر جملي، وكنت على وشك التحرك به نحو ملجأ أفضل؛ حين نظرت لأعلى لأكتشف أنه لم يكن هناك أي أثر لتلك الزوبعة فوق الهاوية..

أربكني هذا، وتواثب الفزع في قلبي ثانيةً.. لكنني على الفور تذكرت تلك الرياح التي تنبعث، وتخمد فجأة عند شروق الشمس، وغروبها في خرائب هذه المدينة، وحدثت نفسي أن هذا الأمر ربما كان ظاهرة طبيعية في المكان.. خمنت أن تلك الريح ربما جاءت من قلب بعض الشقوق الصخرية المتصلة بكهف ما.. ولأتأكد من تخميني، رحت أتتبع أثر الرمل المثار؛ لأعرف من أين تأتي الرياح؟..

بعد وقت؛ وجدت أن الرياح تنبعث من فجوةٍ مظلمة لمعبدٍ يقع على مسافةٍ بعيدة من الجنوب.. كانت فتحة ذلك المعبد مخفيةً وسط الصخور والرمال تمامًا، واكتشفت حين دنوت منه؛ أنه أكبر حجمًا من المعابد الأخرى..

كنت لأدخله لولا تلك الرياح الباردة القوية التي كانت تهب من مدخله، والتي أخمدت ضوء المشعل الناري الذي أحمله.. كانت الريح تندفع بجنون من الفجوة المظلمة، وتقذف الرمال بعنف نحو الخرائب المهجورة، وما حولها.. مضى بعض الوقت حتى هدأت حدتها، ثم استعادت الرمال بصورةٍ تدريجية سكونها، وفي النهاية هدأ كل شيءٍ تمامًا..

راودني إحساس غامض في تلك اللحظة؛ أن هناك من يراقبني، ويتتبعني من بين الأحجار الشبحية المظلمة، وحين اختلست النظر للقمر بدا، وكأنه يرتجف مثلما يحدث؛ حين تنظر لانعكاسه على صفحة ماءٍ مضطربة.. كنت في خوف أكبر من أن يصفه أي كلام.. لكنه لم يكن كافيًا ليطفئ ظمئي لاكتشاف المزيد عن هذا المكان؛ ولهذا وبمجرد أن سكنت الرياح دلفت الفجوة المظلمة بلا تردد، ودخلت الفجوة المظلمة للمعبد.

كان هذا المعبد، وكما لاحظت من الخارج أكثر اتساعًا من سابقيه.. كما كان واضحًا أنه قد شيد في قلب كهف طبيعي؛ حيث كانت الرياح تخرج منه قادمة من مكان مجهول بعيد في جوفه.

هنا كان بإمكاني الوقوف منتصبًا ببعض الراحة، رغم أن الجدران الحجرية، والمذبح ظلا منخفضين كسابقيه، وعلى الجدران والسقف؛ شاهدت للمرة الأولى بعض آثار الفن التصويري للجنس القديم. كان هناك خطوطًا وصورًا مثيرة من الطلاء الذي بهت، وذهب بريقه بصورة كبيرة. وعلى سطح اثنين من المذابح.. شاهدت بحماس كبير؛ متاهة من النقوش المتداخلة، والمصممة بصورة متقنة..

وبينما رفعت المشعل عاليًا نحو السقف؛ بدا لي أن السقف شديد الانتظام بصورةٍ أكبر من أن يكون بفعل الطبيعة.. حتى أنني تساءلت؛ أي

آلات تلك التي يمكنها أن تقطع الصخر بمثل تلك الدقة في عصور ما قبل التاريخ.. كان واضحا أن المهارات الهندسية لمن قام بهذا الأمر كانت عظيمة.

وعلى ضوء لهيب المشعل؛ رأيت ما كنت أبحث عنه. المدخل البعيد، الذي كانت الرياح تهب منه. ارتجفت بشحوب؛ حين أدركت أنه كان مجرد بابٍ صناعي صغير محفور في الصخر الصلد. دفعت بالمشعل داخله؛ لأرى نفقًا مظلمًا ذو سقفٍ مقببٍ منخفضٍ يعلو درج صغير يهبط لأسفل بشكلٍ عمودي حاد.

كم تمنيت بعدها لو تراجعت في تلك اللحظة، ولم أتقدم.. لكنني تقدمت؛ لتظل تلك الدرجات تراود أحلامي ما حييت !!

كان من العسير معرفة؛ هل كان من الصواب إطلاق لفظ (درجات سلم) عليها أم كان من الأدق وصفها بموطئ قدمٍ يقود إلى هوةٍ شديدة الانحدار؟! ازدحم عقلي بالأفكار السوداء حينها، وشعرت بأن كلمات الشاعر العربي، وتحذيراته تطوف عبر الصحراء من الأراضي المأهولة بالبشر إلى المدينة المهجورة التي لا إسم لها، والتي لا يجرؤ أحد على مجرد الاقتراب منها، لتسألني التراجع والهرب.

هبطت بحذر فوق الدرج الحاد خطوة خطوة؛ كي لا أتعثر..

كان هبوطي نحو تلك الفجوة المظلمة أمرًا مجنونًا، وما كان لأحد أن يقدم عليه إلا لو كان أحمقًا يهذي أو واقع تحت تأثير مخدرٍ قوي. كانت تلك الدرجات الضيقة تمتد لهاويةٍ بلا قرار؛ تشبه بئرًا مسكونًا لعينًا، وعجز المشعل الناري الذي أحمله في سبر أغوار الهاوية التي أزحف نحوها..

لم أنتبه للوقت الذي يمر، ولم أفكر حينها في النظر لساعتي؛ لأرى كم مضى علي من زمن، وأنا أهبط.. بعدها انتهت الدرجات فجأة، ووجدت أمامي ممرًا طويلاً منخفضًا؛ حيث كان علي أن أزحف على بطني، وأنا أمد ذراعي بامتداده حاملاً المشعل أمام رأسي كي أدخله، وبعد أمتارٍ قليلة من زحفي؛ خبا ضوء المشعل تمامًا..

ارتجف قلبي في الظلام، وأنا أشعر بمدى حماقتي.. لابد أنني كنت مجنونًا؛ حين خضعت لغريزتي، وفضولي لاكتشاف هذا المجهول، وحتمًا كان ذلك الدافع الذي دفعني للتجول في تلك الأنفاق الضيقة أسفل سطح الأرض، وارتياد مثل هذا المكان البعيد القديم المحرم؛ أحمقًا..

وفي الظلام؛ رحت أفكر كم كنت شغوفًا بالأسرار المنسية، والأساطير القديمة، وحكايات المدن المندثرة.. رحت أتذكر بعض أبيات قصائد (عبدالله الحظرد) الشاعر العربي المجنون، وبعد فقرات ذلك الكتاب الرهيب المنسي (صور من العالم) لمؤلفه (جوشير دي ميتز).. كنت أردد

في سري بعض المقتطفات الغريبة التي أحفظها من الكتاب، ورحت أتمتم بأسماء الشياطين التي عبرت مع البطل نهر (جيجون).. بعدها رحت أكرر مع نفسي مراراً؛ عبارة للشاعر الأيرلندي (دونسانس) التي تصف بفصاحة متناهية موقفي المخيف في تلك اللحظة..

"السواد المطلق للهاوية".

وبينما صار الزحف أكثر صعوبة؛ رحت أدندن بأغنية لـ (توماس مور) تقول:

خزان الظلام أسود..

كما هي قدور الساحرات؛ عندما تمتلئ بمخدرات القمر..

متقطرة في الكسوف..

وأن تنظر أسفل أقدامك لترى..

هل يمكنك الهبوط نحو الهاوية التي أراها؟..

بالأسفل..

والى أبعد مكان ممكن يصل إليه نظرك..

الجوانب السوداء ناعمة كالزجاج..

وتبدو كما لو كانت تختفي بإفراط..

ومع تلك الدرجات المظلمة؛ هناك مقعد الموت..

ملقى خارج شاطئه المخاطي..

وبعد وقت لا أعلمه؛ انتهى النفق الضيق، ووجدت نفسي في مكان أكثر ارتفاع من النفق.. لكن الوقوف منتصبًا ظل غير ممكن رغم هذا؛ ولهذا رحت أحبو على ذراعي وقدمي..

وفي الظلام؛ رحت أتجول في المكان الجديد بلا هدي، ولاحقًا أدركت أنني في ممر ضيق يحوي الكثير من الصناديق المصنوعة من ألواحٍ خشبية مصقولة؛ تغطيها واجهات زجاجية..

وفي هذا المكان البعيد عن سطح الأرض؛ رحت أتحسس الجدران الخشبية، والواجهات الزجاجية.. كانت تلك الصناديق مصفوفة بجوار بعضها البعض بامتداد الممر، ويفصلها عن بعضها فراغات متساوية. ارتجفت وأنا أخمن كنهها.. كانت تبدو كما لو كانت توابيت موتى، وعندما حاولت تحريك اثنين أو ثلاثة منها لفحصها؛ وجدت أنهم قد ثبتوا بقوة في الأرضية..

اكتشفت؛ أن الممر كان طويلاً، ورحت أحبو بتخبط، وفي عجلة، وكأن عينًا شريرة تراقبني خلف هذا الظلام المعتم، ومن وقت لآخر، وحين كنت أتحسس الجدران على الجانبين. كنت أدرك أن التوابيت مازالت هناك.. نسيت الظلام في تلك اللحظة، وراح عقلي يتخيل صف التوابيت الخشبية المغطاة بالزجاج، وكأنها ممتدة بلا نهاية..

بعدها ومن بعيد؛ لاح ضوء ضعيف يتوهج.. هنا وللمرة الأولى؛ رأيت الحدود الخارجية المعتمة للممر والتوابيت، والتي أظهرها ذلك الوهج الفسفوري المجهول المصدر.. بدا كل شيء حولي في ذلك الضوء الخافت كما تخيلته تمامًا في الظلام.. السقف المنخفض، والممر الضيق والتوابيت الخشبية المصفوفة على جانبيه..

لكن، وحينما اشتدت قوة الوهج الفسفوري مع تقدمي للأمام؛ أدركت كم كان المكان مختلفًا في الواقع عما رأيته من قبل، فقد خلا هذا الرواق الطويل من القبح المميز للمعابد الأخرى فوق الأرض..

كان المكان أثرًا من الفن الرائع، والغريب في الوقت نفسه.. امتلأت الجدران على الجانبين بالنقوش، والتصاميم والصور الفنية الثرية الرائعة، والنماذج الجصية المثيرة.. كانت الألوان، والنقوش أجمل من أن توصف، ورأيت كيف كانت التوابيت مصنوعة من الخشب المذهب المحفوف بجوانب زجاجية أخاذة؟.. وحين أزلت غطاء بعضها؛ اكتشفت أنها كانت

تحتوي على مومياوات لأكثر الكائنات التي قد نراها في أسوأ كوابيسنا شناعة..

لم يكن هناك أي تخمين بشأن تلك الوحوش.. كانوا من جنس الزواحف مع تكوين جسماني يشبه تكوين التمساح في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى كانت تبدو مثل حيوان الفقمة. لكن أغلب المومياوات كانت لا تشبه أي شيء اكتشفه علماء الطبيعة أو الحفريات.. كان حجمهم كحجم رجل ضئيل الجسم، وكانت أطرافهم تشبه إلى حد كبير الأيادي، والأقدام البشرية..

لكن الشيء الذي كان أكثر غرابة فيها؛ كان رؤوسهم، والتي كانت لا تشبه في تكوينها أي شكل حي شاهده أحد على الأرض؛ ولهذا فلم يكن ممكنًا مقارنة تلك الأشياء بأي كائن حي آخر.. رغم أني رأيت أن بعضها يشبه أحيانًا القطط أو الضفدع الأمريكي، أو حتى بعض تماثيل الآلهة الإغريقية القديمة.. أما رؤوسها، فقد امتازت بالجبهة البارزة مع قرنين على جانبي الرأس في وجهٍ بلا أنف على الإطلاق.. بينما لم تشبه فكوكها الغريبة أي تكوين معروف..

شككت للحظة في طبيعة تلك المومياوات، واعتقدت لوهلة أنها قد تكون مجرد تماثيل حجرية، لكنني سرعان ما أيقنت أنها مومياوات حقيقية

تعود لجنس حي مجهول كان يعيش يومًا ما هنا؛ حين كانت المدينة التي لا إسم لها حية..

ولتكتمل البشاعة؛ فقد لفت تلك المومياوات بالأردية الثمينة، وحلي الذهب الكثيرة، والمجوهرات البراقة غير المعروفة..

لابد أن تلك الكائنات الزاحفة كانت عظيمة الشأن. كنت أرى هذا في رسوماتهم المنقوشة على الجدران ببراعة، والتي تصف تلك المدينة بمساكنها وحدائقها التي شيدت؛ لتلائم أجسادهم الصغيرة.. لم يكن لدي أي فكرة عن ماهيتهم.. رغم كل النقوش التي لابد، وأن هؤلاء الذين قدسوهم قد رسموها من أجل تخليدهم.. قلت لنفسي أن تلك المخلوقات ربما كانت بالنسبة لسكان المدينة التي لا إسم لها مثل؛ المستذئبين لأهالي روما القديمة، أو الطواطم الوحشية لقبائل الهنود الحمر..

ومتعلقًا بمثل تلك الفكرة، وما أمكنني فهمه من النقوش التي أمامي؛ أمكنني بصورة مبهمة تخيل ملحمة رائعة لتلك المدينة التي لا إسم لها.. تخيلت حكاية تلك المدينة الساحلية العظيمة، والتي حكمت العالم قبل أن تظهر قارة إفريقيا نفسها للوجود.. رحت أرى بعيني كفاحها المرير، والبحر ينحسر بعيدًا عنها رويدًا رويدًا، والصحراء تزحف نحو واديها الخصيب بقسوة لا ترحم..

رحت أرى حروبهم وانتصاراتهم.. انكساراتهم وهزائمهم، وفي النهاية؛ رحت أتخيل موقعتهم الأخيرة الرهيبة ضد الصحراء.. تلك المعركة التي دفعت رجال المدينة، والذين مثلوا في هذه الحكاية بهؤلاء الزواحف المخيفة؛ لشق أنفاقهم بصورةٍ رائعة في الصخر نحو عالم آخر لابد، وأن أنبياءهم قد أخبروهم عنه..

ورغم غرائبية الأمر، فقد بدت الحكاية التي أراها مصورة على الجدران حقيقية تمامًا، فما أراه في الصور على الجدران.. كان نفس الممرات التي هبطتها، وزحفت منذ قليل في أنفاقها.

وبينما زحفت بطول الممر؛ متتبعًا الضوء المشرق.. رحت أرى المزيد من الصور المطبوعة التي تصف ما تبقى من سطور الملحمة المندثرة.. كانت تصف؛ كيف عاش هذا الجنس في المدينة التي لا إسم لها، وفي قلب الوادي الذي كان يحيط بها لأكثر من عشرة مليون عام.. لقد سكنوا المكان في مقتبل عمر الأرض، ونحتوا في الصخور البكر أضرحتهم الأولى التي لم يتوقفوا يومًا عن تقديسها..

والآن، وقد صارت الإضاءة أفضل؛ رحت أدرس النقوش، والصور بصورة أدق. رحت أتامل؛ كيف كانت الحياة في المدينة التي لا إسم لها؟.. كان هناك العديد من الأشياء الغريبة الغير قابلة للتوضيح، فتلك الحضارة

التي تضمنت كتابةً لها أبجدية محددة بلغت من الازدهار شأنًا يفوق تلك الحضارات المذهلة اللاحقة، كالحضارة المصرية القديمة والكلديه..

الغريب؛ أنني لم أر صورة تمثل الموت، والعادات الجنائزية.. رغم كل تلك الحروب، والصراعات والأوبئة التي أصابت تلك الحضارة.. كما أذهلني كل هذا التكتم بشأن الوفاة الطبيعية، وكأنما آمن هؤلاء القوم بخلودهم الحتمي، فلم يتوقفوا أمام فكرة الموت..

ومع اقترابي من نهاية الممر؛ راحت الصور والمشاهد تزداد بكثافة وتبذير.. كنت أرى في الصور؛ نهاية المدينة التي لا إسم لها، واضمحلالها وخرابها، وعالم الجنة الخيالي الجديد الذي شق ذلك الجنس المندثر طريقه إليها في قلب الصخور..

في تلك الصور؛ كنت أرى المدينة، والوادي الذي تأكله الصحراء دومًا مظللين بضوء القمر، بينما يغطي الجدران المتهالكة؛ سحاب ذهبي ممطر. فيما توارى المجد المندثر للمدينة خلف رموزٍ مبهمة في تلك الصور.

كانت مشاهد الجنة مفرطة في التفصيل، والتعقيد لدرجة لا تصدق، فقد كانت تصور عالم خفي سرمدي مليء بالمدن المجيدة، والتلال والوديان الأثيرية..

وفي النهاية؛ شاهدت على الجدران علامات الإحباط التي نالت من الفنان الذي قام بتلك النقوش. هنا رسمت الصور بلا مهارة، وبغرابة شديدة للغاية.. بدا وكأنها تصور الانحطاط التدريجي لتلك الحضارة القديمة.. مقترنة بتصور الشر المتنامي للعالم الخارجي القادم من خلف الصحاري..

راح تصوير تلك الكائنات هنا –والتي كانت ترسم من قبل كزواحف مقدسة ـ يتغير للانكسار، وراحت أرواحهم تصور، وهي تحوم حول الأطلال الدارسة في ضوء القمر كنشيدٍ جنائزي بائس.. أما الكهنة الناحلون الذين صوروا كزواحف في عباءات مزخرفة، فقد لعنوا الهواء وكل من يتنفسه، وكان آخر مشهدٍ مفزع؛ هو صورة رجل بدائي المظهر، والذي ربما كان أحد سكان مدينة (إرم ذات العماد)، والكائنات القديمة تمزقه إربًا.. هنا تذكرت؛ كم خاف العرب من المدينة التي لا إسم لها، وكنت مسرورًا؛ لأن النقوش في هذا الممر قد انتهت هاهنا..

هنا، وقد انتهت القصة المجيدة العظيمة.. كنت قد اقتربت من نهاية الممر المنخفض السقف، ولاحظت البوابة التي يأتي منها الضوء الفسفوري، فزحفت نحوه، وأنا أرتجف من الإثارة، وهناك رأيت الهوة الواسعة التي تتوهج بالضوء..

كـان هنـاك الكثير مـن الأبخرة، والـدخان في المكـان، ورحت أرتقي درجات صغيرة، كتلك التي هبطت عليها في البداية.. ظللت أتخبط في الدخان الكثيف، حتى بلغت بابًا ضخمًا سميكًا مصنوعًا من النحاس مزدانًا بنقوش قليلة رائعة، والذي كان بإمكانه إذا أغلق؛ أن يحجب تلك الممرات والأنفاق الداخلية من الضوء تمامًا..

تحسست الباب النحاسي المفتوح، لكنني لم أنجح في زحزحته أو تحريكه.. هنا رقدت تمامًا على الأرضية الحجرية، وعقلي يلتهب من الهواجس المريعة في إنهاك مميت..

وبينما كنت مستلقيًا هكذا بعينين مغلقتين؛ رحت أسترجع، وأفكر في بعض المشاهد التي رأيتها على الجدران، فانتابني الفزع.. كانت تلك المشاهد تصور المدينة التي لا إسم لها في عنفوانها، ونباتات الوادي الخصيب تحفها، والمدن البعيدة بحوانيتها، وتجارها..

صورت المدينة التي لا إسم لها في النقوش بأبعادٍ تلائم أحجام الكائنات الزاحفة، لكن ما هي أبعادها الحقيقية؟.. وكيف كانت روعتها في الماضي؟.. فهذا لم أتبينه تمامًا من أطلالها.. فكرت بتوتر في المستوى المنخفض لسقف المعابد البدائية، والممر الأرضي، والذي لم يكن الهدف من تصميمها هكذا إجبار مرتاديها على توقير آلهة الزواحف هذه.. رغم أنها كانت تجبر المصلين على الانحناء، والزحف..

ربما تضمنت المناسك نفسها؛ الزحف هكذا كتقليد للزواحف، لكنني رغم هذا لا أعرف نظرية دينية قد تفسر سبب هذا المستوى المنخفض للممرات والمعابد والدرج؟.. لدرجة أنه لا يمكن للمرء السجود أحيانًا، وبينما عدت لأفكر في مومياوات تلك المخلوقات القبيحة الموجودة حتى هذه اللحظة بالقرب مني؛ شعرت بنوبةٍ جديدةٍ من الخوف تشوش تفكيري، وارتجفت لفكرة أنه بخلاف الصورة الأخيرة التي توضح؛ كيف مزق ذلك البدائي إربًا؟.. فقد كنت أنا البشري الوحيد في هذه اللحظة القابع في وسط تلك الآثار التليدة، والنقوش المريعة التي تصور حياةً بدائيةً سحيقة..

لكن، وكما اعتدت في جولاتي، واكتشافاتي الغريبة، فقد تغلب فضولي على خوفي، ورحت أفكر في الهاوية المضيئة، وما قد يكون داخلها، والتي تمثل تحديًا لأعظم المكتشفين.. إن ألغاز هذا العالم الأسطوري؛ تكمن بلا شك أسفل تلك الدرجات الضيقة الهابطة للمجهول، وتوقعت أن أعثر هناك على بعض الآثار، والصور الأخرى التي تكمل الملحمة المثيرة التي بدأها الفنان البدائي، ولم يكملها في الممر الأرضي..

لقد كانت النقوش التي شاهدتها منذ قليل تصور مدنًا خياليةً، وأوديةً داخل العالم القابع في باطن الأرض، واشتعل خيالي بالتفكير في الآثار، والاكتشافات التي بانتظاري أسفل تلك الهوة المضيئة..

كانت مخاوفي متعلقة في الحقيقة بالماضي أكثر منها بالمستقبل.. لم أخشى أن أواجه رعبًا حيًّا في ذلك الممر الممتلئ بالزواحف الميتة، والنقوش الغريبة، فعلى بعد أميالٍ أسفل العالم الذي أعرفه؛ هناك عالم آخر أكاد أراه خلف هذا الضباب، والضوء الغريب..

إن هذه المدينة التي لا إسم لها؛ شديدة العراقة كما هو موضح في تلك الأطلال، والمعابد القديمة للغاية، وفي الخرائط المرسومة هنا على الجدران للعالم؛ تبدو المحيطات والقارات فيه غير تلك التي نعرفها الآن.. كنت هنا وحدي بين كل تلك الذكريات؛ أفكر في كل تلك الحقب، والعصور التي توالت على تلك الأطلال، وهي صامدة في وقفتها الاحتجاجية الصامتة..

داهمني خوف مبهم مرة أخرى، ورغم إنهاكي؛ وجدت نفسي وبشكل محموم أرقد ثانية، وأحدق في الممر المظلم نحو الأنفاق التي ترتفع للعالم الخارجي. كانت مشاعري المذعورة بلا سبب في تلك اللحظة؛ هي نفسها التي دفعتني للهرب من تلك المدينة في المساء من قبل.. كانت بلا تفسير لكنها مؤثرة وقوية..

وفي تلك اللحظة؛ بدأ الفزع الأكبر في هذا المكان في شكل صوتٍ قوي.. أول صوتٍ مسموعٍ كسر الصمت المطلق في تلك الأعماق التي تشبه القبور.. كان الصوت عميقًا يشبه الأنين، وبدا كما لو أن حشداً من الأرواح يقترب.. كان الصوت يأتي من نفس الاتجاه الذي أنظر إليه..

ارتفع الصوت بسرعة، وراح صداه يتردد بصورةٍ مفزعةٍ في تلك الجدران المنخفضة، وفي نفس الوقت؛ شعرت بتيارٍ باردٍ من الهواء يندفع في الأنفاق نحو المدينة بالأعلى.. انتبهت لنفسي حينها، وقد تذكرت تلك الزوبعة التي تهب في المدينة مع كل شروق، وغروبٍ للشمس.. نظرت لساعتي، وعلمت أن الشمس على وشك الشروق، فأعددت نفسي لمقاومة تلك العاصفة..

كان هناك الكثير من العويل، والصراخ قادمًا في تلك اللحظة من أعماق الأرض.. رقدت بسرعة على وجهي، وقبضت على الصخور بقوة؛ كي لا تدفعني تلك الزوبعة عبر الباب النحاسي المفتوح نحو الهاوية المضيئة.. راحت الريح تدفعني بعنفٍ شديد، ونما في نفسي ألف خوفٍ وخوف، ومرة واحدة؛ وجدتني أتخيل نفسي ذلك الرجل البدائي الذي مزقته تلك المخلوقات في العصور القديمة تمزيقًا..

راحت ذرات الرمال تمزق بشرتي، وراحت الصخور الصغيرة تصطدم بجسدي، وبدا عويل الريح، وكأن آلاف الشياطين تصرخ.. كان الأمر كله جنونيًا، وفي لحظةٍ راحت الريح تدفعني ببطء نحو الهاوية.. حاولت الزحف ضد هذا الهواء العاصف القاتل.. لكن الحقيقية؛ أنه لم يكن بإمكاني حتى منع نفسي من الاندفاع نحو الهاوية، وعالمها المجهول. وفي تلك اللحظة المرعبة، وبلا تفسير مقنع؛ وجدت نفس كلمات الشاعر (عبدالله الحظرد) المجنون، والذي حلم يومًا بتلك المدينة التي لا إسم لها..

إنه ليس ميتًا ذلك الراقد في الأبد السرمدي..

ويموت الدهر الغريب بطوله الموت الأبدي..

إن شياطين تلك الصحراء الكئيبة المتجهمة؛ هي وحدها من شهد كفاحي الرهيب، أو كيف قاومت تلك القوى الهائلة التي راحت تدفعني في الظلام نحو المجهول؟.. وحتى هذه اللحظة؛ لا أدرى أي قوى شيطانية تلك التي أعادتني للحياة مرة أخرى..

وفي تلك اللحظة الجهنمية المجنونة، ومن قلب قبور تلك الكائنات الرهيبة التي تعود لعصور منسية، والمدفونة على بعد فراسخ من سطح أرض البشر الناعسة في ضوء الفجر؛ تناهى لأذني لعنات مريعة، وزمجرة شياطين وحشية، وحين التفت للخلف؛ رأيت في الضوء الأثيري للمتاهة أشباحًا مخيفةً لم تكن لتظهر في عتمة الممر.. بدت الأشباح كحشدٍ من الشياطين القديمة نصف الشفافة.. كانت في الواقع حشدًا ملعونًا من أشباح تلك الزواحف التي سكنت يومًا تلك المدينة التي لا إسم لها..

وحين خمدت الريح في النهاية؛ كنت محشورًا في قلب فجوةٍ مظلمةٍ في قلب الأرض، وحين دخل الباب النحاسي آخر مخلوقٍ من حشد تلك الزواحف؛ تحرك الباب تلقائيًا، وأغلق خلفهم في رنينٍ معدني يصم الآذان.. في نفس الوقت كانت الشمس ترقى الأفق، وترسل تحية الصباح لممنون هناك بعيدًا على شاطئ النيل..

صدر للمترجم

1- الجثة الخامسة (رواية)

2- عهود الدم (رواية)

3- الشيخ الأسود (رواية)

شكر واجب

إلى أصدقائي:

محمد عصمت، أحمد هشام، محمد رضا عبدالله، أحمد عبدالمجيد، هاني حجاج، رمضان جاب الله، وليد حسن مدني،حسن الشواف، ياسين أحمد سعيد،الشيماء عبدالعال، مروة سلام، سالي مجدي، نانسي أسامة، نهى بهمان، نورهان أحمد، ريهام النجار، مي نجم، ريم (حياة سالومي)، نورهان حسن، وفاء زغلول، منال عبدالحميد، ايلاف الخلفاوي، فريدة عمر، دعاء محمد، أحمد أسامه، هاني رمضان، وائل لاشين، محمد مجدي يوسف، إيهاب عصمت، أدهم زيدان، خالد محمد عماره، رضا خالد، أحمد مجدي، محمد فايز، رضوان المندوه، سامي ميشيل، حسن عدس، AK Hulk Rock، أحمد إبراهيم، ابرام سامي، هشام عبدالرازق، حسن حربي Sleepy Hollow, ، هبة أحمد، دعاء محمود، يوسف هاني، وغيرهم الكثير والكثير والكثير..

شكرا

شكر خاص للمقاتلين (هيثم حسن) و(أسامه علام)..

شكر خاص للأب الروحي أ. (حسام حسين).

لولاكم لما ظهر هذا العمل للنور...

وهناك "كاثلو" ينتظر



مصمم الغلاف: أسامة علام



